

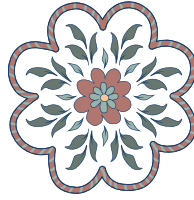


جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

كواين: ما بعد الفلسفة التحليلية



الدكتور ابراهيم مشروح



كواين: ما بعد الفلسفة التحليلية (1)
الدلائيات وفلسفة اللغة



جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
1445هـ - 2024م

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكافة طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي أو المسموع أو استخدامه حاسوبياً بكافة أنواع الاستخدام وغير ذلك من الحقوق الفكرية والمادية إلا بإذن خطي من الناشر

www.mbzuh.ac.ae

✕ @mbzuh   MBZ university for humanities  mbzuh.ac.ae

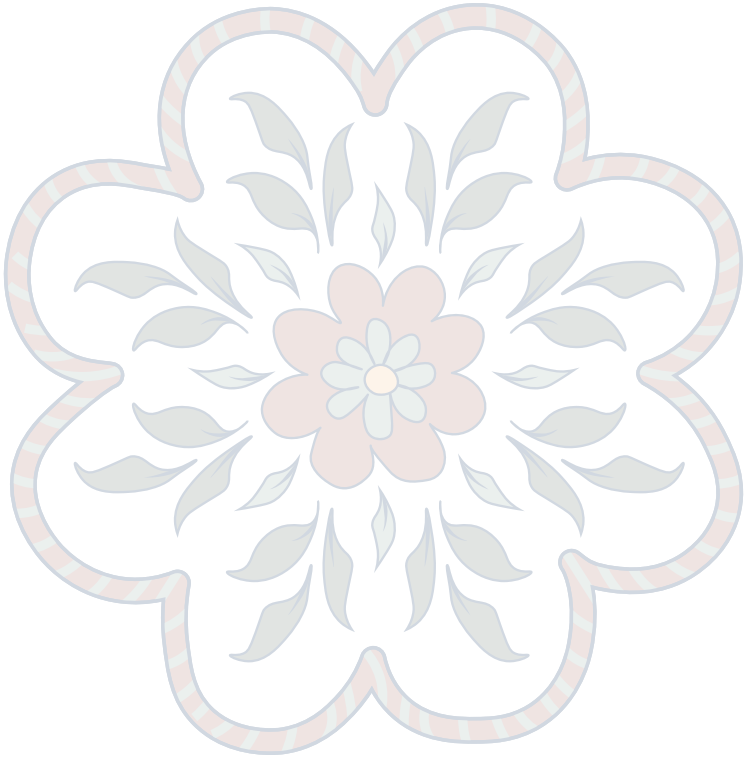
الكتب العلمية

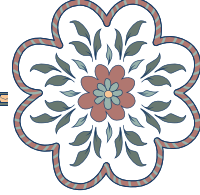
كواين: ما بعد الفلسفة التحليلية (1)

الدلائل وفلسفة اللغة

تأليف

تأليف : الدكتور إبراهيم مشروح





مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

ننوي أن نصدر هذا الكتاب ضمن تصور يتولى تقديم إطلالة على الفلسفة الأمريكية المعاصرة بما اتسمت به من تعاطٍ مع المنطق المعاصر، وبما اختصت به من جعل مبحث الدلائليات محكًا للنظر الفلسفي- المنطقي، وهو ما يميزها عن الفلسفة القارية؛ ذلك أن الفلسفة التحليلية قد تبنت التحليل لتجسُّ به القضايا الفلسفية من خلال التحليل المنطقي للغة.

ولمّا كان كواين الفيلسوف الأمريكي المعاصر قد تعرض للفلسفة التحليلية بالنقد من جراء رؤيته النقدية للمسائل الدلالية، ولمّا كان قد قوَّض الدعاوى المنطقية التحليلية التي قامت عليها التجريبية المنطقية، أو الوضعية المنطقية، فقد اعتبرنا أنه يشكل منعطفًا لما يمكن أن نعدّه منعطف ما بعد الفلسفة التحليلية خصوصاً وقد تميز بطروحات جديدة تجاوزت الطروحات الوضعية المنطقية بالتحديد فلسفة حجة الفلسفة التحليلية: رودولف كارناب.

لقد غطت دعاوى كواين الدلالية – المنطقية مختلف الجوانب الفلسفية سواء ما تعلق منها بفلسفة اللغة، أو بفلسفة المنطق، أو بفلسفة العلم؛ ولذلك ارتأينا أن نقسم هذا العمل، وفق هذه المضامير، فجعلنا الجزء الأول الذي بين أيدينا ينظر في ما أثاره كواين من استشكال للقضايا الدلالية التي انبجست منها فلسفة اللغة التي سيسند بها كواين دعاويه

المنطقية والفلسفية والعلمية، وجعلنا الجزئين المواليين يتعلقان تباعا بفلسفة المنطق وبفلسفة العلم.

يتناول هذا الكتاب مكانة الدلائليات وفلسفة المنطق في فكر ويلار فان أورمن كواين (1908-2000) Willard Van Orman Quine؛ وهو فيلسوف ومنطقي ورياضي، وعلم من أعلام الفلسفة الأمريكية المعاصرة، تمتاز فلسفته بروح نقدية طبعت جُلّ مواقفه من القضايا الفلسفية التي تداولها الفلاسفة المعاصرون، فقد تعقّب مناهج الفلسفة التحليلية، وقوّم دعاوى المناطقة الوضعانيين ليرسم في أفق فلسفته معالم لما اعتبرناه بمثابة ما بعد النزعة التجريبية Post-empiricism.

يعد كواين، بحق، الفيلسوف الأمريكي الأكثر شمولية وموسوعية، فتكوينه كمنطقي ورياضي، واشتغاله بالفلسفة، وخوضه في المسائل العلمية، ومساهماته في المعرفيات cognitivism، في علم الحوسبة computation¹؛ كل ذلك مكّنه من أن يتخذ مواقع فلسفية، ويبدع طرائق منهجية في غاية العمق والدقة.

¹وقد استلهم اسم كواين الحيسوبي دوغلس هوف ستدتر Douglas Hofstadter لتسمية برنامج معلوماتي قائم على فكرة كواين حول الإحالة الذاتية غير المباشرة و-indirect self-reference وما يليها من قبيل: عبارة تنتيج المفارقة paradox-producing المعروفة بمفارقة كواين Quine's paradox.

لقد دفعنا إلى الاهتمام بفكر كواين طابع شموليته التي تأخذ بأسباب العقل والتجربة في تحقيق وتنسيق عزّ ان نجد لهما نظيرا، وفي أبداعية تجمع بين التمنطق والتفلسف، فقد تعددت دعاواه وتنوعت طروحاته، وهي تتعلق بما قدمه من رؤى ووجهات نظر في حقول متشعبة من المعرفة تتصل بمجالات فلسفة المنطق وفلسفة العلم، واللسانيات العامة، والأنطولوجيا والترجمة... إلخ؛ ويمكن أن نستشف ذلك من أبرز أطروحاته الفلسفية - المنطقية الموزعة على مختلف مجالات الفكر البشري من خلال رصد مكانة نظرية الدلالة وفلسفة المنطق في فكره، وقد مكنتنا مطالعنا المتكررة لأعماله من الانتباه إلى أن مدار فلسفته إنما هو على علم الدلالة، بل إن فلسفته وما شملت من دعاوى إنما هي فلسفة دلالية منطقية استندت إلى نتائج بحوثه في حقل الدلالات؛ وعلى هذا الأساس اتخذتُ نظرية الدلالة وفلسفة المنطق نموذجا لفكر "كواين" وفلسفته.

لقد أنتجت اشتغالات كواين في مجال الدلالة ومراجعتة النقدية لمفاهيم نظرية المعنى ونظرية الإحالة دعاوى اتخذها كواين سندا لمواقفه الفلسفية سواء في مجال المنطقيات أو في مجال فلسفة العلم و المعرفة؛ ولهذا انبنت أبرز دعاويه الفلسفية كدعوى امتناع تحدد الترجمة، ودعوى النسبية الانطولوجية، ودعوى الشمولية أو التجريبية المعتدلة، على نظريته الدلالية وفلسفته المنطقية.

كان لابد، إذن، من أن نظفر بإشكالية رئيسة في فكر كواين؛ وهكذا تبين لنا، بعد الاطلاع على جُماع أفكاره الفلسفية ومواقفه النظرية، أن الثوابت التي قامت عليها فلسفته ثوابت تجريبية وسلوكية تأخذ بموضوعية وواقعية نسبيتين. وهذا ما طبع فلسفته، في جوهرها، بطابع التجريبية المعتدلة. غير أن الاشكال الرئيس يتجلى في التساؤلات التالية:

إلى أي مدى يمكن مجاوزة معتقدات النزعة التجريبية المنطقية دون التفريط في الأسس التجريبية؟ وإذا كانت النزعة التجريبية قد أخذت بالنظرية الدلالية التي تفرق بين القضايا التحليلية والقضايا التركيبية (أي بين المضمون التجريبي والصورة المنطقية) بضم البرنامج الصوري (المنطق الرمزي) إلى النزعة الاختبارية (التجريبية المنطقية)؛ فكيف أمكن لكواين-وهو المتشبه بنزعته التجريبية- أن يقوض أقوى الأركان التي قامت عليها التجريبية المنطقية بهدم نظرية المعنى، وإجراء مراجعة نقدية لمفاهيم نظرية الاحالة، ليظل محافظا، مع ذلك، على نزعته التجريبية؟ أليس من الصعب بمكان أن ينفلت كواين من قبضة المنطقيات ذات النزعة المفهومية ليبطل المنطق الموجه، ويقول بامتناع تحدد الإحالة لينتهي إلى نسبية التجريبية؟ وهذه النسبية كيف يبررها كواين في مجال فلسفة العلم، وهو الذي يدعي شمولية النظرية العلمية، بل وشمولية تأخذ بنزعة تجريبية معتدلة؟

ذلك ما حدا بنا إلى ركوب مطية البحث في المشكلات المنطقية والدلالية و الفلسفية التي باشرها كواين الذي شهد له معاصروه أمثال "رورتي" بكونه فيلسوف مابعد الفلسفة التحليلية، ونحن نروم توصيف فلسفته بالتجريبية المعتدلة، أو ما بعد النزعة التجريبية؛ فكواين لم يتخلّ عن تجريبيته وطبيعانيته التي اعتبر فيها أن الفيزياء هي العلم الأساس.

وقد ارتأينا، كما أومأنا إلى ذلك في هامش سابق، أن نفرّد لفلسفة كواين ثلاثة أجزاء متكاملة تقتضي موالاة قراءتها على التوالي لتحصيل صورة متّسقة عن فلسفة كواين وفكره:

- يتناول هذا الجزء الذي نحن بصددّه: الدلاليات وفلسفة اللغة الذي يتولى بسط الأطروحات الدلالية، وأثرها في نقد الوضعية المنطقية، وفي بلورة فلسفة لغوية تستند إليها دعاوى كواين المنطقية والفلسفية؛
- أما الجزء الثاني فقد عقدناه لدُرُس الدلاليات وفلسفة المنطق، وغايتنا بسط الخلفية الفلسفية الدلالية الثاوية وراء دعاوى كواين المنطقية؛
- وأما الجزء الثالث، الذي يتناول الدلاليات وفلسفة العلم، فقد رمنا فيه أن نقف، من خلال فحص علاقة الدلاليات عند كواين بفلسفة العلم عموماً، على طروحاته الشهيرة من قبيل النسبية

الأنطولوجية، وطبيعانية المعرفة أو الإبيستمولوجيا المطبوعة،
ونظرية امتناع تحدد الترجمة.

تواجه من يسعى إلى فهم فلسفة كواين صعوبة تكمن في أن الدراسات والبحوث حول فكره موزعة ومتشعبة تتفرق في مجالات معرفية عدة من فلسفة المنطق واللسانيات وفلسفة اللغة وفلسفة العلم... فكان الأمر يقتضي منا بذل الجهد في ضم هذه الأسانيد تحت دعاوى رئيسية اختصاص بها كواين ثم البحث عن الحجج والأدلة التي اعتمدها في بناء نموذج نظريته في الدلالة وفلسفة المنطق.

وهناك صعوبة داخلية تأتت من طبيعة فكر كواين ذاته، فهو فكر مفارقات، فكر متشعب ومتداخل حتى أن البعض من دارسيه ادعى أنه يثير من القضايا، ومن المسائل أكثر مما يسهم في حلها؛ ومع ذلك، ففكر "كواين" فكر نقدي اقتحمنا مجال دعاويه الدلالية والمنطقية، ولم نتمكن من عزلها عن خلفيتها الفلسفية إلا بعد لأي؛ ذلك أن دعاويه تتداخل أيما تداخل.

ولما كانت فلسفة "كواين" فلسفة إشكالية تعقد كثيرا من المشكلات، ولما كانت ثقافته الموسوعية كمنطقي ورياضي وفيلسوف، وعالم أفاد فكره حقولا معرفية متنوعة من منطق رياضي وفلسفة المنطق وفلسفة اللغة والعلم... إلخ؛ فقد اغتنمناها فرصة للاحقة هذا الفكر قصد الوقوف على مظاهر اليقظة المنطقية في مجال التفكير الفلسفي حتى نبرز أن

التمنطق لا يحدُّ من التفلسف. وسوف نواصل هذا التّقصي من خلال
نبيان مدى التقاطع بين الفلسفة القارية continental philosophy والفلسفة
التحليلية analytical philosophy².

يراهن هذا الفصل على تعقب الثوابت والمتغيرات الفكرية لإبراز أطروحتنا
الأساس التي نعتبر فيها أن الدلائيات هي الجذع المشترك بين مختلف
طروحاته المنطقية والفلسفية؛ ولذلك سنتوسع في الفصل الثاني لكي نبين
جملة من المعطيات الدلالية لفلسفة كواين. ولما كان كواين قد راجع
ثنائية التحليل والتركيب بناء على رؤية دلالية نقدية، فقد تولينا في الفصل
الثالث بسط دعوى كواين القاضية ببطلان التفرقة بين التحليل
والتركيب، وهي دعوى رئيسة لما ترتب عنها من تقويض صرح الوضعية
المنطقية خصوصا في مواجهة رودولف كارناب Rodolf Carnap، ولما أفضت إليه
من مجاوزة النزعة التجريبية بما اعتبرناه ما بعد النزعة التجريبية التي
وسمناها أيضا بالتجريبية المعتدلة.

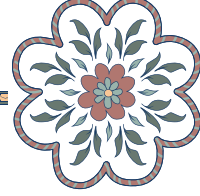
وقد أثّرنا أن نفرد الفصلين الأخيرين لبسط دعويين هما عمدة الرؤية
الدلالية الكواينية، ويتعلق الأمر بدعوى امتناع تحدد المعنى التي فصّلنا
فيها القول في الفصل الرابع للكشف عن طبيعة المراجعات التي نازع فيها
كواين فلاسفة اللغة، وبدعوى امتناع تمحيص الإحالة التي كان كواين قد

² Marti Heidegger وهو ما لاحقناه في معاجة مدى وحدود علاقة الفلسفة بالمنطق منطلقين
من مقارنة أجريتها بين كواين وهابيدغر

بلورها في معالجته لدعوى امتناع تحديد الترجمة التي خصصنا لها فصلا
كاملا في الجزء الثالث من هذا العمل فليرجع إليه.



الفصل الأول:



أسس فلسفة كواين: الثوابت والمتغيرات

توطئة

يتحدد مناط هذا الفصل الذي عقدناه لبحث أسس فلسفة كواين في رصد هذه الأسس وضبط ثوابتها وتتبع متغيراتها بالكشف عن سيرته الفكرية، واستعراض مواقفه النظرية، وتوضيح طروحاته أو دعاويه المشهورة بغية الوقوف على أسسها ومنطلقاتها، وتبيان فوائدها المعرفية وقيمتها الفلسفية.

ولما كان غرض هذا الجزء إنما يتحدد في بيان مكانة الدلائل وفلسفة اللغة في فكر "كواين"، ارتأينا أن نجعل من هذا الباب مدخلا يعرفنا بفلسفته حتى يسهل علينا أن نوطن نظرية الدلالة و فلسفة المنطق في سياقها. كما نتغيا، أيضا، تقديم صورة عن هذا المفكر الأمريكي المعاصر الذي يعتبر تتوجا للفلسفة الأمريكية المعاصرة.

تعرضنا صعوبة أولى تعود إلى ندرة الدراسات والبحوث التي تعرف بهذا الفيلسوف أو تنصب على جانب من فلسفته في لغة الضاد؛ لذلك ستكون مهمتنا مزدوجة تتحدد، أولا، في التعريف بهذا الفيلسوف وبفلسفته قصد إبراز قيمتها الفلسفية وفائدتها النظرية والآفاق العلمية والفلسفية التي

تفتحها، و ثانيا في تقديم هذا الفيلسوف كصورة عن الفلسفة الأمريكية المعاصرة.

ليس من اليسير بسط ما قدمه هذا الفيلسوف خلال أزيد من نصف قرن من جهود فكرية ما زالت متواصلة في حقول اشتغلت بها الفلسفة المعاصرة خصوصا الفلسفة التحليلية. وأنه ليصعب علينا كشف وتفصيل ما أجمله كواين وترتيب ما نثره من أفكار نسجها داخل فلسفة يحكمها البعد النقدي وتطبعها النسبية.

كما يصعب علينا نظم ما نثره من مسلمات وأوليات أقام عليها دعاويه الفلسفية التي تقتحم أحيانا مجال المفارقات . ويبدو أن تقرير ما أضمره من اقتضاءات قامت عليها فلسفته، و تحقيق ما أثاره من قضايا، وعرضه من الحلول والاقتراحات للمشكلات العويصة التي اشتغل بها الفكر المعاصر في مجال المنطق والفلسفة النظرية وفلسفة العلم. وحيال هذه الصعوبة، لم نجد بدّا من تخصيص هذا الفصل لمقاربة فلسفة ويلار أورمان كواين لنتلمس طريقا يمكّننا من الحديث عن فلسفته قصد الوقوف على مظاهر الجدة والخصوصية والفرادة، لنتبين معالمها التي نهتدي بها إلى تحديد مساهمته في الفلسفة المعاصرة.

لم يكن اختيارنا للبحث في فلسفة الفيلسوف كواين من خلال نموذج نظرية الدلالة وفلسفة المنطق إلا لإيماننا بأن دعاويه تكاد تقوم، أساسا، على نظرية الدلالة لارتباطها أيما ارتباط بها حتى أننا نجيز لأنفسنا اعتبار

فلسفته، على الحقيقة، فلسفة دلالية. فمعظم أفكاره وآراءه تستند إلى الدلالة التي خاض فيها معاصروه من المناطقة والرياضيين واللسانيين وفلاسفة اللغة كلٌّ في مجاله.

ولكي نرصد أصول فلسفة كواين، ونتعرف على ثوابتها ومتغيراتها، ارتأينا أن نعرض، ضمن هذا الفصل، كشف سيرة كواين الفكرية، ونستعرض متغيرات وثوابت فلسفته، ونبرز دعاويه المشهورة مع تحديد مكانتها في سياق الفلسفة المعاصرة، و تبيان عطاءاته في مجال المنطق والفلسفة و فلسفة اللغة والعلم.

هناك، إذن، ضرورة تدعو إلى الوقوف على المتغيرات التي اعترت فكر كواين؛ وإلى الكشف عن الثوابت التي ظلت حاضرة ومتفاعلة مع المتغيرات الفكرية التي تفاعل معها فكر هذا الفيلسوف، وهي تتمثل في مذاهب أو تيارات أو نزعات فلسفية أو علمية، ومن هنا، سنتمكن من رصد المعالم الرئيسة لحضور فكر كواين في الفلسفة المعاصرة.

1- كشف السيرة:

ولد ويلار فان أورمان كواين سنة 1908 بأكرون أوهايو Akron Ohio ، وتخرج من جامعة أوبرلين Oberline بعد أن أنهى بها دراسته العليا في قسم الرياضيات سنة 1930، حيث دافع عن أطروحته لنيل الدكتوراه في المنطق تحت إشراف الرياضي والمنطقي والفيلسوف نورث وايتهد Alfred

North Whithead بجامعة هارفارد Harvard University.

وقد زار كواين فيينا ودرّس المنطق بجامعة وارسو Warsaw وبراغ prague والتقى برودولف كارناب حجّة الوضعيين المناطقة، وانطبعت فلسفته بالشغف بالتقصي والعناية بأدق وأعقد المشكلات الفلسفية التي اعتزمت الوضعية المنطقية حلّها. وباستثناء زيارته لكل من أوكسفورد وباريس وبعض المراكز العلمية، يكون كواين قد لبث بهارفارد كأستاذ للفلسفة. ويكاد يجمع جل الباحثين على أنه أكبر فيلسوف أمريكي، وأبلغ فلاسفة ما بعد الحرب تأثيرا في الفكر المعاصر إلى درجة أن كلّ من يرغب في متابعة قضايا الفكر الأمريكي المعاصر، يجد نفسه ملزما بالاطلاع على فلسفته وأعماله المنطقية.

يكاد لا يضاهي كواين، تقريبا، أي فيلسوف أمريكي معاصر في القدر الذي أثر به في معاصريه الذين يضطرون إلى الاطلاع على أعماله، فتنتقل انشغالاته إلى اهتماماتهم لتغدو مشاغلهم الخاصة كدأب ديفيدسن Davidson ورورتي R.Rorty وهيلاري بوتنام

H. Putnam ، وغيرهم.

فقيمة هذا الفيلسوف إنما تتأتى من كونه عالِم بدقة غير متناهية العديد من المعضلات الفلسفية في مجال فلسفة المنطق واللغة، وفلسفة العلم. نشر كواين ما يزيد عن خمسة عشر مؤلفا، على الأقل، إلى جانب عشرات المقالات والمحاضرات والتقارير، إذ انصبت أعماله المبكرة على المنطق حيث ساهم في هذا المجال بعطاءاته وملاحظاته النقدية التي تغذت منها الكثير من الأعمال المنطقية الرائدة، كما شارك في مساجلات ذات طابع

منطقي وفلسفي ورياضي. وبالإضافة إلى انشغالاته بالمنطق، اشتغل بالفلسفة المعاصرة من منطلقات يطبعها العمق الفلسفي والصرامة المنطقية التي ما طفقت تلازمه.

لقد كان لأعمال كواين المنطقية والفلسفية، وما يزال، الأثر البالغ في معاصريه إلى درجة أصبح من الممتنع على الباحث في حقول المعرفة المعاصرة، أن يتغاضى عن مساهماته ويصدف عنها، إذ لاحظ كثير من الدارسين أن عددا من الباحثين الذين احتكوا به من أمثال دونالد يقدسن

Donald Davidson وهنتيكة Jaakko Hintikka ونيلسون غودمن Nelson Goodman

وغيرهم استطاعوا تطوير فكرهم والتقدم في دعاويهم من خلال مناقشة دعاوى كواين أو الرد عليها.

تعود قيمة كواين إلى كونه نقل بؤرة اهتمامه إلى اهتمامات مجايليه من الفلاسفة والمناطق، بل ومن الجيل الحاضر. وقد حظيت انتاجاته بعناية فائقة من قبل المناطق والفلاسفة والعلماء واللسانيين فنشرت على هامش مؤلفاته مقالات عديدة وألفت كتب كثيرة وعقدت حلقات دراسية وندوات تناولت دعاوى كواين³. ونجد الباحثين الذين عارضوا دعاوى كواين قد وجدوا أنفسهم محتاجين إلى تطوير أعمالهم من خلال الرد عليه في مجالات اللسانيات والمنطق وفلسفة العلم ...

³ D.Davidson and J.Hintikka.(1969). ed ; **Words and Objections** :Essays on the

Work of W.V.Quine (Reidel).

وعلى هذا الأساس، فإن أقوى دليل على أصالة الفيلسوف إنما يكمن في مدى تأثير أفكاره وانتقال اهتماماته الفكرية إلى اهتمامات مُجالييه ومعاصريه من المفكرين والفلاسفة، ففلسفته تعد من قبل بالمهتمين بالفلسفة الأمريكية، بحق، فصلاحيًا من فصول الفلسفة المعاصرة. يمتاز كواين بمغايرته للعديد من الفلاسفة والفلسفات المعاصرة، ولعل هذا يسمح لنا، من خلال تتبع فلسفته، بالتعرف على مواقفه من الفلسفات الأخرى، والكشف عن اعتراضاته على الوضعية المنطقية، واختلافه مع العقلانية والنزعة الموضوعاتية Conventionalism ومع الفلسفة التجريبية بالخصوص؛ كما وقفت مواقف نقدية إزاء كثير من التيارات كالنزعة الأداتية instrumentalism والنزعة الإسمية Nominalism وغيرهما مما سنعرض له لاحقًا.

يرى كواين أن الفلسفة إن هي إلا بضعة من العلم. وهذا يذكرنا بدعوى أرسطو Aristotle القاضية بأن الفلسفة علم كلي، إلا أن كواين لا يعترف بوجود "فلسفة أولى". فقد رفض بروج وضعية أن يقوم العلم على فلسفة أولى تكون خارجة عنه ⁴.

ونلمس هذه الدعوى في قولته التالية: "إذا كان ممثل العلم النظري ملزماً، في منطلقاته البعيدة عن المعطيات بالحفاظ على الترابطات الطارئة بتقييدها بالمثيرات الحسية، فإن الفيلسوف يكون، هو الآخر، ملزماً بنفس

Gochet (1978), *Quine en perspective*. Flammarion ; Paris. P. 48.⁴

الشيء؛ صحيح أنه لا ينبغي لنا أن نتوقع من أي تجربة أن تكون قادرة على الجسم في الجدل الأنطولوجي"⁵، ومن هنا اعتبر كواين أن الإيبستمولوجيا ليست خطابا حول العلم، بل إنها بوصفها فلسفة للعلم، ليست أكثر من العلم وهو ينطبق على ذاته.

لا تنفك الفلسفة عند كواين عن العلم فالتجربة الفلسفية إن هي إلا ممارسة فكرية تنزل أرقى درجة في التجريد؛ فإذا كان العالم ملزما، مهما بلغ بُعده عن معطيات الواقع، بربط خطواته بشرائط التجربة، فإن الفيلسوف يسلك نفس مسلكه، مع أنه يفوقه على مستوى التجريد . فالعالم مثلا يسائل موضوعات طبيعية من قبيل المادة، والطاقة والقوة الكهرمغناطيسية Electromagnetic ، أو موضوعات غير طبيعية من قبيل المجموعة والدالة والعدد، وأما الفيلسوف فيسائل الوجود. فالعالم والفيلسوف يوجدان على قدم المساواة . غير أن الأنطولوجيا تكون على درجة أسمى من التجريد والعموم في الفلسفة مما تكون عليه العلوم الأخرى التي تجيب، بدورها، على أسئلة تدور، في جوهرها، حول الوجود. لقد روجت مدرسة فيينا مفهوم النزعة الفيزيائية Physicalis الذي وضعه كارناب للدلالة على أن لغة علم الطبيعة physics أو الطبيعيات هي التي تقرر لغة جميع العلوم. غير أن نزعة كواين الطبيعية اتخذت دلالة جديدة في

⁵ Quine (1960), **Word and Object**, copy right, Massachusetts institute of Technology .p.272.

سياق فلسفته. فكل الوقائع، في نظره، وقائع طبيعية قابلة أن ترد إلى الطبيعة بعون المنطق والتفسير السلوكي.

يتفرد كواين بسمات قلما اجتمعت لغيره من الفلاسفة المعاصرين، فهو كما مرّ بنا فيلسوف علم، وفيلسوف لغة ومنطقي ورياضي اشتغل بأدق القضايا، وساهم في الجدل العلمي المؤسس للمعرفة المعاصرة في حقول المنطق وفلسفة الرياضيات وفلسفة العلوم وأسهم في حلّ العديد من المشكلات التي تخطب فيها الفكر المعاصر منذ القرن الماضي، ووضع أقاويل ودعاوى جعلت فلسفته تنطبع بطابع المفارقات غاير به معاصريه بتفكيره النقدي الصارم.

ومن الملاحظ أن معظم الدراسات التي تناولت فكر كواين ظلت تتعلق، في معظمها، بمناقشة أو عرض أو نقد دعوى واحدة، في حين نجد أن الدراسات الشاملة لفلسفته جد قليلة. وهذا الواقع إنما يدل على المشقة التي تكلفها ملاحقة فكره. ومن هنا، تتحدد أهمية فلسفة كواين وما تحظى به من عناية قصوى، في كونها فلسفة نقدية سجالية وضعت حدًا للبرنامج الفكري للفلسفة التحليلية، وقدمت تصورات وطروحات في مجال فلسفة المنطق واللغة و فلسفة العلم ... و استأثرت باهتمامات فلاسفة وعلماء و لسانيين كبار من عيار نعام تشومسكي Noam Chomsky.

لقد أشرنا إلى أن مهمتنا ستكون مزدوجة تتحدد في عرض أفكار هذا الفيلسوف والتعريف به في لغة الضاد، وبمسيرة حياته الفكرية بثوابتها وتقلباتها كما تقدم، ثم في تقويم هذه الأفكار لتبيان قيمتها العلمية

وفائدتها الفلسفية وآفاقها النظرية. ونشير هنا إلى أن كواين يعرض أفكاره بمنتهى الدقة والصرامة نظرا لتشبعه بالروح الفلسفية المعاصرة المعتنقة للنزعة العلمية، ولاشتغاله العميق باللغات الصورية والصيغ الرمزية. لقد زار "كواين" كما أشرنا قبل قليل، حلقة فيينا Vienna circle في شبابه، وكانت "فيينا" معقل الوضعيين المناطقة. ويظهر، للولمة الاولى، أنه تأثر بروادها نسبيا غير أن تأثره بهم لم يصل إلى حد أن يتبنى فلسفتهم، وإنما راح يُقَلِّب ويراجع أفكارهم ويجادلها إلى درجة يمكن أن نقول معها أن فلسفته قد نشأت في شكل حاشية نقدية تشمل ردوده ومراجعاته وانتقاداته لدعاوهم الفكرية.

يرى كريستوفر هوكواي Christopher Hookway⁶ أن فلسفة كواين ينبغي أن نفهمها في سياق ردوده على مواقف التجريبيين من خلال كارناب الذي يعتبر فكره تعبيرا خالصا عن روح التجريبية المنطقية: "غالبا ما تهمل قوة حجج كواين عندما لا نعتبر أنه يعترض على صورة النزعة التجريبية ويهاجمها من خلال أعمال رودولف كارناب"⁷.

لا تنفك التجربة الفلسفية عند كواين عن التجربة العلمية. فهو منطقي تمرس بأعقد القضايا الرياضية – المنطقية، وخبر أعرق العضلات

Hookway, CH; (1988); **Quine, Language, Experience and Reality**. Polity .Press. -⁶
Cambridge.p.8.

Ibid .p.2.-⁷

الرياضية ذات الطابع الصوري الخالص وحقق أدق نكتها وصاغ أحكم التبيكيات للعديد من القضايا المنطقية المثبتة.

لقد تتلمذ كواين، كما قلنا في السابق، على يد وايتهد الذي صاغ مع برتراند راسل مشروع رد الرياضيات إلى المنطق وتأثر تأثرا بالغيا بكل من ليويس Lewis ، وجون ديوي J.Dewey وبيرس C.S.Peirce وغيرهم ممن جعلوه يحيا ما شهدته الفلسفة المعاصرة من تقلبات على الخصوص الصراع، في الفلسفة الأنكلوسكسونية، من أجل الحفاظ على التقليد التجريبي المنحدر من داود هيوم D.Hume مع الميل إلى المذهب الذري Pragmatism.

تنطوي فلسفة كواين على رؤية نقدية أصيلة تجسدت بالخصوص في انتقاده لمعتقدات النزعة التجريبية وتقويضه للمنطلقات النظرية الكبرى للفلسفة التحليلية، وبلورته لتصورات جديدة لفلسفة العلم والمنطق وفلسفة اللغة.

نجد، على سبيل المثال، في مقالته الشهيرة "عقيدتنا النزعة التجريبية"⁸ المنشور سنة 1951 أبرز دعوى نقدية توجهت إلى صميم التجريبية وقوضت معتقديها الأساسيين. وهي مقالة تحمل قيمة تاريخية كبرى أثار فيها كواين مناقشات عديدة كانت وراء أعماله الفكرية اللاحقة. أما المعتقدان اللذان نقضهما كواين فهما:

(أ) الاعتقاد في ثبوت ورسوخ التفريق بين التحليل والتركيب؛

⁸ - Quine (1953), "Two Dogmas of Empiricism", in **From a Logical Point of View**.

Cambridge, Mass. : Harvard.

(ب) الاعتقاد في نزعة الرد Reductionism التي تفيد أن تكلمنا عن

العالم الخارجي يرتد إلى علائق المنطق ووقائع المادة Facts of Matter .

يصرح كواين أنه قد طور نقده لدعاة التفريق بين التحليل والتركيب انطلاقاً من استفادته من مناقشات كان قد أجراها فيما سبق، ابتداء من 1939 مع كل من حجة الوضعيين المناطق كارناب ومع كلٍّ من ألونزو تشورش Alenzo church وألفرد تارسكي Alfred Tarski ومورتن وايت Morton White ونلسن غودمن Nelson Goodman. وقد كانت تلك المناقشات والمساجلات النقدية ذات طابع أدبي (=غير صوري).

لقد هيمن الاعتقاد في التفريق المعرفي (=الإبستمولوجي) بين القبلي a priori والبعدي a posteriori بالنسبة للتجربة على الفكر الفلسفي إلى جانب التفريق الميتافيزيقي بين الضروري Necessary والممكن أو الحادث Contingent فراح الوضعيون المناطق والفلاسفة التحليليون يمضون إلى أبعد مدى في هذه الدعاوى إلى أن تبنا إمكانية ردّ الرياضيات إلى نظرية المجموعات، ورد نظرية المجموعات إلى المنطق التي نادى بها كلٌّ من راسل Bertrand Russel ووايتهد بعد أن مهد لها غ. فريغه G. Frege في كتابه أصول الحساب⁹.

⁹ - Frege (Gotlieb) (1884) , *Grundlagen der Arithmetik* ; Breslau .Reprinted with English translation as *The Foundations of Arithmetic*, New York : Philosophical Library , and Oxford : Blackwell, (1950).

يرى بول غوشيه P. Gochet¹⁰ أن وضع كواين يتميز عن الفلاسفة المعاصرين له، في هذا السياق، وفي غيره من استشكال القضايا المنطقية الفلسفية، بكونه يثير كثيرا من المشكلات التي تدفع إلى ضرورة الاجتهاد. وهذا ما يفسر أصالة تفكيره فإثارة المشاكل في الفكر إنما هي بمثابة تخصيصه وبعث روح الجدة فيه. كما يرى بريسلي Preseley أن فلسفة "كواين" لا تُقدَّر بمجموع الفلاسفة الذين اتفقوا مع أفكاره أو تبناها، وإنما تُثَمَّن بما أثاره من مشكلات وقضايا، وبما فتحته من مجالات وآفاق للتفكير تشهد على انتباهه لأدق المسائل في المنطق والفلسفة وفلسفة المعرفة عموما. يخلص بريسلي إلى تقديم هذه اللمحة الموجزة عن حياة كواين الفكرية ومسيرتها التي ترصد التحولات الكبرى:

"نشرت معظم أعمال "كواين" ابتداء من سنة 1947 وفي سنة 1960 قام بصوغ دعاويه في موقف محكم، فقد كان قد وضع هذه الدعاوى مبكرا بعشر سنوات من هذا التاريخ الأخير. وفيما بين 1947 و 1960 اعترت أفكاره بعض التحولات. فمن تصريحه سنة 1947 القاضي بأنه لم يعد يؤمن بوجود ذوات مجردة، لم يعد ليقبل وجود ذوات من هذا القبيل وإنما ليدعي، أيضا، أنه كان دائما يفعل ذلك، ومن اعتبار الظاهراتية، سنة 1948 خطاطة مفهومية Conceptual Scheme ، مناسبة لبعض الغايات، عاد كي ليرفضها؛ ومن تشبته سنة 1951، بأننا يمكن أن نغير قوانيننا المنطقية،

¹⁰ - P. Gochet (paul) (1978) ; **Quine en Perspective** , Flammarion ; paris ;P ;14.

ظهر أنه عاد ليعتقد أنه لا وجود لشيء يمكن أن نعتبر أنه يغير قوانيننا المنطقية"¹¹

لقد صرح "كوين"، بالفعل، سنة 1947 في مقال مشترك مع نيلسون غودمند بأن الذوات المجردة Abstract Entities لا معنى لها، فنثر حولها شكوكا. فالمجموعات والعلاقات والخصائص وما إلى ذلك لا وجود لها من جهة الاعتبار المادي، إن هي إلا مجرد "طرق في التكلم عن الأشياء". وهذه الشكوك الخطيرة ارتبطت بميل غودمند وكواين إلى وضع خطوات تأسيسية لنزعة إسمية بنائية:

"لم نعد نؤمن بوجود ذوات مجردة؛ فلا أحد يفترض أن للذوات، نحو المجموعات والعلاقات والخصائص،... إلخ، وجودا في الزمان والمكان وإنما نقصد إلى شيء أكبر من هذا: إننا نرفض وجود الذوات المجردة جملة وتفصيلا"¹².

غير أن "كوين" سيعود ليغير موقفه من الذوات المجردة سنة 1953 في كتابه: من وجهة نظر منطقية الذي ضم من بين مقالاته مقالته الشهيرة:

¹¹ - Preseley, C.F., (1969) ; « QUINE » .in *Encyclopedia of Philosophy* , P.Edwards

Mc Millan. London . Vol .7.p.55 ff

¹² - Hookway, CH.,(1988), *Quine , Language, Experience and Reality* .Polity. Press

Cambridge .p.13

"في الموجود" وهي مقالة نواة لدعواه القاضية بنسبية
الأنطولوجيا Ontological Relativity.

لقد اعتنق "كواين" في وقت مبكر من حياته الفكرية، التصور
الفيينومينولوجي (= الظاهراتي) إلى جانب سيطرة النزعة الأداتية على
فكره حيث كتب تحت تأثيرهما في مقالته "في الموجود" 1948¹³ ما أفاد به
أن التصور الظاهراتي هو أنسب وأولى معرفيا من باقي الخطاطات
المفهومية:

"من بين الخطاطات المفهومية المتنوعة، نجد، أن أكثر هذه المقاربات
ملاءمةً، خطاطة مفهومية واحدة، هي الظاهراتية التي تستحق أن تحظى
بأولوية معرفية epistemological priority"¹⁴.

ويعود إعجاب كواين بالظاهراتية إلى ميلها إلى عدم الإغراق في التجربة،
كما يعود إلى احتكاكه بأعمال برنطانو Brentano هسرل E. Husserl
فالأنطولوجيا الطبيعية أو الرياضية، في التصور الظاهراتي، إن هي إلا
طرائق نظرية تتحدد من وجهة نظر معرفية (= ابستمولوجية) بكيفية
نسبية. فأنطولوجيات الموضوعات الطبيعية والرياضية "مجرد أساطير"،

- Quine (1953), *From a logical Point of view*, op. cit., p. 19.¹³

- Ibid., p. 19.¹⁴

و"خاصية الأسطورة"، مع ذلك، هي أنها نسبية تابعة، في هذه الحالة، لوجهة النظر المعرفية.

غير أن كواين سرعان ما سيلفظ، في الأخير، التصور الظاهراتي الذي مجده في مقالته سنة 1948. وقد اعترى هذا التحول فكر "كواين" عندما اتخذ الموقف القاضي بأننا يمكن أن نعدل أو نغير القوانين المنطقية Logical laws حين نواجهنا تجربة ممتنعة. ومن الملاحظ أن هذا الموقف يرجع إلى بحوثه في طبيعة الصدق المنطقي وانحرافاته، وأنواعه المتباينة أو المتكاملة.

هناك قرائن كثيرة تدل على تقلبات "كواين" الفكرية انطلاقاً من ميولاته الظاهراتية والأداتية وتعاملاته الإسمية المتمثلة في النزعة الصورية formalism المعاصرة إلى نزعتيه الفيزيائية والطبيعية. وما هذه القرائن إلا دلالة على احتكاكه بأعمال فذة طبعت الفكر المعاصر رادها شيوخ الفلسفة المعاصرة ونفسانيات المعرفة (= سيكولوجيا المعرفة Cognitive Psychology) واللسانيون والمناطق...

وكما سبقت الإشارة، فقد تشبع كواين بأفكار كل من هسرل وبرنطانو، ثم اعتنق النزعة الطبيعية لأستاذه جون ديوي J. Dewey وأستاذه لويس Lewis، وغيرهم، كما تأثر بأعمال اللسانيين أمثال ليونارد بلومفيلد Bloomfield وفايس Weiss، وإيماناً منه بالتصور السلوكي، هاجم كواين النزعة الذهنية mentalism، وأجهز على النظرية الفكرية Ideational أو نفسانية المعرفة

القاضية بأن مضامين الألفاظ مُتَحَصِّلة في الشعور بواسطة الاستبطان introspection. وهذا الموقف يثبت أن الألفاظ إن هي إلا تكتلات الأفكار، وأن اللغة مجرد أداة للتواصل تقول على أساس ضرورة سبق المعاني في الأذهان.

يتبنى كواين النزعة السلوكية لأنها أكثر اقترانا بنزعته الطبيعية، فقد جعلت الأولى المعاني عامة ترجع إلى القائلين بها في سياقات تواصلية محددة موضوعيا. وينسجم هذا الموقف مع عدم اعتراف كواين بوجود المعنى مستقلا في أذهان المتكلمين. ولعل تأثره ببلومفيلد كان وراء دعواه القائلة بشمولية الدلالة semantical holism: "لقد أوحى قراءة كواين لأعمال بلومفيلد بشمولية الدلالة، أي بتلك الدعوى القاضية بأن معنى الألفاظ لا يستقل عن الفائدة المتعلقة بمسميات الألفاظ"¹⁵.

سوف تسمح لنا ملاحقة كواين في تقلباته وثوابته الفكرية بالتعرف على مدى الخصوبة التي ميزت فكره برؤية نقدية تخلق التوترات في التقديرات المثبتة مما جعل البعض يرى أنه فيلسوف مفارقات. ويشير إ. ديلمان¹.

¹⁵ - Largeault (J.) (1980) : *Quine, Questions de mots, questions de faits*, Toulouse, Privat, p. 44.

Dilman في كتابه كواين الأنطولوجيا والضرورة والتجربة¹⁶ إلى أن فلسفة "كواين" فلسفة محكمة ومترابطة أيما ترابط إلى درجة أنك :

"لا تستطيع أن ترفض، بسهولة، فكرة من الأفكار التي يقول بها دون أن يكون عليك أن تُسائل الكثير من الأفكار الباقية التي قال بها. وأن يقدر المرء على بناء حصن فكري من هذا القبيل لهو أمر يتضح أنه يحتاج إلى حذق ومهارة عاليين. وإن "كواين" ليعد، بدون شك، مفكرا ثاقب الذكاء"¹⁷.

تثبت شهادة ديلمان أن قيمة فكر كواين ترجع إلى تكوينه النظري الذي جمع بين الصوريات والعمق الفلسفي. فهو منطقي بالأساس يعتقد أن مهمة الفلسفة إنما تتحدد في بناء نظريات مجردة وقد سلك وفق ذلك. "تذكرنا مساهمته الفلسفية بمساهمة ب.ف. سكينر B.F. Skinner في علم النفس"¹⁸.

لقد استفاد "كواين" من خصوبة السجلات النقدية التي دارت في مطلع هذا القرن وسعى إلى وضع فلسفة تعي ضرورة تنسيق المعرفة التصورية Conceptual Knowledge. والآن فلنبسط الكلام في المسار الفكري لكواين

¹⁶ - Dilman, Ilham, (1969) : **Quine, ontology, necessity and experience** philosophical essays on W.V. Quine.

¹⁷ - Ibid, see intro. P. VI.

¹⁸ - Ibid., p. IX.

لنستكشف محطاته الأساسية وتقلبه بين متغيراتها العارضة وثوابتها المؤسسة.

2. المسار الفكري:

أولا، المتغيرات الفكرية:

سوف نتعرض في هذه الفقرة لنزعات اعترت فكر كواين، ومنها ما جعله يستلهم منها بعض معطيات نظرياته في المنطق والأنطولوجيا وفلسفة العلم، وهي تباعا: الظاهرية، والأداتية، والذرية أو البراغماتية، والموضوعية.

1- النزعة الظاهرية:

يرصد كثير من الباحثين المهتمين بفكر كواين مساره الفلسفي في مرحلتين أساسيتين. فقد خضع، في المرحلة الأولى، لميولات أداتية وظاهرية، ومرحلة ثانية انطبعت فيها فلسفته بالواقعية والنزعة الطبيعية خصوصا في دعواه التي قال فيها بالمعرفة المطبوعة Epistimology naturalized.

ونجد المرحلة الأولى في مؤلفه: من وجهة نظر منطقية، أما المرحلة الثانية، فقد تجسدت في مؤلفه الكلمة والشيء. ويرى ج. ك. سمارت J.J. K. Smart¹⁹

¹⁹ - J.J. Smart, (1969 : « Quine's philosophy of science » in D. Davidson and J. Hintikka (eds.) (1969) , **Words and objections**, Dordrecht MD. Reidel, p. 3.

أن النزعة الذرية والنزعة الأدائية قد سيطرتا على أعمال كواين المبكرة إلى جانب النزعة الظاهرية :

"يمكن أن نستخرج من كتاب "كواين" الكلمة والشيء فلسفة دقيقة ومحددة للعلم... وهناك صيغ مبكرة لفلسفة العلم نجدها، مثلاً، في كتابه من وجهة نظر منطقية الذي يشتمل على ميولاته الفكرية الظاهرية والأدائية، غير أننا نجد في الكلمة والشيء أن هذه الميولات ستختفي تماماً لصالح فلسفة صريحة للعلم"²⁰.

لا مندوحة أن اطلاع كواين على أعمال هسرل وبرنطانو، على الخصوص، قد أثرت فيه مما جعله يمجّد المنهج الظاهراتي لولا تشبعه بالسلوكية واقتناعه بأن ما وفرته بحوثه المنطقية والدلالية يجعله يأخذ بالنزعة التجريبية بعد تطهيرها من الوثوقيات، وما توصل إليه من تبكيات لدعوى الوضعيين المناطق جعله يعتنق نزعة واقعية نسبية ونزعة طبيعية واعية بحدودها.

يظهر أن كواين قد تخلى عن الظاهرية بتميز موقفه عن موقف برنطانو:

"يمكن لأحد ما أن يأخذ بدعوى برنطانو بالنظر إلى ما تقتضيه من القول بضرورة وجود لغة قصدية Intentional Idiom، وإلى أهمية وجود علم مستقل

²⁰ - Ibidem.

للمفهوم Science of intention أو يأخذ بدعوى انعدام الأساس الذي تقوم عليه اللغة المفهومية فيقول بفراغ علم المفهوم. ويتحدد موقفه، بخلاف "برنطانو Brentano، في الأخذ بالدعوى الأخيرة"²¹.

يتضح أن كواين قد وضع حدًا، بتصريحه هذا، لاعتباراته السابقة التي مجّد فيها الظاهرانية ودورها المعرفي. ويبدو أنه برفضه القطعي لنظرية المعنى ألغى كلّ تصور يفترضها أو يقوم عليها. وهذا راجع بالأساس إلى تأثره بالنزعة الذريعية التي طبعت فلسفته خصوصاً تأثيرات أعمال أساتذته لويس وبيرس Ch. S. Peirce وديوي وغيرهم. وخلال استعراضه للمواقف الوسطوية من الكليات، انتهى كواين إلى ربط هذه المواقف بما يماثلها في القرن الحالي من مذاهب عرفت في حقل فلسفة الرياضيات:

"هناك ثلاث وجهات نظر ووسطوية تتعلق بالكليات عينها المؤرخون في الواقعية Realism ، والتصورية Conceptualism والإسمية. وقد عادت هذه المذاهب الثلاثة إلى الظهور، بالأساس، في التقويمات التي شهدتها فلسفة الرياضيات في القرن العشرين تحت أسماء جديدة هي النزعة المنطقية Logicism ، والنزعة الحدسية Intuitionism ، والنزعة الصورية".

ويواصل كواين مقارنته في ربط المذاهب المعاصرة بالمواقف التقليدية، حيث يرى أنه إذا كان أفلاطون قد ذهب إلى الأخذ بالذوات المجردة

²¹ - W.V.O Quine (1960) : **Word and object**, M.I.T. Press, p. 224.

وأعطاها وجودا واقعيا ومستقلا عن العقل "حيث يمكن للعقل أن يكتشفها <أي الكليات> ولكنه لا يستطيع خلقها مما جعل الوسطيين يتبنون هذا الموقف من الكليات، فإن هذا الاعتبار قد تسلسل إلى النزعة المنطقية ومثله كل من فريغه وراسل وتشورش وكارناب²².

أما النزعة التصورية فقد أقرت بوجود الكليات لا كذوات مجردة قائمة الوجود وإنما اعتبرتها مجرد شيء من "صنع العقل" mind-made؛ وأما النزعة الحدسية فقد حصرها "كواين"، بصورة أو بأخرى، في أعمال كل من بوانكاريه Poincaré و"براور Brouwer وفایل Weil فالكليات إن هي إلا موضوعات أو اتفاقات مخترعة.

وأما النزعة الإسمية فإنها تقتزن بهلبرت الذي نسّق الرياضيات وصوّنها، ف"الصوري" أو الإسميّ النزعة والواقعيّ أو المنطقيّ النزعة والتصوري أو الحدسي، إنما ينطلقون من أنطولوجية مخصصة تكون بحسب رؤيتهم. يلخص لارجو Jean Largeault²³ ما نجده من مذاهب في الفلسفة المعاصرة باحثا عن وضع كواين في سياقه الفلسفي الخاص، ونرى أن نذكر هذه الاتجاهات لنخلص منها إلى تحديد مواقف كواين:

- W. Quine, (1953): **From a logical Point of View**, op. cit., p. 14.²²

- Largeault (1980): **Quine, Questions de mots, questions de faits**, op. cit., p. 20²³

et suiv.

1. هناك أولاً ما تعرضت له المجموعات من نقد انصب على رفضها باعتبارها موضوعات مجردة وغير طبيعية؛

2. اتباعاً لمبدأ الاقتصاد الأنطولوجي، حصل امتناع عن التعامل مع المحمولات *predicats* باعتبارها أسماء للمجموعات أو الصفات؛

3. لا يعود الاعتراض على المعنى (القضايا في ذاتها، الصفات، الفئات، ... إلخ) بالضرورة، إلى كون 'المعنى' غير ملموس، وإنما يتأتى هذا الاعتراض من كوننا نعجز عن تقديم معيار يصف ويفسر تكافؤ المعاني (= الترادف، التحليلية... إلخ).

4. لقد بُذلت مجهودات كبيرة لإثبات عدم وجود الذوات المجردة لأن وجوداً لذوات من هذا القبيل ليس ضرورياً في العلم الطبيعي. ويرى لارجو أن ماخ Ernest Mach ظن أنه قد برّر الميكانيكا التحليلية (لاغرانج Lagrange، هملتون Hamilton) مبيناً أنها لا تتضمن شيئاً لا يقبل الردّ إلى تراكيب (= أو صيغ) مؤلفة من مفاهيم عيانية ورياضية.

فبما أن إرنست ماخ يماثل الوقائع، مأخوذة في الزمان والمكان، بالمعطيات الهندسية أو الظاهرة، فإن القسم النظري من الميكانيكا يكتفي بلغة المحسوسات وينسّقها بوسائل منطقية ورياضية ذات قيمة أدائية²⁴.

2- النزعة الأدائية:

²⁴ - Ibidem.

لقد سيطر الميل الأداتي على كثير من النزعات والمذاهب الفكرية. ومعلوم تاريخياً أن موقف ماخ هذا قد أثر، بالغ الأثر، في الفلاسفة الوضعيين المناطقية. نجد، مثلاً، أن كارناب في كتابه البناء المنطقي للعالم²⁵ يقترح إعادة بناء العالم الموضوعي انطلاقاً من مجال تجريبي ضيق ومحدود.

نجد للأداتية أصولاً في الداروينية التي أبرزت أن الكائن الحي يتكيف مع محيطه بما يمتلكه من وسائل، وقد طور جون ديوي هذا المفهوم حيث اعتبر أن الإنسان يملك أداة هي العقل تمكنه من مواجهة المشكلات وحلها؛ ولهذا بادر ديوي بتطبيق مبادئ الأداتية في المنطق، ومعلوم أن كواين كان قد تأثر، كما أسلفنا، بأستاذه هذا.

ونتيجة لذلك وجدت النزعة الأداتية مكاناً لها في خضم التعثرات التي اعترت العلماء في تأسيس المنطق والرياضيات، ومع ذلك فقد تحفظ كواين بشأن هذه النزعة معتبراً أن الاعتبارات الأداتية شأنها شأن الاعتبارات القائمة على المواضعة تنشأ عندما تكون هناك ثغرات في النظرية يتم سدها بمثل هذه الذرائع.

يتحدد مشروع كواين، بالأساس، في وضع حدٍّ للبرنامج الوضعي التجريبي القائل بإمكانية رد الواقع إلى لغة محكمة باعتماد أداة التحليل المنطقي، ومن هنا اقترح دعاوى سنعالجها في هذا الجزء وفي غيره، وهي دعاوى

- R. Carnap (1928) *Der Logische Aufbau der Welt*, Berlin.²⁵

النسبية الأنطولوجية ومبدأ الالتزام الأنطولوجي القائم على دعويين مترابطين هما دعوى امتناع تمحيص الإحالة، ودعوى امتناع تحدد النظرية العلمية، داعيا إلى نزعة تجريبية بدون معتقد.

لقد قام كواين، في هذه الأجواء، بنقض التصورات الوضعية القائلة بإمكانية ردّ كل القضايا إلى التجربة والمنطق. ويعتبر هوكواي أن عمل كواين ينبغي أن يفهم أنه معارض للأصول التجريبية المنطقية متمثلة، على الخصوص، في أعمال رودولف كارناب²⁶، لذا فإن تقلبات كواين الفكرية التجريبية والذريعية والطبيعية وغيرها إنما اعترت فكره من خلال تقلبيه وفحصه لدعاوى التجريبية المنطقية.

هناك أيضا مجال المنطق وفلسفة اللغة اللذان غزيا فكر كواين مثلا أعمال تشورش و"لوفنهايم" Lowenheim و"سكوليم" Skolem و"راسل" و"ايتيد" وبراور Brouwe وغيرهم. فبعد أن أخفقت طريقة التنسيق المنطقي لنظرية المجموعات، وباءت عملية رد الرياضيات إلى نظرية المجموعات، ورد نظرية المجموعات إلى المنطق بالفشل، وبعد أن تبين فشل المشروع الذي يسعى إلى إقامة منطق كلي مع كل من "فريغه" و"راسل" و"فتغنشتاين" Wittgenstein يقوم على ما هو مشترك بين جميع الألسن واللغات؛ ظهرت أشكال جديدة للمنطق أبرزها المنطق الحدسي والمنطق

²⁶ - Hookway (1988) : Quine, Language experience and Reality, op. cit., p. 26.

الثلاثي القيم والمنطق الكوانطي، وما إلى ذلك من أنواع موسعة للمنطق الكلاسيكي أو منحرفة عنه

3- النزعة الذريعية:

لقد انهار الاعتقاد في إمكانية نقل الواقع إلى لغةٍ محكمة تقابل حدودها، الواحد بالواحد، معطيات التجربة. ولما تعددت اللغات الاصطناعية وتنامت أشكال المنطق المنحرف، مال الفلاسفة إلى المواضعة أو الاتفاق الذريعي أكثر من ميلهم إلى الواقعية والموضوعية ومطابقة الواقع.

وهكذا أدخل كارناب الاعتبار الذريعي في كتابه حول منطق الجهات الذي أعلن فيه أن التكلم عن الذوات المجردة، مثلاً، إن هو إلا تنوع لصيغ الكلام أو طرائق في التعبير. وسنجد بصمات هذه الفكرة في أعمال كواين المنطقية. فالعبارة: هل هناك وجود للكليات؟ تصبح أكثر تعبيراً عندما نعبر عنها بهذه الصيغة:

"هل يمكن أن نتبنى إطاراً لغوياً Linguistic Framework تستعمل..."
كلي "كواحد من حدودها الكلية الأساسية"²⁷.

انقلب "كارناب"، بناء على هذا الموقف، منقلبا جديداً أكثر تعقيدا وأميل إلى النسبية منه إلى الجزم القاطع بأن الصرامة المنطقية ستحل كل الإشكالات الفلسفية. هكذا تصور "كارناب" إمكانية تعدد البنيات

- Ch. Hookway (1988) : Quine, language..., op. cit., p. 48.²⁷

اللغوية شريطة أن تضم كل واحدة منها نسقا من القواعد بحيث يحصل فيها كل لفظ على معناه بواسطة المبادئ التحليلية Analytical principles أو مسلمات المعنى Meaning postulates.

لقد أصبح "كارناب" يقر بضرورة إدخال "الاعتبارات الذريعية" pragmatic considerations التي يجب أن تتدخل في بنائنا للغة؛ فعندما نحدد البنية اللغوية التي نستعملها، فإننا لا نُعنى، بالتالي، بصدقها وإنما نُعنى بالاعتبارات الذريعية. يرى "هوكواي" أن الاعتبارات الذريعية التي تتوخى البساطة والمنفعة Usefulness إنما تصدر عن تبني البنيات اللغوية:

"تتجلى هذه الصورة عن اختيار البنية اللغوية في مقالة "كارناب" 'مبدأ التسامح' Principle of tolerance المسمى أيضا مبدأ اصطلاحية الصور اللغوية Language frameworks"²⁸.

وهذا ما دعا "كارناب" إلى التصريح في كتابه النحو المنطقي للغة 1937 بدعواه النسبية القائمة على مبدأ التسامح:

"في المنطق لا وجود للأخلاق، كل شخص حرّ في بناء منطقته الخاص، أقصد صورته اللغوية الخاصة، كما يحلو له"²⁹.

- Ibid., p. 32.²⁸

- Carnap, R., (1937) : **The logical syntax of language**, London, p. 51.²⁹

لقد ساهمت هذه التحولات التي عرفها فكر حجة الوضعيين المناطقية في بلورة كثير من أفكار "كواين" وتطعيم دعاويه النقدية المبكرة، وشكلت انتقاداته له سنده القوي للهجوم على معتقدات التجريبية المنطقية لاحقاً، كما أجرت أشكالاً من القلب والتحويل في مواقفه.

والآن لنول وجهنا شطر المسألة التي أثرتها قبل قليل. وتتحدد في انتقال فكر "كواين" إلى النزعة الموضوعية. وستجعلنا ملاحقة فكره التي رصدنا منها تغيرات المواقف من الظاهرية والأدائية إلى الذرية حيث تغلبت النزعة النسبية على فكره في مقارباته ذات النزعة الطبيعية naturalism والنزعة الفيزيائية Physicalism ثم النزعة الواقعية.

4- النزعة الموضوعية:

أقام كارناب تمييزاً بين الأسئلة الداخلية والأسئلة الخارجية External and internal questions وجعل الفلسفة العلمية تضطلع بدور صوغ النحوا المنطقي للغة العلم فتصف وتدرس خصائص الأطر اللغوية Language frameworks. ويمكن الرجوع إلى هذه الأطر اللغوية بغية مناقشتها وتقرير المبادئ المعيارية للتنسيق التي تفرضها كل بنية لغوية على كل من يأخذ بها. وعلى هذا الأساس، ستغدو الفلسفة، مجرد تحليل نحوي منطقي للغة العلم.

رفض "كواين" هذا الموقف لما تبين له أن "كارناب" قد تهافت في تمييزه بين الأسئلة الداخلية والأسئلة الخارجية، وبالتالي بين الصيغة المادية Material

mode للكلام والصيغة الصورية Formal mode. فقد تبين أن كل الأسئلة تكون خارجية لأننا عندما نتكلم عن الموضوع الخارجي فإننا لا نحدده ماديا، والتزامنا الأنطولوجي يكون تبعا لأسلوب تكلمنا عن العالم الخارجي. كل الأسئلة إذن خارجية لأن العالم التجريبي، مثلا، عندما يسائل الواقع الموضوعي فإن أسئلته لا تكون داخلية إذ يكفي أن نعرف أن النظرية التي يضعها لا تقابل الواقع ولا تطابقه وإنما تقاربه (= دعوى امتناع تحدد النظرية العلمية Underdeterminacy of scientific theory).

وتفيد هذه الدعوى أن النظرية العلمية لا يمكن أن تقرر بشأن الظواهر تقريراً قطعياً لأنها لا تقابل الواقع، بل تقاربه وقد أثبت فقهاء العلم أمثال "ديوهيم" Duhem وبوبر K. Popper وفيرابند Feyerabend وغيرهم ذلك. ولنا عودة إلى الموضوع حين سنتناول مسألة الشمولية وامتناع تحدد النظرية العلمية عند "كواين" في الجزء الثالث من هذا العمل.

يرجع "هوكواي" تمسك "كارناب" بدعواه القاضية بالتضاد بين الأسئلة الداخلية والأسئلة الخارجية إلى ثلاثة أسباب:

السبب الأول: ويكمن في أن هذا التمييز يقدم أداة لفحص وتشخيص وعلاج أخطاء الفلسفة التقليدية. فعندما يناقش الفلاسفة مسألة ما إذا كان هناك وجود للموضوعات الطبيعية أم للكليات، فإنهم يستعملون 'أسلوباً أو صيغة مادية' في التكلم عما يمكن التعبير عنه بأسلوب أو بصيغة صورية، باعتبارها تتعلق بالتعبير اللغوي أي أن الأمر يتعلق بما

إذا كان من الممكن تبني إطار لغوي معين. لنعد إلى المثال السابق، تغدو العبارة:

هل هناك وجود للكليات؟

عبارة أقل التباسا عندما ننقلها إلى الصيغة التالية:

هل يمكن أن نتخذ بنية لغوية تستعمل '... كلي' كواحد من حدودها الأساسية؟

إن هذا التصور الذي أقامه "كارناب" هو ما سيجهز عليه "كواين" بنقضه للمعتقد التجريبي الذي يتخذ "التفريق بين الميتافزيقا النظرية والعلم الطبيعي" أساسا له³⁰ فإذا صح أن كل التصورات الميتافزيقية تتأتى من الخلط بين الأسلوب المادي والأسلوب الصوري في الكلام، وإذا صح أن كلامنا عن الكليات إنما هو، في الحقيقة، كلام عن اللغة، صح معه ما ذهب إليه "كارناب" بتمييزه بين الأسئلة الداخلية والأسئلة الخارجية. وبناء عليه سيظل تصوره محافظا على معقوليته لأنه سيكون مؤسسا على اعتبارات ذريعية وواقعية في آن واحد.

السبب الثاني أما السبب الثاني لتشبث "كارناب" بالتمييز بين الأسئلة الداخلية والأسئلة الخارجية فيتجلى في القيمة التي يحملها هذا التمييز إلى

- Quine,, (1953) : From a logical point of view, op. cit., p. 20.³⁰

الفلسفة العلمية التي ستضطلع بوصف ودراسة خصائص البنيات اللغوية.

ج . وأما السبب الأخير فيتمثل في العلاقة المتعاضدة بين الذريعية والموضوعية التي يحفظها هذا التفريق خصوصاً بعد أن وقع كارناب تحت تأثير دوهم P. Duhem الذي أخذ عنه بأن عبارات لغة العلم لا تقابل الوقائع بمعزلها عن الإطار النظري الذي تؤطره هذه النظرية العلمية. وهذا ما سيستلهمه "كوين" ليقول بدعوى الشمولية الدلالية Holisme .sémantique

يمكن أن نحدد العلاقة بين الاعتبار الموضوعي والاعتبار الذريعي عند كارناب في أن التساؤل الداخلي المنبعث من صلب منظوربنية لغوية لا يتوقف الجواب عنه على من يأخذ بهذه البنية اللغوية. فالقواعد وحدها ستحدد، في ضوء التجربة، صدق أو كذب الإجابة المتاحة، بينما عندما نطرح سؤالاً خارجياً من قبيل : 'هل هناك وجود للموضوعات الطبيعية؟' « Are there physical objects ? »، فإن ما يحصل هو الانتقال من الموضوعية إلى الذريعية؛ وهنا "يعكس الجواب متاح أذواق ومصالح... وأغراض الشخص الذي يطرحه... فاختيار البنية اللغوية، يعكس المصالح الذاتية ولا يعكس التطابق مع واقع موضوعي مستقل"³¹.

³¹ - Hookway, (1988) : Quine , language..., op. cit., p. 49.

إن ما سيقف عليه "كوين" هو عدم نجاعة هذا التفريق الذي أقامه "كارناب" بين الأسئلة الداخلية والأسئلة الخارجية، وبالتالي بين الأسلوب المادي والأسلوب الصوري في تكلمنا عن العالم الخارجي ودليله في ذلك دعوى امتناع تمحيص الإحالة *Inscrutability of reference* والنسبية الأنطولوجية *Ontological relativity* والشمولية الدلالية، حيث إن كل أساليبنا وصيغ تكلمنا عن العالم الخارجي تحمل التزامنا الأنطولوجي، وبناء على رتق "ثنائية التحليل والتركيب" التي كانت أساس التفريق المفترض بين "الميتافزيقا النظرية والعلم الطبيعي" إلى جانب نقض "كوين" للنزعة الاختزالية *reductionism*، أصبح القول بوجود فرق في أسئلتنا بين ما يتعلق منها بالخارج وما يتعلق منها بالداخل أمرا لاغيا:

"لقد أصبحت الاعتبارات الذريعية الكارنابية متعلقة بكل الأسئلة بمجرد أن تم رفع التضاد القائم بين الخارج والداخل"³².

إن اتخاذ الموقف واقعي تجاه الموضوع المادي، واعتبارنا له كشيء موضوعي يتضمن اعتقادنا في كون الإجابات الصحيحة عن الأسئلة التي تطرح بخصوصه ليست متوقفة على ذواتنا. فمعرفة ما إذا كانت العبارة صادقة لا تتأثر بعملية البحث التي تتجه نحو اكتشاف ما إذا كانت عبارتنا صادقة.

³² - Ibid., p. 50 ff, and Quine, (1953) : op. cit., p. 40.

نجد في كتاب من وجهة نظر منطقية حضورا مكثفا لدعاوى تستند على النزعة الذريعية. نعم لقد سيطرت النزعة الذريعية على أعمال "كواين" لما لها من قيمة معتبرة في دورها في تحديد طرق بناء المعرفة. ولعلها تقلل من غلواء العقلانية ووثوقية النزعة التجريبية وتقضي على تسرب الشك إلى المعرفة.

وأهم ما استند عليه "كواين" يتمثل في إقراره بصعوبة الفصل بين العوامل الذاتية والموضوعية في أسس معرفتنا: "لكل الأسئلة (التي نطرحها بخصوص العالم الخارجي) نفس الوضع الذي يكون للأسئلة الخارجية. لقد أصبحت الواقعية العلمية أي المذهب القائل بأن المعرفة العلمية موضوعية فكرة مهجورة".

هناك تعارض بين التصور الذي يرى أن النزعة الذريعية تلعب دورا في المعرفة وطرق بنائها، والتصور القاضي بأن معارفنا ومعتقداتنا المعرفية موضوعية أي أنها تطابق الموضوع الواقع في العالم الخارجي. لقد رفع "كواين" هذا التعارض استنادا إلى إثبات أن الفكرة التي ترى أن الصحة المطلقة للصورة المفاهيمية Conceptual scheme تمثل مرآة للواقع، فكرة لا معنى لها:

"بصفتي تجريبي النزعة، ما زلت أعتقد أن المنوال التصوري الذي يعتمد عليه العلم هو، في نهاية المطاف، أداة لتوقع التجربة المقبلة في

ضوء التجربة الماضية. غير أن الموضوعات الطبيعية التجريبية تشمل بعض الوسائط الذريعية التي تكون عبارة عن مواضعات"³³.

لا يفاضل "كوين" بين الصورة الظاهرية والصورة الطبيعية لأن لكل منهما، في نظره، قيمتها الخاصة وفائدتها المحدودة وأهميتها ودرجة بساطتها في بلورة معارفنا: "يمكن أن يقال على كل واحدة منهما، مع ذلك، أنها أساسية وإن بمعنيين مختلفين: فالصورة الأولى أساسية من الناحية المعرفية، والثانية من الناحية الطبيعية"³⁴.

أية علاقة، إذن، بين الذريعية والموضوعية في فكر "كوين"؟ يرى "هوكوي" أن "كوين" قد تحول إلى الواقعية في كتابه الكلمة والشيء³⁵ حيث اختفت النزعة الذريعية لحساب النزعة الواقعية.

كثيرا ما يضطرب الباحث في فكر "كوين" أمام الأصالة والإبداع اللذين يطبعان أعماله المنطقية والفلسفية. فارتباطه ودفاعه عن الذريعية دفع بعض الباحثين إلى جعل فكره امتدادا للفلاسفة الأمريكان أمثال "بيرس" و"ويليام دجيمس" W. James و"دوجون ديوي" و"هنتر ميد" Hunter Mead خصوصا تأثير أستاذه "لويس"، واحتكاكه بالفلاسفة التحليليين. والواقع

- Quine, (1953) : « Two Dogmas of Empiricism » in **From a logical point of view**,³³

op. cit., p. 39.

- Ibid., p. 17.³⁴

- Quine, (1960), **Word and object**, M.I.T, Press.³⁵

أن فكر "كواين" قد نما في شكل حاشية نقدية لهذه الفلسفات المعاصرة حتى أن فلسفته تكاد تكون فلسفة مغايرة واختلاف.

يجد المتتبع المنتبه لتطور فكر فيلسوف "هارفارد" أن الأشواط التي قطعها قد انطلقت من أعماله المنطقية المبكرة التي فتحت له آفاق فكرية وفلسفية سجلها في شكل حواش وتحفظات نقدية بلورها، في مقالاته المؤسسة لفلسفته النقدية كاعتراضه على ثنائية التحليل والتركيب، واعتباره أن الجهات كالضرورة والإمكان أشياء نافلة لكونها لا تتعلق بموضوعات نتكلم عنها بل تتعلق بكيفية تكلمنا عن تلك الموضوعات.

لقد استفاد "كواين" من فشل مشروع رد الرياضيات إلى المنطق وتقدمت دعاويه كدعوى النسبية الأنطولوجية وامتناع تمحيص الإحالة وامتناع تحدد الترجمة وغيرها وامتناع تحديد النظرية العلمية من الدعاوى النقدية التي فطن إليها "كواين" فتفتقت آفاق فلسفته وارتقت مبادئها وأسسها وترسّخت ثوابتها.

لقد كان كواين منطقيا بالأساس اعتنى بأعقد المعضلات الصورية التي طرحت في حقل المنطق وفلسفة الرياضيات عقب سيادة الاتجاه الصوري أو الإسمية المعاصرة. وقد لعب تكوينه المنطقي دورا رائدا في بناء فلسفته التي انطبعت بالمراجعة الذاتية وبالتقلبات الفكرية. فما أن يعتنق كواين موقفا نظريا حتى نجده يهجره ليقارب تصورا جديدا.

وهذا الصدد يلاحظ "هوكواي" أن رفض "كواين" التعددية المتسامحة Tolerant Pluralism في مراجعته، مؤخرا لكتاب تلسون غودمن³⁶. بعد أن انتقل هذا الأخير إلى نزعة مضادة للتعددية الواقعية Anti- realist pluralism جعله يصف نفسه، في تعقيباته على كتاب غودمن المذكور، بكونه واقعي وموضوعي النزعة.

لقد اعتبر كواين أن الأساس الذي تقوم عليه كل العلوم هو العلم الطبيعي (= الفيزياء) لأنه مهما بعدت النظريات عنه فإنها إنما تستند إليه. إنها نزعة فيزيائية طبعت فكر "كواين". والدليل على واقعية وفيزيائية فيلسوف "هارفارد" يتجلى في عدم وفرة استعمال مفهوم الذريعية. ففي حين نلاحظ في "كواين" 1953 كثرة استعمال مفهوم الذريعية، نجد أن هذا المفهوم يختفي من فهرس المفاهيم في "كواين" 1960 في مؤلفه الكلمة والشيء³⁷.

لقد طغى على أعمال كواين المبكرة التأثير الظاهراتي والذريعي؛ وأما كتاباته الأخيرة فقد نحت نحو موضوعية وواقعية نسبية أو نزعة تجريبية معتدلة. وتتحدد واقعية "كواين" في إيمانه بوجود الأشياء الطبيعية وعدم اعتقاده في وجود المفاهيم المجردة. وعلى هذا الأساس تتحدد مهمة اللغة والعلم والفلسفة عند "كواين"، في إزاحة

³⁶ - Goodman, N. (1978), *Ways of worldmaking*, Indianapolis : Harckett.

³⁷ - Hookway, (1988), *Quine, language, experience and reality*, op. cit., p. 52.

التداخلات الحاصلة بين الظاهراتية والذرية من جهة والمواضعاتية والطبيعية والواقعية من جهة أخرى.

تسمح الظاهراتية يتمثل المقاصد المتعلقة بالتجارب ومعرفة خصائصها الظاهرة كحقائق باعتبار أن كل وعي، كما يقول "هُسّرل" هو "وعي بشي ما". فالظاهراتية تفيدنا، إذن، معرفيا. أما النزعة الفيزيائية فتتظر إلى الموضوعات الطبيعية من حيث تصديقها للغتنا العادية والعلمية معا.

"إنني أعتقد في وجود الموضوعات الطبيعية ولا أعتقد في وجود آلهة هوميروس، وأعتبر أنه من الخطأ العلمي القول برأي آخر. غير أن الموضوعات الطبيعية تختلف، من حيث الأساس المعرفي، عن الآلهة الهوميرية ولا تختلف عنها إلا في الدرجة وليس في النوع. فكل النوعين من الذوات يدخل في تصوراتنا في شكل مواضعات ثقافية لا غير"³⁸.

واضحة ههنا التأثيرات الظاهراتية، غير أننا نلمس أيضا الميل التجريبي الواقعي القائم على رسوخ الاعتقاد في النزعة العلمية الفيزيائية القاضية بأن كل العلوم يمكن أن تتحدد في جسم واحد من المعرفة يتجسد في العلم الطبيعي باعتبار أن العلم يخبرنا عن التاريخ الكلي وعن الخاصية الجوهرية للواقع بل إن "كواين" يجعل العلم الطبيعي (الفيزياء) أو في علم وأكملة بل هو العلم الحق بإطلاق.

- W.Q. Quine, (1953) : **From a logical Point of View**, op. cit., p. 44.³⁸

لقد انتهى بنا البحث إلى الوقوف على متغيرات فكر "كواين" حيث تعقّبنا حركة فلسفته وتشكلاتها الجنينية بدء من تأثيرات النزعة الظاهرانية وانتهاء بالنزعة الطبيعية مروراً بما خلفته النزعتان الأداتية والذريعية فخلصنا إلى أن هذه المتغيرات ستتفاعل، لا محالة، مع ثوابت فلسفة كواين. وما ينبغي أن نشير إليه هو أن هذه النزعات الموضوعية والذريعية والأداتية ستظل تمارس تأثيراتها الملحوظة في مسار تفكير كواين رغم كل ما يتبدى من هجره لها.

ثانياً، الثوابت

تطغى على فكر كواين نزعته الطبيعية المعتدلة التي حدث بنا إلى توصيف فلسفته بكونها تجريبية معتدلة تجاوزت دوغمائية التجريبية الوضعية مما سنح لنا كذلك بأن نعتبر فلسفة كواين فلسفة ما بعد النزعة التجريبية في الفلسفة التحليلية المعاصرة؛ ولهذا سنعرض بعض الثوابت التي حافظ عليها كواين جعلته فيلسوفاً تجريبياً بصورة واسعة.

سوف نبين كيف أن كواين لم يفرط في انتسابه للنزعة التجريبية التي زكّتها رؤيته الطبيعية للوجود، حيث إن كواين لم يعتبر العلم الطبيعي مجرد علم كسائر العلوم بل اعتبره العلم الشامل، وقد رسخت هذه القناعة ما جاء به السلوكية Behaviorism، فلنعرض هذه الثوابت التي لازمت فكر كواين، وشكلت لبناته الأساسية.

1- النزعة التجريبية:

من الملاحظ أن كواين لم يتجاوز، رغم ما أبداه من انتقادات للنزعة التجريبية ولل فلسفة التحليلية، وما أبانه من حدود لادعاءات أنصار اللغة المثالية، كافة المتعقدات التجريبية. فلم يحصل له أن رفض المذهب التجريبي بل حافظ عليه وأجرى عليه تعديلات، ويقوم أخذه بالمذهب التجريبي على مناداته بإقامة الفلسفة علما بتجاوز الوظيفة التحليلية للفلسفة التي أوكلها إليها الوضعيون المناطقة، فلم يعد ثمة فرق بين الفلسفة والعلم.

ومن الملاحظ، أيضا، أن بصمات النزعة التجريبية التقليدية الممتدة من هيوم D. Hume ولوك J. Locke و"ج. ستوارت مل" J. Stiwart Mill وأشياهم، ما زالت تسكن التلايف الضيقة والخفية في فكر كواين وفلسفته. فإذا كانت هذه الفلسفة تطفح أحيانا بأشكال من التصورات الظاهرية والذرية وغيرهما، فإننا نلمس أنها ما فرطت لحظة من الأساس القاضي بأن كل معارفنا تبدأ من التجربة وإن كانت لغتنا لا تصف التجربة هذه وصفا يستعيد تماما بنية الواقع.

لقد قال "كارناب" بمبدأ التسامح عند وقوعه تحت تأثير "ديوهيم" وسار على منواله "كواين" بإدخال الاعتبار الذريعي دون أن يفرط في تجريبيته: "لا يجب أن يكون المعيار الذي نختاره لتقويم التغيرات الأساسية للصورة المفهومية معيارا واقعيًا يتعلق بمطابقة الواقع، بل يجب أن يكون معيارا

ذريعا (نفعيا). فالمفاهيم هي اللغة، والغاية من اللغة والمفاهيم أن يكون التواصل والحمل Communication and predication فعالين. تلك هي المهمة العليا للغة والعلم والفلسفة، فلا يتم تقويم الصورة المفهومية إلا في علاقتها بهذه المهمة"³⁹.

ولكن ما هو الواقع وكيف يمتنع عنا؟ أعتقد التجريبيون، تحت تأثير "ارنست ماخ" E. Mach في إمكانية رد اللغة إلى الواقع. غير أن رد المعنى إلى التجربة بات ممتنعا، فكان أن ضموا برنامجي "هيوم" و"هلبرت" ليجمعوا بين المعنى التجريبي والصرامة المنطقية. وهذا هو سبب تسميتهم بالوضعيين المناطقية.

لقد ذهب "ماخ" إلى أن المعنى التصوري لقول ما يتمثل في الشروط التي يكون فيها هذا المعنى صادقا أو كاذبا. غير أن هذه الفرضية لم تصمد أمام النقد المعرفي (= الابتستمولوجي). فالوقائع التي نعتقد أننا نردها إلى السلوك بتوزيعات الأحوال الطبيعية على الجزئيات المنطقية الأولية تكون ممتنعة عن التمحيص. يقول "كواين":

"إن جملة ما نسميه المعرفة والمعتقدات ابتداء من أبسط العلوم (...) وانتهاء بأدق علوم الطبيعة والقوانين الرياضية الخالصة والمنطق، إن هي إلا أشياء من صنع الفكر البشري. وهي لا تقابل التجربة إلا من أطرافها

³⁹ Ibid., p. 79.

(...) فجملة العلم البشري تكاد تكون متحققة في مجال قوة شروطه المقيدة بالتجربة. فكلما حصل تنافر بين أطراف هذا العلم البشري والتجربة، تدعو الضرورة إلى إجراء تعديلات داخل مجاله. وينبغي، عندئذ، أن نقوم بإعادة توزيع قيم الحقيقة على بعض القضايا فينتج عن إعادة تقويمها تقويم القضايا الأخرى لما بينها من ترابط منطقي⁴⁰.

يتعلق الأمر بالوقائع التي يمكن أن تشكل الأساس الذي يقوم عليه تمحيص القضايا العلمية. وتتضح دعوى بطلان وجود الوقائع، بهذا المعنى، من خلال دعوى امتناع تحدد الترجمة التي سنتعرض لها في الجزء الثالث من هذا العمل. وعلى هذا الأساس، وانطلاقاً من أعمال "ديوهيم" وتصوره للوقائع المعزولة بكونها لا تقرر الواقع التجريبي، ألغى "كواين" وجود الوقائع. وههنا، ينبغي "لارجو" إلى أن "كواين" بين عدم وجود الوقائع، ولم يبلغ الوقائع الطبيعية لأن الوقائع الأولى تتضمن، على الدوام، شحنة ذهنية.

وقد سبق لـ"ديوهيم" أن اعتبر أن القضايا العلمية المعزولة لا يتوقف صدقها أو كذبها على ما يقرره الواقع وحده بشأنها. لذلك تظل العبارات العلمية صادقة أو كاذبة غير أنها لا تقطع بوجود حقيقة واقعية؛ ولعل هذا ما قاد "كواين" إلى دعوى امتناع تحدد النظرية العلمية فجميع

- Quine, (1953), « Two Dogmas of empiricism », op. cit., p. 42.⁴⁰

القضايا النظرية لا تقابل التجربة بوقائعها الواحد بالواحد؛ وتلك هي الأطروحة الشهيرة ديوهيم-كواين Quine-Duhem thesis.

تتلخص أطروحة كواين-ديوهيم في كون العلم يمتنع عن أن يطابق التجربة حيث يستحيل أن نجري اختبارا للفرضيات العلمية بكيفية معزولة، وذلك لأن افتحاص فرضية ما يتوقف على استحضر الخلفية التي تحملها النظرية العلمية. وقد توسعنا في بسط هذه الأطروحة في الجزء الثالث.

لنعد الآن إلى تفسير تحوُّل فكر "كواين" من الذريعية إلى الواقعية. يبدو أن هناك تعارضا بين الموقف الذريعي والموقف الواقعي. غير أن هذا التعارض يرتفع بمجرد أن تتدخل النزعة التجريبية لتعطي لـ"الذريعية" معنى يتحدد في كون الاعتبار الذريعية تتعارض كلما حضرت في تصوراتنا العلمية مع البنية الواقعية وبالتالي مع الواقع. ومع ذلك يبقى لها دور معرفي أساسي.

ولما كانت كل أقوالنا العلمية المتعلقة بالواقع لا تنفك عن خلفيتها النظرية، ولما كانت لا تقرر تماما ما يعطى في التجربة، فإن الذريعية تجد مبرا في وجودها إذ تتطلب منا أن نضمن، بفضلها، مطابقة اعتقاداتنا

واستجابتها للتجربة الواقعية⁴¹ وحتى لا تتلاشى العلاقة بين معتقداتنا وبين الواقع أو العالم الخارجي، لابد من الأخذ بالاعتبارات الذريعية:

"نجد أنفسنا، بكل تأكيد، في وضع أنطولوجي كلما حاولنا أن نجيب على سؤال معين. فلكي نجيب على هذا السؤال ينبغي أن نتكلم عن العالم بالقدر الذي ينبغي لنا أن نتكلم فيه عن اللغة. وحتى نتكلم عن العالم يجب أن نفرض عليه، بكيفية مسبقة، صورة مفهومية تتعلق أساسا بلغتنا الخاصة"⁴².

هكذا يقيم "كواين" الانسجام بين الذريعية والواقعية ليقول بالتكامل الحاصل بينهما. غاير أن موقفه من هذه العلاقة المتوترة بين الذريعية والواقعية سيرتفع لاحقا في الكلمة والشيء (1960) حيث ستختفي وطأة الذريعية ليتبين أن فكر "كواين" هو، في الحقيقة، فكر يؤسس لما بعد التجريبية أو قل التجريبية المحدثّة المدخولة بالنسبية Post empiricism.

لقد انتهى "كواين" إلى دعوى الشمولية التي تقضي بأن "وحدة البحث التجريبي هي شمولية العلم"⁴³. وقد اعتبر مع "ديوي" أن الفصل في مسائل

- Ch. Hookawy, (1988), **Quine, Language, Experience and Reality**, op. cit., p. 58.⁴¹

- Quine, (1953) , **From a logical...**, op. cit., p. 78.⁴²

- Rorty, R., (1991), **Objectivity, Realism and Truth**, Cambridge University Press, ⁴³

p. 47.

اللغة وموضوعات الواقع فصل لا جدوى منه⁴⁴. ويعتبر "رورتي" في إجابة عن سؤاله: "هل العلم الطبيعي صنف طبيعي؟"⁴⁵ أن "كواين" قد اتخذ مسافة نظرية عن ادعاء التجريبيين المناطق وجود قضايا قاعدية. ولهذا فإن شموليته قد وضعت حدا للنزعة التجريبية المنطقية:

"لقد كان من الممكن لمثل هذا التعديل [أي رد القضايا إلى معطيات حسية] أن يرضي، بدون شك، كلا من "لوك" و"هيوم" و/أو "توك" Tooke. غير أن هذا التعديل كان ينبغي أن ينتظر، تاريخيا، تحولا أساسيا يطرأ في علم الدلالة حيث تصبح فيه القضية هي التي تحمل المعنى وليس الحدّ (...) وتغدو فيه القضايا هي موضوع التحقق"⁴⁶.

دعنا الآن نتابع مبررات تعايش الواقعية والذريعية في فكر "كواين". هناك مثال يذكره "كواين"، في كثير من كتاباته، يستعيده من نورات Neurath⁴⁷. لا يمكن للعالم أو الفيلسوف أن يصوغ بنية مكتملة من حيث العدة المنهجية أو الإطار النظري ويدّعي أنها تطابق الواقع لأنه سيكون عليه،

- Ibid., p. 216.⁴⁴

- « Is natural science a natural kind ? » In Rorty (1991), op. cit., p. 46.⁴⁵

- Quine, (1953), « Two Dogmas... », op. cit., p. 37.⁴⁶

- O. Neurath, (1931 – 32), « Die Physicalische Sprache als Universalsprache ⁴⁷ der Wissenschaft » Erkenntnis, the ; pp. 432 – 465 in : P. Gochet (1978), Quine en perspective, Flammarion, Paris, p. 48.

في كل وقت وحين، أن يعيد النظر في حمولته وعدته النظرية والمنهجية. يرى "توارث" أننا أشبه ما نكون بملاحين يكون عليهم، في الغالب، أن يعيدوا بناء سفينتهم وهم في عرض البحر. فلا يتمكنون من النزول إلى اليابسة لكي يعيدوا تركيب سفينتهم قطعة قطعة.

ويلاحظ "غوشيه" أن الفلاسفة يكونون واقعيين إزاء النظريات العلمية وذريعيين إزاء اللغة. ويعترف "كواين" بضرورة الأخذ بالاعتبارات الذريعية كما رأينا، غير أنه يقوم بتخريج ذكي ومعتدل:

"يعترض 'كواين' على الفلاسفة الذين يكونون واقعيين إزاء النظريات، وذريعيين إزاء اللغة بتصور أكثر توازنا. فهو يعترف بدور المعايير الذريعية في اختيار النظريات غير أنه يشترط قانون المقاصّة loi de compensation كما يعترف بنوع من الموضوعية لمجموعة الرموز واللغات بحيث تتدخل الواقعية تحت ضغط الذريعية"⁴⁸.

إن أهم ما يمكن استفادته من موقف "كواين" من التعارض بين الواقعية والذريعية يتحدد في حلّ العلاقة الفاصلة بين العلم والفلسفة التي زادت التجريبية المنطقية من حدتها عندما جعلت الفلسفة تابعة للعلم وقصرت مهمتها في تحليل لغته. في حين يرى كواين أن الفلسفة ليست لا تختلف عن العلم إلا في الدرجة والموضوع. بل إن الفلسفة، بمعنى ما، علم

- Ibidem.⁴⁸

تجريبي لا يختلف عن العلوم الأخرى إلا من حيث الدرجة في العموم والتجريد؛ ومن هنا اعتبر كواين أن فلسفة العلم ليست أكثر من العلم وهو ينطبق على ذاته.

كثير من الباحثين يعدون "كواين" كأخر الذريعيين والحق أنه ذريعي النزعة غير أن ذريعيته تنتهي إلى الواقعية وهذا ما يطبع فلسفته. إنه يميز بين الاعتبار الذريعي المتحكم في طريقة اختيارنا للغتنا التي نتكلم بها عن الواقع والاعتبار المتعلق بالواقع في حد ذاته. لذلك نجده يرفض أن ينسب البحث عن المقولات النهائية والمجهود الذي يبذله العالم أو الفيلسوف لإعادة إنتاج الخصائص والسمات الأكثر عموما للواقع إلى محض الاتفاق أو المواضعة. ومن هنا تتعارض ذريعيته وواقعيته مع كل من الإسمية والعقلانية المعاضرتين.

2- النزعة الطبيعانية في مواجهة النزعات العقلانية المعاصرة

تتعلق الإشكالات المطروحة في فكر "كواين" بعلم الدلائل⁴⁹. فمنذ أواخر القرن الماضي انشغل الرياضيون والفلاسفة والمناطق بنظرية الدلالة. فانطلاقا من أعمال كلٍّ من "فريغه" و"راسل"

- P. Gochet, (1978), *Quine en perspective*, op. cit., p. 48.⁴⁹

و"فتغنشتاين" نشطت أعمال فلسفية واكبت تطور الدلائيات تجلت في نتائج توصل إليها "ألفرد تارسكي" واستلهمها "كارناب".

لقد انقسم مبحث الدلائيات إلى مجالين متداخلين هما مجال الدلالة المفهومية ومجال الدلالة الماصدية. يضم المجال الأول نظرية تسعى لتفسير مفاهيم المعنى كالترادف والمعنى والتحليلية... وأما المجال الثاني فيبحث في مفاهيم الإحالة كالصدق والتسمية والماصدق...

تقيم الدلالة الماصدية العلاقات بين العبارات وما تدل عليه هذه العبارات فتدرس النموذج والصدق والتحقق. أما الدلالة المفهومية فتعنى بالمعاني المجردة كالمعنى نفسه وكالضرورة والإمكان وما إلى ذلك. ولقد تبلورت نظرية الإحالة من خلال أعمال "تارسكي" وجماعته ونجدها مجموعة في مؤلفه المنطق والدلائيات والرياضيات الفوقية⁵⁰. وقد فتحت هذه الأعمال آفاقاً رحبة أمام "كواين". فإذا كانت نظرية الإحالة قد تطورت، فإن نظرية المعنى ظلت متعثرة لأنها "متناقضة للغاية" ولأنها تتضمن "مفاهيم مشكوك فيها"⁵¹.

⁵⁰ - Tarski, A. (1956), Logic, semantics and metamathematics, Trans. Woodger

(Oxford U.P.).

⁵¹ - Piaget, J., (Ed.), (1967), **Logique et connaissances scientifiques**, Gallimard,

Paris, p. 293.

يشهد "ليو أبوستل" أن "كواين": "يعد واحدا من أولئك الذين انكبوا على هذه المشكلة بل إنه وضع هذا القسم من نظرية الدلالة موضع تساؤل. كما نكتشف فيما كتبه "فريغه" في مقالته "المعنى والإحالة" ومقالة "تشورش" في "منطق المعنى والدليل" وكتاب "كارناب" المعنى والضرورة مجهودات منهجية لبلورة علم الدلالة المفهومية".

لقد لعب البرنامج الصوري، إذن، دورا كبيرا في علم الدلالة منذ أن انتشرت النزعة الأكسيومية أو التسليمية من خلال أعمال "بيانوا" G. Peano و"هلبرت" وغيرهما سعيا لإعادة تأسيس الرياضيات المعاصرة. لقد كانت للنزعة التسليمية آثار في أبحاث "شليك" Schlick و"كارناب" والوضعيين المناطق الذين سعوا إلى ضم البرنامج الصوري المستلهم من أعمال "فريغه" و"هلبرت" و"راسل" و"وايتهد" واعتبروه أداة ناجعة للحسم في المشكلات الفلسفية التقليدية المزمنة.

يذكر "كاتز" J. Katz⁵²، باختصار شديد، ما علقه الوضعيون المناطق من أمل على المنطق الصوري في ثلاث بنود:

⁵² - J. Katz, (1966), *The philosophy of language*, New York, Trad. Fran. Jamck

Gazio (1971) Payot-Paris, p. 26.

1. سيسمح المنطق الرمزي بتوفير أداة أو جهاز تقني إجرائي يحدد المقصود من الصدق المنطقي ويميز، بالتالي، بين المعرفة الميتافيزيقية والمعرفة الرياضية أو التجريبية الحقة؛

2. ستمكن النزعة الأكسيومية الصورية المنطقية من صوغ علاقة بين ما تثبته العبارة عا والإثباتات التي تنتج عن الملاحظة المباشرة (نزعة الاختزال أو الرد) للعالم إذا كانت عا تحمل مضمونا معرفيا؛

3. سيساعد برنامج المنطق الرمزي على بلورة نزعة اسمية معتدلة تزودنا بجهاز مفاهيمي لإقامة المواضعات الضرورية.

هناك علاقة متوترة سنفرغ لها في حينه. وهي قائمة بين نزعة المواضعة والنزعة الواقعية. ونشير الآن إلى أن التوتر الحاصل بين واقعية وطبيعية "كواين" والتصور المواضعاتي أشبه ما يكون - على حد قول "غوشيه" - بالتوتر القائم بين الثنائية المتنافرة في فكر "ديلتاي" حين ميز بين علوم الطبيعة وعلوم الروح.

لقد احترز "كواين" من الوقوع في الهيمنة التي تفرضها الإسمية ونزعة المواضعة، فقد انتقد في مقالته "الصدق بالمواضعة" مفهوم المواضعة وبين حدوده. وينبه "بوانكاريه"⁵³ نفسه أتباع نزعة المواضعة من الإغراق والتمادي في هذه النزعة حيث يقول: "لقد غالى البعض في الإعلاء من شأن

⁵³ - Henri Poincaré.

المواضعة في العلم حتى ذهبوا إلى القول بأن القانون العلمي والواقعة العلمية يكونان من وضع العالم الذي يختلقهما اختلاقاً⁵⁴.

لقد سلمت واقعية "كواين" ونزعتها الطبيعية من الوقوع في هذا المأزق. غير أننا نلمس وجود اضطراب يجعلنا نتساءل كيف يسلم "كواين" بالوقائع المبنية مع أخذه بالوقائع التجريبية: ألا يعتبر هذا الموقف موقفاً فكرياً حرجاً؟

الواقع أن "كواين" عندما بلور دعواه المتعلقة بامتناع تحدد الترجمة الجذرية المبنية على فرضيات تحليلية، وعندما تبين له امتناع تحدد النظرية العلمية التي تدعي أنها تقارب الواقع ولا تستعيد بناءه بكيفية مطابقة، وعندما صاغ دعوى النسبية الأنطولوجية، كان كل ذلك مدعاة لأخذه بخلفية نظرية نسبية أو معتدلة:

"لا وجود لفرق معرفي بين دراسة الوقائع الدلالية ودراسة الوقائع الطبيعية فنمط المعرفة واحد. وبخلاف ذلك، هناك اختلاف عميق في الواقع الذي نسعى إلى معرفته. وقد كانت بعض مظاهر هذا الاختلاف معروفة منذ زمن بعيد: اعتبارية العلامة والتغيرات الثقافية التي تعتمدها. فليس طيف الألوان Spectre des couleurs، مثلاً، مقسماً بنفس الكيفية في

⁵⁴ - Cité dans J. Largeault, (1980), *Quine, questions de mots, questions de faits*,

op. cit., p. 19.

جميع الألسن. ومع ذلك، فقد اكتشف "كواين" مظهرًا آخر لم يفطن إليه أي أحد قبله وهو جد أساسي، إنه: امتناع تحدد المعنى⁵⁵.

لا ينتمي هذا الاكتشاف إلى المواضعة وإنما إلى ما انتبه إليه "كواين"، نظرا لتشبعه بالنزعة السلوكية، من أن المعنى ينتمي إلى اللغة واللغة اجتماعية وعمومية. لذلك لا يكتسب الطفل اللغة انطلاقا من مقومات ذهنية عقلية بل إنه يمتلكها انطلاقا من السياق الاجتماعي الخارجي. فهو لا يتلقى الكلمة معزولة عن السياق وعن تعلقها بشيء تثبته أو تنفيه. وهذا ما يترتب عنه اقتران اعتقاد المتكلم المعرفي بالتزامه الأنطولوجي. أما الشيء الذي نتكلم عنه فهو موجود قبل أن نسميه ومن هنا واقعية "كواين".

هناك مسألة لا بد أن نعرض لها قبل تناول علاقة "كواين" بالنزعة الإسمية: كيف يتحدد موقف "كواين" الواقعي من العقلانية؟

لما كان "كواين" ينطلق في فلسفته من منظور النزعة الفيزيائية الواقعية، ويصدر عن رؤية تأخذ بالذريعية مع تبيان حدودها، ولما كان يرد الوقائع إلى المنطق والسلوك مستلهما أعمال كل من "بيرس" و"هاريس" Harris وخصوصا "بلومفيلد" Bloomfield، فإن موقفه سيتعارض، لا محالة، مع العقلانية، إذ لا يمكن للموقف الطبيعي للنزعة الفيزيائية أن يتعايش مع العقلانية. فأى علاقة أقامها "كواين" مع العقلانية؟

- P. Gochet, (1978), *Quine en perspective*, op. cit., p. 72.⁵⁵

يعد كتاب الكلمة والشيء 1960 أطروحة فلسفية تؤسس التصور التجريبي للمعرفة اللسانية وإن كان فيلسوف هارفارد لا يُسقط دور العوامل الفطرية Innate، فهو يعتبر أن اكتساب اللغة تابع للسلوك: يخصص "كواين" ثلاث آليات نكتسب بواسطتها اللغة:

أ. ربط الجمل بالمشيرات؛

ب. ربط الجمل فيما بينها؛

ج. تركيب المماثلة الذي يسمح باشتقاق جملة من معاني جمل أخرى.⁵⁶

لقد أثار هذا الموقف "تشومسكي" Noam Chomsky 1965 الذي استلهم في كتابه مظاهر النظرية التركيبية⁵⁷ المنظور العقلاني المنحدر من ديكارت Descartes مروراً بنحو مدرسة "بوروايال" مع "أرنو" و"نيكول" ومروراً بـ"ليبنتس" لينتقد المنظور التجريبي.

يعرض "تشومسكي" تصوره العقلاني مجملاً في الفرضية التالية التي تقضي بأن "الصورة العامة لنسق معرفي ما تكون مثبتة قبلياً في صورة استعداد ذهني. وتكمن وظيفة التجربة في حمل هذه البنية العامة على

- P. Gochet, (1978), op. cit., p. 73.⁵⁶

- N. Chomsky, (1965), *Aspects of the theory of syntax*, Mass Institute of technology Cambridge.

التحقق⁵⁸ ويمكن أن نربط هذه الدعوى بما نادى به "ليبنتس" كأساس للعقلانية القائمة على القول بالأفكار الفطرية.

هناك تعارض، إذن، على مستوى القدرة اللغوية بين عقلانية "تشومسكي" وتجريبية "كواين" المرتبطة بسلوكيته.

يرى "تشومسكي" أن الوقائع تكذب التصور التجريبي، فكيف نكتسب اللغة ونستطيع انطلاقا من مبادئ بسيطة للغاية أن نفهم أو نصوغ عبارات جديدة علينا تمام الجدة بحيث لم يسبق لنا أن سمعنا بها أو قمنا بصوغها؟

يجيب "تشومسكي" بدعوى القدرة الخلاقة للغة Creative aspect of language التي تحدث عنها في معظم كتاباته التنظيرية كما هو الأمر في اللغة والعقل 1968 وفي تأملات في اللغة 1975 وقدم بذلك حلا لما عجزت التجريبية عن تفسيره تجسد في ادعائه ضرورة "التسليم بوجود بنية فطرية تكون على قدر من الكفاية لرصد التباين الحاصل بين التجربة والمعرفة"⁵⁹.

فهل سلم "كواين" بهذه الدعوى العقلانية؟ لقد اعترض "كواين" على فرضية البنية الفطرية وتشبث بفرضية التجربة. فهو حين يأخذ أحيانا بالقاعدة الفطرية، فإنه لا ينظر إليها نظرة عقلانية بل يفسرها باعتبارها

- P. Gochet, (1978), op. cit., p. 75.⁵⁸

- Noam Chomsky, (1975), **Reflexions on language**, Pantheon, New York, p. 117.⁵⁹

مجرد استعداد يمكن الاستدلال عليه باعتماد مفاهيم من علم الأحياء
"البيولوجيا".

يعترض "كوين"، انطلاقاً من عدم اقتناعه بفكرة البنية الفطرية، على ما
جاء في تأملات في اللغة (1975) معتبراً أن اللغة مركب معقد من
الاستعدادات. غير أن "تشومسكي" لا يجاريه في ذلك حيث يقول: "يبدو
جلياً أن اللغة ليست مركبة من الاستعدادات للاستجابة لمجموعة خاصة
[من التجارب الذهنية]⁶⁰ التي يأخذ بها "كوين"⁶¹.

ومن هنا يتضح أن هذا الموقف يرفض صراحة الأساس التجريبي والسلوكي
للغة ويعتبرها "نسقا معطى من القواعد والمبادئ التي تحدد معنى ومبنى
عدد غير متناه من الجمل"⁶². ويعقب "كوين" على هذا الموقف مبنيّاً أننا
نجهل الشيء الكثير عن موقف "تشومسكي" المضاد للنزعة التجريبية
والسلوكية، فهو يرى، ببساطة، أن الإشارات غير كاف لتفسير اكتساب

⁶⁰ - Gedankenexperiments.

⁶¹ - Ibid., p. 191.

⁶² - Noam Chomsky, (1968), **Language and Mind**, Harcourt Brace, Jovanovich,

Extented Edition, New York.

اللغة؛ وبهذا تكون نظريته، إذن، شبيهة بنظريتي القاضية بامتناع تحديد الترجمة⁶³.

ومع ذلك، فسيعود "كواين" للتقرب من تصور "تشومسكي" لا لكي يتبناه، وإنما لكي يكيّفه مع تصوره الخاص لاكتساب اللغة. فهل يستطيع "كواين" أن يسلم لـ "تشومسكي" بوجود بنية فطرية دون أن يفرض أو يتراجع عن نزعه التجريبية؟

يبدو أن كثيرا من القرائن تبين استعداد "كواين" لقبول عقلانية "تشومسكي". فقد كتب في "تعقيبات"⁶⁴ ما جاء فيه: "تجعلني ملاحظات "تشومسكي" أشعر بالثقة والإحباط في نفس الوقت، فما يكسبني ثقة وطمأنينة هو أن "تشومسكي" لم يتعارض مع موقفي في أي موضع"، ونجده يصرح "يجمل بي أن أضيف هنا كلمة صريحة ترحب بكل آلية فطرية للاستعداد لاكتساب اللغة". ومع ذلك يلاحظ "غوشيه" أننا عندما نمعن النظر في تنازلات "كواين" نجدها مجرد تنازلات مظهرية.

ويشير "لارجو" إلى أن الموضوع الذي يأتي في الدرجة الأولى في فلسفة "كواين" هو رد الجمل إلى السلوك بالتوصل بالعدة المنطقية. ومن هنا يمكن أن نتحدث عن صورته. فالمقارنة بين "كواين" و"تشومسكي" تجعلنا

- W.O. Quine, (1969), « Reply to Chomsky », in D. Davidson and Hintikka, (ed.),⁶³

Word and objections, Essays on the work of W.V.O Quine Reidel, p. 302.

- Ibidem.⁶⁴

نخرج بأن الأول يصوغ نظرية اللغة العادية انطلاقاً من نظرية التسوير بينما يربط الثاني القدرة اللغوية بآليات صورية هي التي تجعل الجمل سليمة ومقبولة. يكمن الفرق بينهما، إذن، في الوسائل المعتمدة لا غير.

تحمل اللغة صورة عن العالم، فكيف نفسر تكلمنا عن أشياء العالم؟ يضعنا هذا السؤال في قلب الإشكال المزمّن بين الإسمية والواقعية. وهو إشكال تجدد مع "كواين" الذي يعلم أن اللغة تمثل وتنقل الواقع في أشكال صورية، غير أنه يتملّص من الخوض في الإشكالية التقليدية. تلك التي تقترن فيها اللغة بالخلفية الميتافيزيقية.

لقد ذهب "راسل" في كتابه بحث في الصدق والمعنى (1940) إلى أن بعض التحفظات الكافية، وبعض الخصائص اللغوية يمكن أن تساعدنا على فهم بنية العالم⁶⁵. ويستعرض، في نفس الكتاب، الاختيارات التي انحصرت فيها الفلسفة فيما يتعلق بعلاقة اللغة بالعالم كما يلي:

أ. الفلاسفة الذين استنتجوا من خصائص اللغة خصائص العالم
أمثال "بارمينيدس" Parmenide و"أفلاطون" Plato؛ و"سبينوزا" Spinoza و"ليبتنس" Leibniz و"هيجل" Hegel و"برادلي" Bradely.

⁶⁵ B. Russel, (1940), *An inquiry into meaning and truth*, Pinguin Books (1969).

وقد أعدنا دراسة لهذا الكتاب في بحثنا لنيل شهادة الإجازة في الفلسفة العامة.

ب. الفلاسفة الذين اعتبروا أن المعرفة تنحصر في اللغة. وهؤلاء هم الإسميون الذين ساهموا مساهمة فعالة في تطور العلم ابتداء من "أرسطو" إلى التجريبيين المناطقة.

ج. الفلاسفة الذي يثبتون قصور اللغة وعدم استيفائها لتقرير الواقع، وهؤلاء يصدر عن رؤية صوفية إلى جانب فلاسفة من أمثال "برغسون" Bergson وفتغنشتاين" في مرحلته الفكرية الأخيرة.

يمكن أن نخترل السؤال الأساس في علاقة اللغة بالعالم في: ما الموجود؟ ما هي الموضوعات، أي حواسنا أم هي أشياء أخرى؟ إذا كان كل من "لوك" و"هيوم" يصران على جعل التجربة أساسا لكل معرفة ممكنة، وإذا كان "بيركلي" Berkeley يحل الإشكالية انطلاقا من الإدراك، فإن "كوين" ينظر إليها من خلال الترجمة ليرصد الطابع النسبي لعلاقة لغتنا بالعالم.

يتم اتصالنا بالعالم الخارجي، حسب "كانط" Kant، عن طريق التجربة؛ غير أن "كوين" يلاحظ، عن حق، أن مفعول التجربة يتقلص بعد اكتسابنا للغة فتغدو الأنطولوجيا أكثر ارتباطا بلغتنا من ارتباطها بالوجود الخارجي أي العالم الواقعي. وها هنا تحتل المواضعة مكانة أساسية لتماثل الثغرات التي يتركها المعطى اللغوي: إن المواضعات تملأ الثغرات التي تتأتى من نقص في الوقائع من جهة، ومن عدم استيفاء اللغة من جهة أخرى (امتناع تجدد المعنى).

إن ما يمكن أن نستنتجه هو أن فكر "كواين" لم يتعارض مع النزعة الإسمية ونزعة المواضعة والنزعة الصورية والعقلانية بل انفتح عليها لتصير فلسفته ذات طابع تجريبي منفتح يسم فلسفته بميسم الاعتدال. فهو يعني أننا نتكلم عن الأشياء الحسّية المعطاة/ ولا يكون للغتنا مضمون حسّي فقط، فنحن نرزح تحت وطأة نزعات المواضعة والأدائية والبنائية والإسمية وغيرها، كلّما تباعدنا عن المعرفة المباشرة للعالم الخارجي.

فرغم أن "كواين" أثبت أن العلم الحقيقي هو العلم الطبيعي، فإنه لم يقر بأن الذوات التي تتناولها لغتنا ذوات واقعية. ذلك أن كل "الذوات ذات إحالة غير محددة". يبدو أن "كواين" يتذبذب بين الواقعية والإسمية. فدعواه القاضية بالنسبية الأنطولوجية تتحدد في كوننا لا نتمكن من التكلم عن الوجود إلا في إطار نظرية أنطولوجية تصدر فيها عن التزام أنطولوجي معين تكون بمثابة خلفية نختارها بمحض المواضعة والاتفاق؛ ومن هنا، تسرب النسبية إلى فلسفة "كواين" لتنتشله من وهدة الدغمائية.

يفيد موقف "كواين" أن رد كل نظرية أنطولوجية إلى أصول منطقية ورياضية موقف إيجابي، فهو يستثمر في مقالته "النسبية الأنطولوجية"⁶⁶ الرياضيات والمنطق وفلسفتيهما، وهذا يدل على انفتاحه على النزعة

- Quine, (1968), *Ontological Relativity*, Journal of philosophy 65 ; and in ⁶⁶

Ontological relativity and other essays, Columbia U.P. (1969).

الصورية والاسمية المعاصرة. فقد أغنت مقارباته الاهتمام المتزايد باللغة أكثر من الاهتمام بالوقائع ولعلها، في نظرنا، نزعة اسمية معتدلة.

3- توافق النزعة الطبيعية والنزعة الفيزيائية:

أثبتت الذريعية والأداتية والمواضعاتية والبنائية Constructivism فشل كل زعم واقعي ساذج. فقد مكن اكتشاف اللغة الفوقية في أعمال "تارسكي"، إلى جانب أعمال "راسل" وما لعبته التصنيفات الكبرى للغة من دور حاسم من إبراز عدم تطابق اللغة مع العالم الذي نتكلم عنه.

يذكر "لارجو" أن "بريان ماجر" سأ B. Mager سأل "كوين" في محاورة أجراها معه في موضوع: "هل "كوين" مادي أم مثالي"⁶⁷ فأجاب "كوين" بأنه يعتبر الموضوعات ذات وجود مستقل عَنَّا في العالم الخارجي. ولا يتعلق المشكل بهذه الموضوعات الطبيعية في حد ذاتها، وإنما يتعلق بطريقة تكلمنا عن هذه الأشياء المحيطة بنا.

يفرق "كوين" بين الوقائع العلمية والوقائع المادية Fact of mater، ويميز بين معرفتنا التي تكون مجرد مواضعة Convention. إن لغة العلم الطبيعي هي اللغة التي يمكن أن تفسر كل لغة ممكنة. ها هنا نلمس الموقف الفيزيائي الكويني المقترن بنزعته السلوكية الداعية إلى نزعة واحدة Monism تجمع

⁶⁷ - J. Largeault, (1980), Quine, questions de faits..., op. cit., p. 20.

بين ما هو عصبي وما هو ذهني Cerebral and mental. وأما الوقائع فهي التي تجعل أقوالنا صادقة أو كاذبة.

تتدخل الاعتبارات الذريعية والأداتية والمواضعاتية بدرجات متفاوتة عندما نلمس نقصا في تقرير أقوالنا للوقائع الخارجية. فاللساني الأنثروبولوجي عندما يقيم الترادف بين لغته واللغة التي ينقلها، يثبت شيئا لا يمكن أن يقرّره على حقيقته، إذ يمتنع عليه أن يمحصّ الإحالة، ويحدّد ما إذا كان لسان القوم الذين ينقل كلامهم يطابق ما دونه في كراسته.

يلاحظ "لارجو" أن الاسمية قد عرفت منذ القرون الوسطى إلى يومنا هذا تراجعا بمجرد أن ثبت ضعف استناد العلامة الطبيعية إلى المفهوم:

"بعد أن كان الإله هو الذي يضمن علاقة المفاهيم بالأشياء، وضع التجريبيون في القرن XVIII مفهوم العادة مكان الضمانة الإلهية فجعلوا اتفاق الطبيعة مع تصوراتنا اتفاقا لائكيا، وبذلك اعتبروا اتفاق الطبيعة مع مفاهيمنا اتفاقا فطريا؛ وقد تم لاحقا، إلغاء مفهوم العادة لحساب التركيز على الحرية الإنسانية: كالاتفاق أو المواضعة أو النظريات المتخذة كأداة (الأداتية) للربط والحساب والتوقع"⁶⁸.

لقد تلاق فكر "كواين" ذي النزعة الطبيعية والفيزيائية مع التيارات الفكرية التي نصادفها في الفلسفة المعاصرة:

- Ibid., p. 19.⁶⁸

1 . يخلق الصدق المنطقي Logical truth مشكلة للاسميين الذين يميلون إلى بناء المتغيرات كعلامات تبدل بها أسماء. فقد تبين أن تفسير بعض أقسام المنطق لا يقتضي وجود ذوات مجردة. فبإمكاننا أن نصوغ، مثلا، المنطق القضوي دون قيم صدقية في كل الإبدالات الممكنة لأحرفها القضية.

وهذا الوضع يعفينا من المرور بمفهوم التحقيق Satisfaction الذي ينتهي إلى نظرية المجموعات. والصور الحملية Schémas quantificationels لا تتضمن من المتغيرات إلا المتغيرات الشخصية طالما أن ما يوجد لا يوجد إلا باعتباره يمثل قيمة لمتغير ما. فلا حاجة بنا إلى الذوات المجردة. لقد سعى الاسميون إلى إيجاد صيغ منافسة يكون بمقدورها أن تقدم تفسيراً ملموساً.

لقد كان لهذه التحولات أثر بالغ في الفكر المعاصر. ذلك أن اكتشاف المناطق والرياضيين لمجموعة من الحقائق صيغت في مبرهنات نحو مبرهنة "لوفنهايم Lowenheim ، سكوليم" Skolem مبرهنة "نيومن" Neumann ومبرهنات أخرى كشفت عن امتناع البت وامتناع الأنساق... إلخ. أدى إلى اتخاذ مسافة نقدية خصوصا في مجال المنطق وفلسفة الرياضيات من البرنامج الصوري. وهكذا تبين أن كل الاكتشافات والمبرهنات إنما تتعلق باللغات أو النظريات أكثر من تعلقها بالموضوعات أو الأشياء.

2 . يتجلى الاقتصاد الأنطولوجي في امتناع عن أعمال الحدود والمفاهيم التي تتعلق بأشياء مجردة خوفا من تعقيد مهمة عملية الإثبات

أو التعريف، بل خوفا من التضحية بالقوة الاستنباطية. فإلغاء الرسوم أو المجموعات مع "راسل" وأسماء العلم مع "كواين" وغيرهما، تمثل أمثلة للردود أو الاختزالات Reductions التي لا تحد من القدرة على التعبير.

انطلاقا من هذا الاعتبار يمكن أن نمضي إلى التدليل على أن هذه الرموز أو تلك لا تتوفر على "حمولة أنطولوجية". ويمكن لنا أن نسخرها باتخاذها كلغة اسمية تحدد طرق تكلمنا عن الوقائع. كما تجعل أنواع مختلفة من البنائية بعض الموضوعات مشروعة باعتبارها مجرد بناءات عقلية.

يعود "لارجو"، بعد استعراض هذه التيارات الفكرية، لبحث عن مكانة "كواين" في سياقها. فـ"كواين" منطقي، بالأساس، وقد تغذى فكره من السجلات والصراعات التي دارت بين التصورات التي اجتاحت مختلف مذاهب الفكر المعاصر كالأداتية والذريعية والمواضعية والبنائية والمنفعية Opportunism وغيرها.

لقد أصبح التمييز بين ما هو عياني وما هو نظري في علوم الطبيعية أمرا نافلا؛ لأن كل عبارة أو قضية علمية تحمل شحنة دلالية تربط تصوراتنا بالموضوع الواقعي بحيث يتعذر الفصل داخل هذه الشحنة الدلالية بين المضمون التجريبي والصورة المفهومية (أي الإطار الذي تنتظم داخله معرفتنا بالواقع).

وقد أثبتت النظريات العلمية أنها مجرد مقاربات للواقع لا يمكن أن تطابق تماما الواقع الذي تنظر فيه. ففي مجال الرياضيات برزت النزعة البنائية القاضية بأن الحقيقة الرياضية حقيقة مبنية إلى جانب نزعة المواضعة التي سمحت لنا بتغيير منظورنا للواقع الرياضي.

يرى "لاكاتوس" Lakatos أن الوضعيين المناطق قد اعتقدوا، بعد نجاح النزعة الصورية الرياضية، وعقب ظهور النزعة التسليمية (الأكسيومية) في أعمال كل من "بيانو" (1894) و"هلبرت"، أن الوظيفة التي ينبغي أن تضطلع بها الفلسفة تنحصر في "بناء لغات مُصوّنة" يمكن أن نعبر داخلها، بكيفية اصطناعية، عن قضايا صماء في العلم. ويضيف "لاكاتوس" أن هذا الحماس قد تبخر بمجرد أن حصل الوعي لدى الفلاسفة بعقم النزعة الصورية؛ ذلك أن العلم "يعلّمنا ألا نحترم أي إطار لغوي أو ذهني معطى مخافة أن ينقلب احترامنا هذا إلى قيدٍ فكري"⁶⁹.

وعلى هذا الأساس، ينتقد "لاكاتوس" كل نزعة صورية، فما نلاحظه من اجتياح لنزعة المواضعة والذريعية والبنائية...، لحقل الرياضيات يجعلنا نقول، مع "لاكاتوس"، على لسان أحد شخوصه "تيطا" في كتابه المشار إليه: براهين وتبكيّات: "أقول النزعة الذريعية! هل فقدنا إذن كل عناية بالحقيقة!".

⁶⁹ - Lakatos, Imre, (1963), **Proofs and refutations**, Edited by Worrall and Zahar,

Cambridge U.P (1976), p. 118.

إذا كان الرياضي ملزماً بضرورة مراعاة المرونة العقلية والانفتاح فما بالناس بما ينبغي أن يكون عليه الفيلسوف!

لقد أصبحت اتجاهات كثيرة تنحو نحو النزعة الاسمية في المعرفة المعاصرة نذكر منها:

(أ) النزعة الأداتية التي تختلف عن الإسمية بكونها مذهباً يعتقد في المفوضات والفرضيات العلمية في الوقت الذي لا تعتد فيه الإسمية سوى باللغة؛

(ب) النزعة الردية أو الاختزالية، وهي تقترن بالإسمية لكونها، وإن كانت تستند إلى المبدأ القائل بأن كل أقوالنا إنما ترد إما إلى معطيات التجربة وإما إلى الصور المنطقية ("هيوم" و"لوك" و"ماخ" و...، و"كارناب")، فإنها تترك مجالاً لما يتعلق بالتنسيق والاستنباط.

هناك عنصر آخر من عناصر الاسمية المعاصرة يتحدد في:

(ج) المسلمة القاضية بأن "الأنطولوجيا" يجب أن تصدر عن مصادر ذات أصول منطقية ومجموعية "Ensemble"؛ ذلك أن نظرية المجموعات، على سبيل المثال، ارتبطت بالمنطق أكثر من ارتباطها

بالهندسة، وقد اشتغل كواين بنظرية المجموعات وبمنطقها فسجل جملة من الملاحظات من هذا القبيل⁷⁰.

والآن ما هو موقف "كواين" من هذه الاتجاهات الفكرية المعاصرة على وجه العموم؟

يقيم "كواين" تصوره الخاص لنزعة المواضعة مكان الأدوات، ويتخذ من نزعة الرد موقفا نقديا. فهو يهدم المذهب القائل بأن كل قضية تقبل أن ترد إلى محتوى تجريبي وصورة منطقية. وبذلك يضع حدا للتفريق بين العلم الطبيعي والميتافيزيقا. وذلك على أساس أبطال معتقدين حكما النزعة التجريبية سنبسط الكلام فيهما لاحقا.

4 - النزعة السلوكية:

نود أن نقدم، في البدء، كلمة عن السلوكية وتطورها لنبين مكانة التصور الكوايني للمعنى والدلائيات عموما بعد اعتناقه لها ومزجها بنزعته الفيزيائية التي تنتهي إلى مذهب طبيعي في المعرفة يقوم على أساس معطيات سلوكية.

اتخذت السلوكية موقفا متميزا من الدلائيات وإن كانت قد فقدت في العقدين الأخيرين جاذبيتها العلمية التي عرفت مع نشاط السيكلوجيا

⁷⁰ Quine, W. V. O., **Set theory and its Logic**, Revised, 2nd edition. Harvard University Press.

الأمريكية. ومع ذلك فقد أثرت بالغ الأثر في أعمال فلسفية ولسانية
ونفسانية وعموما في مجال نفسانيات المعرفة.

يلخص "جون لاينس" Lyons, John⁷¹ مظاهر السلوكية المعاصرة في مظاهر
أربعة:

أ. المظهر الأول ويتحدد في إجهازها على المفاهيم الذهنية mentalistic
Concepts ك'العقل' ، 'الذهن' ، 'الفكرة' ، 'المعنى'... إلخ؛ ورفضها
الاستبطان Introspection وعدم إيمانها بأي فرضية قاضية بوجود ما هو
قائم في الأذهان في استقلال عما هو في الأعيان.

من هنا تركيز السلوكيين على كل ما يكون قابلا للملاحظة العيانية ومتمثلا
في السلوكات الملاحظة. ويعتبر "ج. ب. واتسن" J.B. Watson مؤسس
السلوكية بكتابه الكلاسيكي المنشور سنة (1914) الذي وضع فيه أسس
ومبادئ تمت صياغتها في المقالات والمحاضرات السابقة عن هذا التاريخ.
فقد رفضت السلوكية الاستبطان واعتبرت اللغة نشاطا سلوكيا لأن
"رفض الاستبطان يقود- حين ينطبق على دراسة اللغة- إلى التركيز على

⁷¹ - Lyons, John, (1977), *Semantics*, T. I & II, Cambridge University Press, Trad.

Française, J. Durand... Elements de sémantique, Larousse Universitaire.

المفوضات العيانية القابلة للتسجيل Utterances observables recordable في
علاقتها بالمقام الذي قيلت فيه"⁷².

لقد راج استعمال "السلوك الكلامي" Verbal Behaviour، عند السلوكيين
عوض "اللغة" إيماناً منهم بنفي كلّ فكرة مجردة وربط فعل التكلم
بالسلوك. وقد قاد الإجهاز على التصور الاستبطاني إلى جعل اللغة
تحدد في السلوك اللغوي، العياني العمومي لا الوجداني الذاتي.

(ب) المظهر الثاني ومفاده أن فكرة تعميم السلوك قد أدت إلى رفع
التفريق بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني. وهذا ما أدى إلى اقتران
النفسانيات السلوكية Behavioural psychology بعلم الأحياء التطوري
Evolutionary biology وعلم الحيوان وتركيزها على علم وظائف الأعضاء، وهذا
ما كان داعياً إلى إقدام "موريس" على بناء سيميائيات تكون قابلة
للتطبيق على الأنساق الطبيعية الرمزية. وهذه النزعة السلوكية تقترن
أيما اقتران بالنزعة الفيزيائية والتجريبية وهنا يكمن سر الجاذبية التي
مارستها على التجريبيين، وبالتالي، تأثيرها في فكر "كوين". ولهذا المظهر
علاقة بالمظهر الرابع (د).

(ج) المظهر الثالث للسلوكية ويتجسد في ميلها إلى تقليص دور
الغزيرة والفطرة والملكات المعطاة قبلها. ويعتبر التعلم والاكْتساب مبدأ

⁷² - Lyons, (1977), Elements de sémantique, op. cit., p. 121.

أساسيا يقوم عليه كلّ نشاط إنساني أو حيواني. وهكذا وضع السلوك كمبدأ مطلق، ومقياس ثابت تقوم عليه كل تجربة ممكنة بدء من اكتشاف العلاقة مثير ← استجابة، وانتهاء بالتطورات اللاحقة التي ستشهدا النظرية السلوكية مع انتقادات "سكينر" بإضافة مفاهيم إجرائية أكثر دقة ووصفا وتفسيرا للسلوك كالعامل الاشرطي

.Operant conditioning

وهكذا، استطاعت السلوكية أن تتداخل مع العلوم الطبيعية الأخرى، وتتعارض مع التصورات العقلانية. ويتبين لنا إلى أي درجة كان اعتناق "كواين" للسلوكية سببا كافيا في هجومه على العقلانية وتعارضه مع اللسانيين العقلانيين وعلى رأسهم "تشومسكي".

لقد اقترنت الدلالات في حقل المنطق بالتجريبية المنطقية التي تخلت عن كل مبدأ يجعل المعنى أو الدلالة قائمين في العقول أو الأذهان. وكانت دعوى اقتران المعنى بالتحقق مع "شيلك" و"تارسكي" و"كارناب" تجعل المعنى متصلا بالتجربة Sense-experience بخلاف التصور التقليدي القاضي باستقلال المعاني. فقد كتب "كارناب" مقالة "إقصاء الميتافيزيقا من

خلال التحليل المنطقي للغة"⁷³ مدعيا أن الميتافيزيقا لا يمكن أن تفصح عن نفسها في لغة مبنية بناء منطقيا محكما⁷⁴.

ولكن "كواين" نقض هذا الموقف المبني على فرضية التفريق بين التحليل والتركيب، ورد القضايا إما إلى التجربة أو إلى المنطق على أساس الفصل اللازم بين الميتافيزيقا التأملية والعلم الطبيعي. ولهذا سيعتق "كواين" السلوكية إلى جانب المنطق لحلّ كلّ المعضلات المتعلقة بمعرفتنا بالعالم الخارجي.

د (المظهر الرابع، ويتحدّد في الآلية والحتمية وهذا ما جعل السلوكية تلتقي بالتجريبية والنزعة الفيزيائية ويكون لها جانب من الموضوعية القائمة على العلم الطبيعي، وعلى نسبة معرفتنا المتوقفة على تحليل السلوك.

قدمت السلوكية نظرية للمعنى نجدها في صيغتها الأولى في أعمال "واطسن" يذكرها "سكينز" (1957) في كتابه السلوك الكلامي⁷⁵، ومفادها أن الألفاظ توظف للتعبير عن استجابات مثلما تدل على ذلك الأشياء

- Carnap, R., (1931), *Unberwindung der Metaphysik durch logische analyse*⁷³
der sprache », Erkenntnis 2, pp. 219 – 241.

- J. Katz, (1966), *The philosophy of language*, New York, Trad. Franc. Jamck⁷⁴
Gazio (1971), *Philosophie du langage*, Payot – Paris.

- Skinner, B., (1957), *Verbal Behaviour*, New York : Appleton – century – Grofts.⁷⁵

الموجودة في العالم الخارجي. فاللفظ يلعب دور مثير stimulus يقترن بشيء خارجي. ويرى "فايس" أن هذا التصور يلتقي، في معنى من معانيه، بالتصور القائل بأن الألفاظ توضع للدلالة على الأشياء أي أن مجرد التلفظ بهذه الملفوظات يثير فينا، إن كانت الأشياء موجودة، تصور الشيء المدلول.

يلعب اللفظ، في غياب الشيء أو الموضوع، دور البديل عن المثير مثلما تلعب خطوات خادم "بافلوف" Pavlov دور مثير لإفراز الكلب للعبابه كاستجابة لهذا المثير في غياب الموضوع أي "الطعام". فالألفاظ تنوب مناب الأشياء وتسدّ مسدها باعتبارها مثيرات.

طور "فايس" (1928) أفكار "واطسن" Watson ووسعها وسمح معها لـ "بلومفيلد" باتخاذ موقف لساني بلوره في لسانياته السلوكية. ويتحمل "بلومفيلد" بحقٍ، مسؤولية إدخال السلوكية في الدراسات اللسانية منطلقاً من أن التخاطب اللغوي، إنما يتحدد في تفاعل بين "شخصين" أو أكثر في ظروف إثارية محددة.

ومن جهته، صرح "بلومفيلد" في أعماله المبكرة بأخذه بالمقاربة الذهنية التي سيعود إلى إبطالها بعد أن صاغها "فونت" Wundt (1912). وفي سنة (1926) هجر هذه المقارنة في مقالته: "مجموعة مسلمات لعلم اللغة"⁷⁶

- « A Set of postulates of the science of language ».⁷⁶

وضعها صريحة على منوال ما وضعه "فايس" من مسلمات للنفسانيات (= السيكولوجيا)⁷⁷.

لقد شارك "بلومفيلد" إلى جانب "كارناب" و"موريس" في موسوعة العلم الموحد Encyclopedia of Unified science ورسمت هذه اللحظة الفكرية اجتماع السلوكي "بلومفيلد" والتجريبيين "كارناب" و"موريس". وقد ساهم هذا العمل في وضع أسس لنظرية الرموز. وقد كان لهذا العمل الأثر البالغ في ترسيخ دعوى النزعة الفيزيائية القاضية بأن العلم الطبيعي هو نموذج لكل علم ممكن، وترسيخ التصور السلوكي الذي يلتقي مع النزعة الفيزيائية في رفض النزعتين الذهنية والتصورية، والاعتراض على الموقف الفلسفي العقلاني القائل بوجود كليات مستقلة عن العالم الخارجي بل حتى عن الأذهان المدركة لها؛ فالسلوكية لا تأخذ بالفصل بين الفكر والواقع المادي.

لقد أدخل "كواين" النزعة السلوكية لدعم كثير من دعاويه كدعوى امتناع تحدد الترجمة وشمولية التحقق ودعوى امتناع تمحيص الإحالة وغيرهما؛ ومن هنا، قام بإعادة تحديد المعنى بواسطة السلوك، انطلاقاً من تعريف الإحالة بحدود الإثارة السلوكية. وانطلق من تتبع

- Cf. Schaff, (1960), *Introduction à la sémantique*, op. cit., p. 125.⁷⁷

الطفل في مراحل اكتسابه للغة وتعلمه الإسناد بناء على إثباتات "سكينر" الإشرافية العاملة.

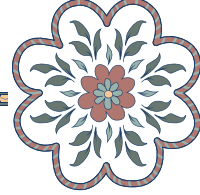
غير أن "كواين" توسع في اكتساب الطفل للغة باعتماد نظرية التسوير؛ وهكذا أخضع تصوره للعلم والعقل واللغة لمنظور ماصدقي إلى جانب المنطلق السلوكي؛ وبهذا ضم السلوك للبرنامج الصوري المنطقي، وإلى نزعته الفيزيائية التي أشرنا إليها سابقا.

يذكر "دجيبسن" Gibson⁷⁸ أن "كواين" جمع بين طبيعته ونزعته الفيزيائية وسلوكيته عندما جعل الأحوال والوقائع الذهنية التي لا تقبل الرد إلى السلوك تمتنع على أن نفسرها بالسلوك، بل يمكن ردها إلى علم الأعصاب أو ربطها بالسلوك عندما نتمكن من موضعها، أما "لارجو" فقد رأى أن "كواين" قد جمع بين البرنامج الصوري والسلوكية.

والقول الجامع في ثوابت فلسفة كواين أنها تتحدد في اعتناقه الراسخ للنزعة التجريبية التي سيقوم بتعديلها، وتشبثه بالنزعة الطبيعية التي دعمها بموافقه السلوكية لإيمانه بأن العلم الحقيقي هو العلم الطبيعي، ولعدم فصله بين الميتافيزيقا والعلوم الطبيعي وبالتالي لطبيعانيته التي

⁷⁸ - Gibson, (1982), *The philosophy of W, V, O Quine*, Tampa University, Press of Florida, p. 204.

ستنكشف لنا في دعواه القاضية بأن المعرفة لا تقوم على فلسفة أولى
سابقة عن العلم الطبيعي.



الفصل الثاني:

الفلسفة التحليلية ومعالم فلسفة نزعة كواين التجريبية

يليق بنا بعد أن بسطنا القول في فلسفة كواين مبرزين جوانب من متغيراتها، فاحصين عن ثوابتها، أن ننتقل إلى بيان مكانة هذه الفلسفة في سياق الفلسفة التحليلية، ثم نرصد بعدها جملة من المعالم التي اتسمت بها، وتجلت فيها عصارة تفاعلات فكر كواين مع ما عرضناه من تحولات، وما بيناه من تعاطيه مع التيارات والمذاهب الفلسفية، وما استفاده من الدرس المنطقي-الرياضي المعاصر الذي يعتبر من أحد أعلامه البارزين.

1. "كواين" والفلسفة التحليلية :

تروم هذه الفقرة تحديد قيمة وفائدة فلسفة "كواين" في سياق الفلسفة التحليلية من خلال رصد موقفها النقدي من التحليل عموماً، وتبيان مكانة نظرية الدلالة وإسهاماتها في نقض المعتقدات التي أرستها التجريبية المنطقية والفلسفة التحليلية عموماً.

يتيح لنا "كواين" فرصة لسبر عميق للفلسفة التحليلية. فهو يكاد يتفرد بمواقفه النقدية إزاء التجريبية، وبأصالة دعاويه التي أفضت إلى هدم معتقدات وأسس الفلسفة التحليلية بتقويض التصورات المتهافتة للغة التي صدرت عنها هذه الفلسفة. لقد وقف فيلسوف هارفارد على أغاليط الفلسفة التحليلية دون أن يضحي تماماً بانتسابه لها، فقد لفت انتباهنا

إلى شُبَّهها بانتقاداته الثاقبة لفلاسفة اللغة العلمية ودحضه لأصول تصوراتهم ومعتقداتهم النظرية خصوصا من خلال نقد حجّتهم كارناب.

لقد أشرنا فيما سبق إلى أن أعمال "كواين" لا ينبغي أن نفهمها في سياق الفلسفة التحليلية بدمجها داخله، وإنما ينبغي أن نعتبرها حاشية نقدية وضعها "كواين" على هامش الفلسفة التحليلية. فأراؤه، كما ذكرنا، لا يمكن أن تفهم إلا باعتبارها إجابات على المواقف التي دافع عنها "كارناب" ووضعيون مناطق آخرون. فكل أعمال "كواين" النقدية التي تخصم أسس التصور التحليلي وتقوضه إنما هي، بالأساس، انتقادات تدعمها حجج دامغة ضد معتقدات التجريبية متمثلة بالخصوص في أعمال "كارناب".

يرى "هوكواي" أن الروح النقدية التي توجه فلسفة كواين لم تتخل إطلاقا عما قامت عليه الوضعية، خصوصا تشبّثها بالزعة العلمي Scientism ، ومفاد هذه الروح أن المعرفة العلمية نموذج لكل معرفة ممكنة. ويمكن للفلسفة أن تحصل على وظيفتها الحقة إن هي اقتدت بالعلم، واعتنت بلغته بعون المنطق من أجل طرد الميتافيزيقا من آخر معقل لها أي: اللغة. بيد أن ما يميز "كواين" عن هذه الروح الوضعية يكمن في أنه أزال الفرق بين الفلسفة والعلم وأقام الفلسفة علما لا بالمعنى الهرسلي (= نسبة إلى هسرل) وإنما بنقضه الادعاء القاضي بوجود فلسفة أولى. ففي كل

الحالات اقترنت النزعة العلمية بالاعتقاد في أن كل العلوم يمكن أن تتحد في صلب علم واحد تجتمع فيه المعارف.

والعلم الذي يكون أهلاً لذلك هو العلم الطبيعي Physics أو الطبيعيات، لأنه العلم الذي يستحق، بامتياز، هذه الصفة. ومن هنا نلمس نزعة "كواين" الفيزيائية الشاهدة على نزعته العلمية. وهو بذلك يأخذ بالجزر الأصلي للتجريبية ويرفض التصور التحليلي الذي آلت إليه.

تسعى الانتقادات والتبكيئات التي دحض بها "كواين" المعتقدات الوضعية، والفلسفة التحليلية عموماً، إلى تبيان حدود الدعاوى والمعتقدات التي قامت عليها تصورات الفلاسفة التحليليين. ويمثل مقال "كواين" "عقيدتنا النزعة التجريبية" المنشور سنة (1951) الطريق المباشر لفهم علاقته بالتجريبية والفلسفة التحليلية، فقد أدمج في هذا المقال موضوعات عديدة بما فيها الدعوى القاضية بعدم دقة أو امتناع تحديد الترجمة وامتناع تمحيص الإجابة، لينتهي إلى القول بنسبية تستتبع أن منتهى فهمنا للموضوع المادي إنما يعود إلى نسبية تعود إلى اختيارنا الاعتيادي للكيفية التي نؤوّل بها أو نفسر أو نترجم بها موضوعنا.

وهذا الموقف سيبلور دعواه اللاحقة القائلة بـ "النسبية الأنطولوجية" (1968). ومفاد هذه الدعوى أننا لا نستطيع التكلم عن انطولوجيتنا إلا في إطار خلفية أنطولوجية أخرى نختارها اعتباطاً بكيفية تخضعها فيها لاعتبارات ذرية، وتتحكم هذه النسبية في كل معتقداتنا. إن القول

بالنسبية لا يعود إلى تعددية النماذج وإنما يرجع إلى ضرورة استناد موقفنا الأنطولوجي إلى أرضية أنطولوجية أخرى.

سوف تقوِّض هذه الدعاوى الكواينية المعتقدات التحليلية، وستجهز على مبادئ التجريبيين المناطق انطلاقاً من النتائج التي آلت إليها انتقادات "كواين". نذكر من بين هذه النتائج عدم التفريق المعرفي والأنطولوجي بين التحليل والتركيب، ورفض التفريق الميتافيزيقي بين القبلي والبعدي^a priori, a posteriori بدعوى فصل العلم الطبيعي عن الميتافيزيقا النظرية. والنتيجة الأخرى تتحدد في نقض نزعة الرد التي قامت عليها التجريبية ومفادها أننا يمكن أن نرد كل عباراتنا إلى محتوى تجريبيٍّ وصورةٍ منطقيةٍ أو إلوقائعٍ اختباريةٍ وعلاقاتٍ منطقيةٍ.

لقد انتقد "كواين" الفكرة القائلة بأننا يمكن أن نتكلم بكيفية ملموسة عن الارتباط الحاصل بين القضايا الجزئية والتجربة. وبهذا أسقط المثال الذي شيده الوضعيون وفلاسفة التحليل عموماً. فقد انطبعت فلسفة "كواين" بطابع نقدي صارم أبرز ما ميزه مهاجمة الفلسفة التحليلية والقضاء المبرم على المنظور التحليلي للغة الذي هيمن على الفلسفة المعاصرة من "مور" G. Moore إلى يومنا هذا.

تتحدد أهم خلاصة انتهى إليها "كواين" في نقده للتحليلية في أن المنهج التحليلي ليس أقل إغراقاً في الميتافيزيقا مما يدعيه للفلسفات الأخرى. فحتى الفلسفة التحليلية التي جسّمت نفسها مهمة تطهير اللغة من

الميتافيزيقا، لم تفلت بذاتها من الوقوع فيها؛ لأن أساسها هي الأخرى تأملي ميتافيزيقي لوثوقها بنجاعة الأداة المنطقية وبشفافية الواقع الاختباري.

يرى "رومانوس"⁷⁹ أن هناك، في نهاية التحليل، تصورين تحليليين للغة:

- التصور التحليلي الأول ويتجلى في دعوى فلاسفة اللغة المثالية الاصطناعية الذين اعتقدوا أنهم سيطّرون اللغة من شوائب الميتافيزيقا وزوائد التأمل تبعاً لدعواهم الاصطلاحية وبناءً على اصطناع اللغة المثالية التي تكون قواعدها الصورية المحكمة قادرة على القيام بتقعيد ذي كفاية وصفية وتفسيرية للواقع يقصي كلّ إمكانية لتسلُّل الميتافيزيقا.

- التصور التحليلي الثاني وهو يسعى إلى ربط اللغة الطبيعية natural language بإمكاناتها الذاتية الخالصة غير مقتصر فقط على الجانب النحوي والدلالي، وإنما يعمل على تتبع الخصائص المميزة لقوة اللغة الطبيعية ببحث الاستعمال والتداول، وتحديد المنطق الفريد للغة العادية لحياتنا اليومية.

ويعتقد "رومانوس" أن التصورين معا يستندان - عن وعي أو عن غير وعي - إلى أساس ميتافيزيقي. وفي هذا السياق تكشف فلسفة "كواين" عن

⁷⁹ - Romanos, (1983), *Quine and analytical philosophy*, Cambridge, Mass : M.I.T

الفشل الذريع للفلسفة التحليلية التي ليست أقل ميتافيزيقية من الفلسفات الأخرى التي نصّبت نفسها تطهيرها.

ومع ذلك، فإن "كواين" لم يتجاوز كافة المعتقدات التي قامت عليها الفلسفة التجريبية في تحاليلها اللغوية. إلا أنه لم يبالغ في التعويل على التحليل حيث إنه لم يرفض، مبدئياً، التجريبية بل حافظ على النزعة العلمية. ولعل هذه الأسس هي التي كانت وراء نزعته الفيزيائية، ورؤيته النقدية لمعتقدات النزعة التجريبية. وما النتائج التي انتهت إليها فلسفته الواقعية النسبية إلا انعكاساً لاعتقاده المحق في أن الواقع إن هو إلا نظام طبيعي نقاربه بكيفية غير قطعية.

لقد لعبت السلوكية دوراً رئيسياً في فلسفة "كواين" يتمثل في الطابع الخاص والتميز الذي انطبعت به منهجية لديه. فإلى جانب اللغة والمنطق والتحليل هناك السلوك كمحدد آخر.

يرى "هوكواي" أن المساهمة التي قدمها "كواين" تتحدد فيما قام به من تمحيص لمجموعة المسائل والقضايا التي كانت الفلسفة التحليلية وراء بروزها. فقد بلور طريقة متسقة وصارمة لنقض المذهب التحليلي وهدم أسسه من خلال الهجوم على معتقدات الفلسفة التحليلية وعلى الخصوص اسميتها الجديدة المتمثلة في اعتبار اللغة وسيلة وموضوع للبحث عن الطرق القويمة للتكلم عن العالم الخارجي.

لقد هدم "كواين" التصور التحليلي دون أن يفرض في تجريبيته ونزعتة الفيزيائية فكل "معارفنا تعبر إلينا من خلال الحواس، والمعرفة الوحيدة الحقة هي المعرفة العلمية، والكون، بالأساس، نظام طبيعي"⁸⁰.

لقد استطاع "كواين" أن يبين، انطلاقاً من امتناع تحدد الترجمة، ودعواه القاضية بامتناع تمحيص الإحالة، وما استفاده من نتائج معرفية لأعمال "ديوهيم" الذي قاده إلى دعوى شمولية التحقق Holistic verificationism وامتناع تحدد النظرية العلمية undeterminacy of scientific theory ، أن اللغة لا تستوفي الكفاية الوصفية والتفسيرية لأن كل عبارة تحمل شحنة ذهنية وشحنة أنطولوجية، وبالتالي فحتى القضايا العلمية لا تقابل الواقع وتستعيده تماماً في لغة الغلم. وهكذا، فإن مواجهة "كواين" للفلسفة التحليلية جعلته يقيم التصور الطبيعي للمعرفة والواقع على أساس أكثر وضوحاً ومعقولية.

يجد المطلع على أعمال "كواين" أنها توجهت في قسط وافر من موضوعاتها إلى أركان الفلسفة التحليلية. فقد أجهز، كما سبق الذكر، على ثنائية التحليلي والتركيب، ودحض المعتقد الوضعي القاضي بإمكانية رد عباراتنا عن العالم الخارجي إلى التجربة، ودعا إلى تجريبية معتدلة moderate empiricism وإلى تفكير بدون الاعتماد على التحليلية⁸¹؛ ولهذا يحق لنا أن نؤكد على

- Hookway, (1988), op. cit., p. 3.⁸⁰

- thinking without analyticity.⁸¹

كون فلسفة كواين تجسد مجاوزة صريحة للفلسفة التحليلية تستحق معها أن نصفها بكونها فلسفةً ما بعد - تحليلية post-analytic philosophy.

2. معالم ما بعد النزعة التجريبية في فلسفة "كواين":

يعرض "كواين" في مقالته "المعالم الخمس للنزعة التجريبية" التي أعاد نشرها في كتابه النظريات والأشياء "خمسة مسائل انقلبت فيها النزعة التجريبية منقلبا محمودا"⁸² ابتداء من القرن السابع عشر، وفي هذه المقالة يقدم "كواين" نفسه باعتباره يمثل تنويعا للنهج التجريبي. ونستعرض فيما يلي هذه المعالم لنبيين من خلالها كيف يمكن تنصيب كواين في سياقها المعاصر، وفي تمثيله لما بعد النزعة التحليلية.

2.1. المعلم الأول: "نقل القصد من الأفكار إلى الكلمات"

Shift of intention from ideas to words

ويتجسد هذا المعلم في التركيز على تحليل التعابير أو الملفوظات عوض التركيز على الأفكار. وليس يخفى علينا التأثير الذي مارسه النزعة السلوكية كثابت بنيوي في فكر "كواين"، كما يمكن أن نصف هذا المعلم بالواقعية لأنه ينقل اهتمامنا من أشباح موضوعات الاستبطان إلى ما

- W.V. Quine, (1981), « Five milstone of empiricism » in **Theories and things**,⁸²

Cambridge, Mass. Harvard University, Press, p. 67.

يمكن أن نعالجه بكيفية ملحوظة من خلال تحليل التمثلات العامة القابلة للملاحظة والوصف الموضوعيين.

وأما إضافة "كواين" لهذا المعلم، فتكمن في هدم نظرية المعنى القائمة على اعتبار المعنى قائما في الأذهان. ومعلوم أن "كواين" قد نقض هذا التصور بالتعويل على السلوكية، وعلى النتائج التي توصل إليها في أعماله المنطقية، وكذا دعواه المتعلقة بامتناع الترادف Synonymy ؛ وهكذا، فتصور "كواين" للمعنى تصور سلوكي وطبيعي، لأنه لا يحتفظ من مكونات المعنى إلا باستجابات المتخاطبين للمثيرات غير اللفظية القابلة للملاحظة. وإن كان كواين سيعود للقول بامتناع تمحيص الإحالة للتثبت من علاقة اللفظ بالمشار إليه أي المُسمّى أو الإحالة.

يعود السبب الرئيس الذي قاد الفلاسفة والرياضيين والمناطق وبعض اللسانيين إلى الاعتقاد في وجود ذوات مجردة أو كليات أو معاني قائمة بذاتها إلى أن لغتنا تنحرف من التكلم عن الأشياء أو الموضوعات الملموسة إلى أشياء مجردة وغير ملموسة، ومعلوم أن التجريبيين عموما لا يعترفون لما يقع في الأذهان بأي كيان، إذ العقل عندهم صفحة بيضاء.

وقد سبق وأن تساءل "كواين" في مقالته "في الوجود"⁸³ عما إذا كانت هناك صور للسلوك اللساني تمكنا من أن نلزم أنفسنا، دون الوقوع في

⁸³ - W. Quine, (1953), « On What there is », in *From a logical point of view*, op. cit.

اللبس، من أن نقر بوجود موضوعات من أصناف متباينة. وقد دعاه هذا التساؤل إلى وضع معيار الالتزام الأنطولوجي *Ontological comittment*.

وقد لاحظ "تشورش" أن "كوين" كان أول من تكلم بجدية في مسألة المعيار الأنطولوجي، ومقالته "في الوجود" تتضمن نتائج بحثه في هذا الموضوع. ويتبين لنا أن موقف "كوين" من المعلم الأول يتجلى في توسيعه لنظرية الدلالة ودحضه للتصور الذهني والمثالي القائل بوجود المعاني والكليات مستقلة عن الوقائع الطبيعية.

ثم إن "كوين" لم يقل، من جهة أخرى، بأن الكلمات تسامت وتطابق الواقع، وإنما ادعى أنها غير قابلة للتمحيص لتوقفها على الالتزام الأنطولوجي من قبل الذي يتلفظ بها، كما يتوقف على المعطيات السلوكية. وسنبسط الكلام في هذه المسألة في معرض حديثنا عن النسبية الأنطولوجية في الجزء الثالث من هذا العمل.

2.2. المعلم الثاني: نقل الاهتمام من الألفاظ أو الحدود إلى

الجمل.

ويندرج هذا المعلم في فلسفة اللغة المعاصرة لأنه يندمج في إبراز قضاياها، ويساعدنا تحليله على تفسير مقاربة "كوين" لما يسميه الأنطولوجيا في محاضراته الكلاسيكية المذكورة. يرى "هوكواي" أن هذا المعلم يقترن بالبحث في طبيعة الجملة وما تقررره و'يُعنى' بعلاقة اللغة بالعالم الخارجي. وقد انشغل الفلاسفة السابقون والمعاصرون لـ"كوين" بهذا الموضوع

باستلهاهم أعمال "تارسكي" في حقل الدلالات Semantics؛ وهكذا رسخ الاعتقاد في أن اللغة الطبيعية ملتبسة في جوهرها عندما تبين لـ"تارسكي" في تحليله لنقيضة الكذاب⁸⁴ أن اللغة الطبيعية هي مصدر الالتباس.

يضرب "هوكواي" مثلاً عن تحليل وتحديد الاشتغال الحملي؛ فمن السهل أن نجد الأشياء التي توضع لها الحدود الشخصية singular Terms فـ"كو اين" توضع للدلالة على إنسان، و"لندن" للدلالة على مدينة، وهذه المدلولات موضوعات قابلة للملاحظة ولملموسة. ولكن الحدود من صنف أحمر، أمريكي، قاتل، لا توضع لدلالة على موضوعات عينية فهي تطلق على كل شيء ذي لون أحمر؛ وعلى كل إنسان ذي جنسية أمريكية أو أصل أمريكي... فـ'أحمر' لا تقال على أي موضوع جزئي أي أنها لا تفرد لشيء متعين. إن 'أحمر' تسمي خاصية عامة نسند لها أشياء مختلفة ومتنوعة وهذه الخاصية هي 'الحمرة'. ومن هنا فليس 'أحمر' محمولاً قابلاً للملاحظة فيمكن أن أرى أشياء حمراء غير أنه يمتنع على أن أرى 'الحمرة' التي هي الخاصية العامة.

⁸⁴ تعرف هذه النقيضة بنقيضة إبيمينيديس Epimènde's paradox أو بمفارقة الكذاب، حيث يتعلق الأمر بجملة كاذبة إن صدقت وصادقة إن كذبت، فلو سئل إبيمينيدس الذي سقيم في مدينة الكذابين من طرف شخص ما: هل أنت من مدينة الكذابين؟ فإن المفارقة يتظاهر إن أجاب بنعم فهو صادق ومعلوم أن أهل مدينة الكذابين لا يصدقون، وإن أجاب بلا، فإنه سيكذب وبالتالي سيثبت أنه بحق من مدينة الكذابين !!!

أمام مشكلات من هذا القبيل فرغ الفلاسفة المعاصرون إلى تحليل اللغة انطلاقاً من معطيات المنطق والعلم الطبيعي. وقد أعطت هذه الأعمال نتائج هائلة تمثلت في أعمال "راسل" حول نظرية الرسوم theory of descriptions، ونظرية الأنماط theory of types، وأعمال "كارناب" التي بحث فيها علاقات معقدة بين المعنى والضرورة وهو عنوان أحد مؤلفاته، وكذا في كتابه النحو المنطقي للغة، والبنية المنطقية للعالم.

ومهما يكن من أمر فإن إضافات "كواين" وتوسعاته في هذا المعلم تتحدد في رفعه للقلق والتوتر الحاصل بين جملنا وعبارتنا وبين العالم الخارجي خصوصاً في مؤلفه الكلمة والشيء. وأبرز الخلاصات التي وصل إليها تتحدد في دعوى نسبية الأنطولوجيا، وامتناع تمحيص المسمى وامتناع تحدد النظرية العلمية.

2. 3. المعلم الثالث: الشمولية النسبية أو المعتدلة 'Moderate or

relative holism'، كما جاء عند "كواين" في كتابه: النظريات والأشياء. ويتحدد هذا المعلم في أن النظرية العلمية تشمل مجموعة من العبارات تتعلق بالموضوعات الخارجية أو بالتجربة، وتتعلق، في نفس الوقت، باللغة. وهذه العبارات لا تتحقق معزولة عن إطارها النظري، لأنها تواجه التجربة في شموليتها:

"لقد أصبحنا نعترف في النظرية العلمية بأنه حتى العبارات الكلية لا تصلح أن تنقل أو تحمل المعنى التجريبي. فلا يمكن لها متى أخذت معزولة (...)

أن تحصل على نتائج عيانية أو قابلة للتحقق. وتكون هذه النتائج متعلقة، بكيفية معقولة، بجسم النظرية العلمية مأخوذة ككل"⁸⁵.

ويعود الأخذ بالشمولية عند كواين إلى استلزام أطروحة "ديوهيم" التي أدت إلى تراجع الاعتقاد في نزعة الرد، وهي معتقد يرتبط "بمعتقد آخر يتعلق بوجود فرق بين التحليل والتركيب". ويتحدد معتقد نزعة الرد في "الفرضية القائلة بأن كل عبارة، مأخوذة بكيفية معزولة عن أندادها"⁸⁶ يمكنها أن تقبل الإثبات أو النفي بإطلاق" ويصرح "كواين" باعتراضه على هذا المعتقد قائلا: "إن ما افترضه في اعتراضه، المتعلق أساسا بمذهب "كارناب" في العلم الطبيعي في كتابه البنية المنطقية للعالم"⁸⁷ يتمثل في أن عباراتنا عن العالم الخارجي تواجه محكمة الحس التجريبي"⁸⁸ ليس بشكل معزول وإنما تواجهها، فقط، كجسم متحد"⁸⁹.

لقد كتب "ديوهيم" عن الواقع الذي يوجد فيه عالم الطبيعية أمام 'محكمة' التجربة، فبين في كتابه: النظرية الفيزيائية: موضوعها وبنيتها

- W. Quine, *Theories and things*, op. cit., p. 77.⁸⁵

- « Taken in isolation from its fellows ».⁸⁶

- R. Carnap, (1928), *Der logische Aufbau der Welt*, Berlin, *The logical structure of the world*. Berkelay & Los Angeles, University of California Press.

- « Confront the tribunal of sense experience as a corporate body ».⁸⁸

- W. Quine, (1953), *From a logical point of view*, op. cit., p. 41.⁸⁹

أنه "عندما تكون التجربة متعارضة مع تنبؤات [عالم الطبيعة] فإنه يشعر بأن فرضية واحدة على الأقل من بين الفرضيات التي تشكل هذه المجموعة غير مقبولة ويجب تعديلها، غير أن التجربة لا تعين الفرضية التي يجب تغييرها". ويضيف دوهيم قائلا: "لا يستطيع عالم الطبيعة على الإطلاق أن يخضع للمراقبة التجريبية فرضية معزولة، ولكنه يستطيع، فقط، أن يخضع لها مجموعة من الفرضيات"⁹⁰.

بإمكاننا الآن أن نحدد شمولية "كواين" المعتدلة ضد مبالغة "كارناب" والوضعين المناطقة في ادعاء إمكانية رد العبارات إما إلى التجربة وإما إلى اللغة المنطقية بالأخذ بثنائية التحليل والتركيب. وقد دحض "كواين" هذه الدعوى، وفند هذه الثنائية فرأى في الشمولية ما يسدُّ مسدَّ الاعتقاد في تفريق مزعوم لا سند له كما سيأتي بيانه لاحقا.

يرى "غوشيه" أن "الشمولية الدلالية، أي إثبات أن وحدة المعنى هي العلم برؤيته هي الدعوى الأكثر أصالة من بين دعاوى "كواين" وأكثرها إرباكا (...) وتصدر هذه الدعوى عن تأليفه بين دعويين هما:

- Duhem (Pierre), (1906), *La théorie physique : son objet et sa structure*, Paris,⁹⁰

1.3.2. الشمولية المعرفية Holisme épistémologique لـ"ديوهيم"، أي

تلك الدعوى التي يكون بمقتضاها أننا لا نتحقق من أية فرضية معزولة على الإطلاق.

2.3.2. النظرية التحقيقية للمعنى Théorie vérificationniste de la

signification لكل من "بيرس" و"شليك" التي يكون بمقتضاها معنى عبارة ما كامنا في طريقة التحقق منها"⁹¹.

وبهذا انتهى "كواين" إلى القول بشمولية التحقق وبشمولية المعنى ضاربا صفحا عن التفريق بين التحليل والتركيب وعن التصور الوثوقي المتمثل في نزعة الرد "والمعتقدان معا متماثلان، حقا، من حيث الأصل. لقد انتهينا بعد تأمل طويل إلى أن صدق العبارات يتوقف، بوضوح، على اللغة وعلى الوقائع الموجودة خارج اللغة؛ ولاحظنا أن هذا الظرف البين يحمل في طياته، شعورا، ليس منطقيا بل جد طبيعي، بأن صدق العبارة قابل، بطريقة أو بأخرى، لأن ينحل إلى مكون لغوي ومكون اختباري"⁹².

وهذا الموقف النظري الذي سعى فيه "كواين" إلى بناء نزعة تجريبية بدون وثوقيات سيقود إلى المعلم الرابع الذي توقف دونه "كارناب" ولم يلتفت،

- Gochet, (1978), *Quine en perspective*, op. cit., p. 23.⁹¹

- W. Quine, op. cit., p. 41.⁹²

فيما يرى "كوين"، إلى ضرورة هجرة المعتقدين التجريبيين والانتقال إلى "واحدة منهجية".

4.2. المعلم الرابع: الواحدة المنهجية Methodological monism

لا نجد أمامنا سوى هذا الخيار الذي يفرض علينا أن نأخذ بواحدة منهجية عندما يسقط التفريق بين التحليل والتركيب، وعندما نعجز عن التمييز بين العبارات التحليلية والعبارات التركيبية لنظرية علمية ما. فحتى "كارناب" عندما وضع "القواعد" و"مسلمات المعنى" و"التعريفات"، فإنه لم يسلم من إدخال الاعتبارات الذريعية؛ وهكذا تبين أن الواقع يقطع دابر كل تصور ينبنى على ثنوية تفرق بين الوقائع الاختبارية واللغة.

يقترح "كوين" واحدة منهجية تلغي الوثوقية التجريبية، وتقصي التحليلية لتبقي على تجريبية بدون وثوقيات، وهذا ما حمّله في آخر مقالته "عقيدتنا النزعة التجريبية" على المناداة بتجريبية بدون معتقدات "Empiricism without dogmas"، تخضع للشروط الطبيعية. ويعلق "هوكواي" انطلاقاً من فكرة عقدها تحت عنوان "الفهم بدون تحليلية" على واحدة "كوين" قائلاً:

"إنه قلق طبيعي تخلفه 'الواحدة المنهجية' فينا حين لا تقدم لنا أية طريقة للفهم؛ ذلك أن التفريق بين التحليل والتركيب يفسر قابليتنا للتواصل: إنه يتوقف على تحكمنا المشترك في الحقائق التحليلية لبنية

لسانية مشتركة⁹³ فبدون هذا التفريق يتعذر تفسير فهمنا للملفوظات ولا يصبح ممكنا البتة"⁹⁴.

ويمضي "هوكواي" ليقدم اعتراضا على رفع التفريق بين التحليل والتركيب، وما يعترض فهمنا الذي لا يقوم على التحليلية: "ثمة اعتراض آخر مشهور يتحدد في أننا نتفق جميعا على التمييز بين العبارات التحليلية والعبارات التركيبية"⁹⁵.

وفي مواجهة الواحدية المنهجية لدى كواين، ذهب كلٌّ من "غرايس" Grice و"ستراوس Strawson في مقالهما "دفاعا عن المعتقد" (1956)، (وهو مقال ردّاً فيه على "كواين" ورفع لنبذه التفريق بين التحليل والتركيب"، حيث واجها أطروحته بالتساؤل التالي: كيف يمكن لـ"كواين" أن ينفي الفرق الواضح بين "كل العازبين غير متزوجين" و"تزوج سقراط" "اكزيونتيب" (...). فالعبارة الأولى قبلية 'خالصة' معرفيا، وصادقة صدقا ضروريا؛ وصادقة بفضل معناها؛ بينما الثانية عبارة اختبارية تامة، ممكنة وتركيبية"⁹⁶.

- Common Linguistic framework.⁹³

- Hookway, (1988), op. cit., p. 43.⁹⁴

- Ibidem.⁹⁵

- P. Grice, and Strawson, (1956), 'In defense of a dogma', **Philosophical review**,⁹⁶ 65, 141-58.

يبدو أن هذا الاعتراض قاطع غير أننا نلمس في نقد "كواين" لما هو صادق بمحض الاتفاق ما سيجعلنا نغير رأيينا.

5.2. المعلم الخامس: "هجرة الغرض من الفلسفة الأولى"

'The abandonment of goal of first philosophy'

لقد دحض "كواين" مبدأ التفريق بين الميتافيزيقا النظرية والعلم الطبيعي. فهو يذكرنا، في معرض حديثه عن الأنطولوجيا في مقالته "معتقدا النزعة التجريبية" بقولة "مايرسون" التي يوردها في الهامش بالنص الفرنسي "تشكل الأنطولوجيا والعلم ذاته جسدا واحدا ولا يمكن أن نفرق بينهما"⁹⁷ لقد كشف "كواين"، إذن، عن تهافت التمييز بين الفلسفة والعلم:

"بالنسبة لـ"كواين"، تعد الفلسفة علما. حتى إنها تكون، بمعنى ما، علما تجريبيا لا يختلف عن باقي العلوم الأخرى سوى بعموميته الفائقة"⁹⁸.

وقد ظهرت دعوى نبذ الفلسفة الأولى جلية في تعقيب "كواين" على "تشومسكي" حيث نلمح نفحة الفلسفة الكواينية الواقعية ونزعته الفيزيائية التي تمجد العلم الطبيعي وتجعله أساسا لكل معارفنا الممكنة:

⁹⁷ 'L'ontologie fait corps avec la science elle-même et ne peut en être séparée' -

Mayerson.

- Gochet, (1978), *Quine en perspective*, op. cit., p. 209.⁹⁸

"إن النظرية في العلم الطبيعي مقياس سام، فلا وجود لفلسفة أولى ذات مشروعية أسى وأدنى من العلم الطبيعي يمكن أن نستدعيها بحيث تكون أرقى من مواهب علماء الطبيعة"⁹⁹ Physicists.

وانطلاقاً من هذا المذهب يمكن اعتبار الفلسفة علماً، من وجهة نظر واقعية وطبيعية بالحقائق الكلية للطبيعة، المعروف منها وغير المعروف، العياني وغير العياني، الماضي والمستقبل.

هكذا استطاع "كواين" أن يهدم التصور الوضعي الذي أقامه التجريبيون المناطق بحصرهم، مع كل من "فتغنشتين" و"كارناب"، الفلسفة في تحليل اللغة العلمية، وضربهم صفحاً عن الموضوعات التقليدية للفلسفة. غير أن "كواين" ظل يحتفظ، مع ذلك، بالأصول التجريبية التي هذبها بدعاويه الواقعية ونزعته الفيزيائية وتجربته الشمولية المعتدلة التي نسقها في فلسفة ما بعد تجريبية post- empiricism philosophy قد تخلت عن كل وثوقيتها.

إن كل ما يمكن أن نلاحظه بخصوص علاقة "كواين" بالتحليلية وبالتجريبية هو الطابع النقدي المتميز الذي قاده إلى الإجهاز على التناول

⁹⁹ - W.V. Quine, « Reply to Chomsky » in Davidson, D. and Hintikka, J. (1969) (eds.).

Words and objections, op. cit., p. 303.

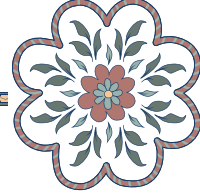
الميتافيزيقي للغة مبينا حدود منهج التحليل ومنتقدا الوثوقيات التي ارتكزت عليها الفلسفة التحليلية والنزعة التجريبية.

وخلاصة القول أن المعالم التي استعرضناها تبدي لنا كيف تستقر فلسفة كواين كامتداد للنزعة التجريبية وكمجازة لها حيث تنقلب منقلبا يخلصها من الوثوقيات ومن كل فلسفة أولى مزعومة سابقة عن العلم الطبيعي وهذا ما سيتجلى بوضوح في دعوى الابستمولوجيا الطبيعية. وقد عالجنها في الجزء الثالث من هذا العمل، فليُرجع إليه¹⁰⁰.

¹⁰⁰. Epistemology naturalised -

. انظر الفصل الثالث من الباب الرابع الفقرة 2، 3.

الفصل الثالث :



الأساس الدلالي لفلسفة كواين

توطئة

لما كان مبحث الدلالة مبحثاً رئيساً في فلسفة كواين، وكان له ارتباط وطيد بطروحاته المنطقية-الفلسفية، فقد اتخذناه منطلقاً مركزياً لفهم الدعاوى التي ساقها هذا الفيلسوف؛ ولذلك عالجنا في هذا الفصل مجالات نظرية الدلالة بما فيها الدلائليات في اللسانيات العامة وخلفياتها النظرية، ثم عرجنا، بعد ذلك، لنتطرق للمناظرة التي تمت بين اللساني الكبير نعام تشومسكي وكواين لنقف عند التقابل الحاصل بين خلفيتين متعارضتين: العقلانية والنزعة الفطرائية لدى تشومسكي من جهة، والتجريبية الطبيعية لدى كواين من جهة أخرى.

وفي سياق التحليل المنطقي للدلالة، تعرضنا لمسألة المعنى والإحالة بين فريغه وكواين، ثم بين كواين ورسل، ثم أجرينا مقارنة بين جهات المعنى عد لويس، وامتناع التحدّد عند كواين، لنفرغ لبسط المفاهيم الدلالية عند كواين بغية بيان ما يدخل منها تحت المعنى، وما يدخل منها تحت الإحالة.

فلا شك أن مبحث الدلائليات من المباحث الأساس في فلسفة "كواين"، فالناظر في فلسفته يحتاج بالضرورة إلى الإحاطة بنظرية الدلالة في مجالاتها اللسانية والمنطقية والفلسفية. وقد تبين لنا أن معظم الطروحات المنطقية والفلسفية إنما تقوم، بالأساس، على تصوراته

ومواقفه من المشكلات الدلالية؛ لذلك أنطنا هذا الفصل ببحث المسائل التي عالجها "كواين" في إطار مبحث الدلاليات انطلاقاً من التحديد الذي قسم فيه هذا المبحث إلى:

"مجالين متميزين تمايزاً أساسياً إلى درجة لم يصبح معها هذان المجالان يحملان نفس التسمية على الإطلاق. يمكن أن نسميهما بـ: مجال نظرية المعنى ومجال نظرية الإحالة (...) فالمفاهيم الرئيسة لنظرية المعنى هي، فضلاً عن المعنى meaning نفسه، الترادف synonymy (أو تماثل المعنى) والعنى significance¹⁰¹ (أو حمل المعنى)، والتحليلية analyticity (أو الصدق بفضل المعنى)؛ وهناك مفهوم آخر يتعلق باستلزام تحليلية الشرط entailment of analyticity of the conditional. وأما المفاهيم الرئيسة في نظرية الإحالة فهي التسمية naming، والصدق truth، والمعنى الأصلي denotation (أو المشار إليه) والمصدق extension، ويضاف إليهما مفهوم آخر يتعلق بقيم المتغيرات truth variables¹⁰²."

ولما كنا نروم افتتاحص العلاقة القائمة بين مبحث الدلاليات عند "كواين" وأثره في فلسفة المنطق، فقد سعينا إلى تبين الخيوط الرفيعة التي تربط

101 . significance "العنى أو الإعناء" وهو مصدر لفعل "عنى". وقد اقترحه علينا إلى جانب مصطلح "العناية" الذي يفيد نفس المعنى أولاً الشحنة الدلالية المرتبطة به كإهتمام والحفظ وما إليهما.

102 . W.O. Quine, (1953), *From a logical point of view*, op. cit., p. 130.

دعاوى هذا الفيلسوف بنتائج بحوثه الدلالية، وهي دعاوى تطرقنا لها، كما سبقت الإشارة، في الجزئين الثاني والثالث من هذا العمل، حيث تناولنا علاقة الدلالات بفلسفة المنطق في الجزء الثاني؛ وعلاقة الدلالات بفلسفة العلم في الجزء الثالث. وقد استكشفنا فيهما كيف أسست النتائج الدلالية التي توصل إليها "كواين" لفلسفته في المنطق وفلسفته في العلم، وكيف برهن على أطروحته الرئيسيتين: النسبية الأنطولوجية، وامتناع تحديد النظرية العلمية، وامتناع تحدّد الترجمة.

فلنبسط الكلام في الدلالات عند كواين ولنبرز مجالات تعاطيه مع أسسها النظرية، ومنطلقاتها الفكرية، من خلال تقصّي مجالي الدلالة بمبحثها المحددين في نظرية المعنى، وفي نظرية الإحالة.

مجالات الدلالة:

ينبغي أن نميز أولاً بين الدلالة اللسانية والدلالة المنطقية:

(أ) الدلالة اللسانية:

فالدلالة في مجال اللسانيات مبحث ينظر في المعاني انطلاقاً من قواعد دلالية ومعجمية تتعلق بلغة خاصة. وهي، أي الدلالة اللسانية، "تتوفر، على غرار شعب أخرى من اللسانيات على قسم نظري وقسم وصفي. تتناول الدلالة اللسانية النظرية، أو باختصار الدلالة النظرية، النظرية العامة للمعنى من وجهة نظر لغوية (...) فهي عبارة عن مناقشة نظرية لمختلف أوجه أو مظاهر المعنى في اللغة عموماً [في اللسانيات العامة] (...)

أما الدلالة اللسانية الوصفية (...) فإنها تعنى بوصف أو بحث معنى العبارات أو الأقوال في اللغات الطبيعية الخاصة" ¹⁰³.

(ب) الدلالة المنطقية:

وهي تعتمد المنطق الرمزي لصوغ القواعد الدلالية وإحكامها وتقييدها. وتتحدد وظيفتها في تقعيد وصورنة القضايا الدلالية من معنى وإحالة، وأسماء علم، وما إلى ذلك بوضع قواعد مخصوصة ذات طابع صوري يضيف عليها العموم والشمولية.

1. مجال الدلالات اللسانية:

لقد نبه "كواين" إلى مشكلة المعنى في كتابه من وجهة نظر منطقية (1953) في أكثر من موضع. نشير، على سبيل المثال، إلى "مشكلة المعنى في اللسانيات" حيث دعا إلى ضرورة "إشفاء" اللسانيات المعاصرة من مشكلة المعنى. فإذا كان واضح المعجم (أو المعجمي) أكثر عناية من غيره بمسألة المعنى، لأنه يقيم، بناء عليها، ترادفات بين الألفاظ والعبارات، فإن اللسانيين لم يتمكنوا من إمداده بتفسير كاف لمفهوم المعنى.

ويعود العجز، في نظر "كواين"، إلى الخلط بين المعنى والإحالة أو المعنى والمُسَمَّى. وهنا يلعب التعيين دورا أساسيا في التصور الماصدقي لـ "كواين":

- Lyons, J., (1978), *Semantics*, I et II, Trad. Française J. Durand : *Elements de* 103

sémantique, Larousse Université Paris (1978), p. 115.

"إننا نشعر أن لفظة "رجل" واضحة بالنسبة لنا بالقدر الذي نتعرف فيه على جارنا، وإن معنى الجملة "نجمة المساء" واضحة بالنسبة لنا تماما مثلما هي النجمة في السماء".

وإذا كان الاهتمام بالأصول السلوكية للمعنى في مبحث اللغة قد خفت أو تلاشى، إذ لم تعد نظرية المعنى في المذهب السلوكي تثير اهتمام اللسانيين والمناطقية وفلاسفة اللغة، فإن "كواين" استمد منها، وبالتالي من المذهب السلوكي، أسسه في مبحث الدلالات، وطعّمه بنزعتة التجريبية وقومّه بالأداة المنطقية.

فرغم تراجع النجاح الذي حققته السلوكية في النصف الأول من هذا القرن في مجال النفسانيات وامتدادات هذا النجاح إلى مجالات البيداغوجيا وحقول الفكر الأخرى، ورغم اعترافات قمة السلوكيين بروتوس سكينر، بعد صدور كتابه " السلوك الكلامي "، بقصور هذه النظرية وعدم كفايتها الوصفية والتفسيرية، فإن "كواين" اعتبرها، مع ذلك، دعامة لفكره وبنى، على أساسها، معظم دعاويه الدلالية.

تلتقي السلوكية بروح الفلسفة الكواينية في كثير من الأوجه أبرزها تقليص دور الغريزة ورد كل المكتسبات المعرفية إلى التعلم وفق السلوك. ومن هنا التقاء السلوكية بالنزعة التجريبية الأخذة بطبيعانيات المعرفة ضد النزعة الفطرية والنزعة العقلية. فقد درج السلوكيون على استعمال "السلوك

الكلامي" في مقابل اللغة إيماناً منهم بعدم وجود الأفكار الفطرية، وعدم اعترافهم بوجود الذوات المجردة وإبطالهم للمعنى كمعطى ذهني خالص.

إن أبرز مشكلة واجهتها النظرية السلوكية هي مشكلة المعنى. ذلك أن ما يهتم به كل من الفيلسوف واللساني أكثر من غيرهما هو اللغة و"اللغة، هي بالتعريف، مجموعة من الرموز والعلامات، والرموز والعلامات هي كل ما له معنى"104 حتى أن "بلومفيلد" اعتبر أن الذين يعنون بالنحو أو بالصوتيات ينبغي أن يستندوا على نتائج البحوث الدلالية:

إن الصوتيات التطبيقية Pratical phonetics وعلم الصوت (= الفونولوجيا) يقتضيان معرفة المعاني: فبدون هذه المعاني لن نتمكن، حسب بلومفيلد، من تثبيت الصور الصوتية¹⁰⁵ ومن هنا يتبين أن الدلائليات تحتل مكانة أساسية في اللسانيات السلوكية، إذ بواسطة "هذه الطريقة [السلوكية] وحدها يستطيع التحليل الخالص (أي التحليل الذي يأخذ المعاني بعين الاعتبار) أن يقود إلى معرفة المورفيمات المكونة الأساسية"¹⁰⁶؛ وهذا يعني أنه بدون الخوض في دلالة المعاني لا نتمكن من تحديد الموضوعات النحوية أو الصوتية:

- Cooper, D.E., (1973), **Philosophy of the nature of language**, Group – LTD. 104 Longmen, p. 10.

- Bloomfield, L., (1967), **Language**, Allen and Unwin, pp. 137 – 138. 105

- Ibid., p. 161. 106

"يصرح "بلومفيلد" بأننا ل نتمكن من معرفة "الفونيم" و"المورفيم" إلا باعتبارهما يمثلان، على التوالي، الوحدة الصوتية الأدنى ذات المعنى والعنصر الصرفي الأدنى الذي يتوفر على معنى"؛¹⁰⁷ ولعل هذا هو ما حدا بـ"موريس شليك" إلى اعتبار الفلسفة ذاتها مجرد "اشتغال تكون معاني العبارات، من خلاله، مفسرة أو مثبتة"¹⁰⁸.

وحتى نتبين قيمة الدلالة في مبحث المعاني عند السلوكيين، نحصي، مع "كوبر" Cooper، مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالمعنى. ومن المعلوم أن الاهتمام بالمعنى اهتمام شاسع ومتعدد الجهات. نذكر، على سبيل المثال، أن "المعنى" يقترن، كما ذكرنا، بمعان أخرى كالترادف والتحليلية وغيرهما. ولن نخوض في معنى "المعنى" التي أحصى منها "أوغدن" Ogden و"ريتشاردس" Richards في كتابهما معنى المعنى¹⁰⁹ ثلاثة وعشرين معنى مختلفا للمعنى ووسعها "ريتشاردس" لتصل إلى إحدى وخمسين معنى. لنعد إلى أسئلة "كوبر":

- Cooper, David E., (1973), **Philosophy of the nature of language**, op. cit., p. 107
12.

- Schaff, A., (1960), **Introduction to semantics**, Pergamon, (1964), Trad. 108
Françoise Lisowski, Anthropos, Paris, p. 45 et suiv.

- Ogden, C.K., and Richards, I.A., (1923), **The Meaning of Meaning**, Londres : 109
Routledge and Kegan Paul.

[1] هل تعد معاني العبارات من أصوات وكلمات، وجمل وعبارات أو ما شاكلها ذواتا مجردة من صنف معين؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو هذا الصنف؟

[2] ما هي الشروط التي تخضع لها الملفوظات أو العبارات لكي تتوفر على معنى؟

[3] ماذا يفيد أن يكون لعبارتين ما نفس المعنى؟

[4] ما هي العوامل التي تجعل الألفاظ تفسد المعنى؟

[5] ما هي الوحدات اللسانية الدنيا التي تتوفر على معنى؟

هناك عدة نظريات حاولت أن تقدم أجوبة لهذه الأسئلة إما من الحقل اللساني أو من الحقل المنطقي - الفلسفي. ويبدو أن بعضا من هذه الأسئلة، من قبيل [1] و [2] و [3]، لا تدخل في اللسانيات المتعلقة باللغات الخاصة بل إنها تستدعي، أحيانا، مواقف فلسفية كما نجد في [1]، أو تستدعي فحصا منطقيًا للترادف داخل لغة اصطناعية كما يقتضيه السؤال [2].

لا يهمنا، في هذا السياق، أن نظهر الفروق بين هذه الأسئلة. لنتعرف على أبرز النظريات التي سعت إلى تقديم الإجابة على مثل هذه الأسئلة، ولنبرز موقف "كوين" منها:

1.1. النظرية الذهنية Mentalistic theory:

هناك فرق دقيق بين النزعة الذهنية والنزعة التصورية Conceptualism. تتعامل هذه النزعة الأخيرة مع المعنى ومكوناته باعتماد وصنف مبسط للغة دونما تسليم بوجود ذوات واقعية. وتلتقي النزعة التصورية بالاسمية في اعتبار أن الكليات، مثلاً، مجرد أسماء. ومن هنا نعتها بالاسمية.

تأخذ كل من النزعتين التصورية والاسمية بالموضوعات الخارجية كمطلق بل إن "المفهوم المتعلق بالشخص [الموضوع الخارجي] هو العلامة الطبيعية للموضوع [الشيء]". فحتى "أوكام" ظل يعتبر أن معرفتنا بالأشخاص تكون معرفة مباشرة حدسية، ومعلولة لهذه الأشخاص الموجودة في العالم الخارجي. وهكذا فإن "النزعة التصورية توضع للدلالة على كل نظرية دلالية تُعرّف المعنى، معنى كلمة ما أو عبارة، باعتبارها المفهوم المرتبط بهذه الكلمة أو العبارة في ذهن المتكلم أو المخاطب" ¹¹⁰.

وأما النظرية الذهنية فإنها تعطي للمعاني وجوداً مستقلاً في الأذهان؛ فهي تسلّم بوجود الذوات المجردة. وقد أشرنا إلى أن السلوكية التي تبناها "كواين" قد هجرت المفاهيم الاستنباطية، ولم تصدر على وجود التصورات الذهنية المستقلة بذاتها كذوات مجردة.

إن الإجابات التي قدمها "كواين" عن الأسئلة [1] و [2] و [3]، باعتبارها تتصل بالمعنى والترادف، وبالشروط التي يخضع لها كل منهما، انطلقت،

- J. Lyons, (1978), *Eléments de sémantique*, Trad. Française de J. Durand, 110

Larousse, Paris, p. 95.

بالأساس، من إبطال وجود المعنى كذات مجردة بدعوى امتناع تحديد المعنى Indetermination of meaning، ومن ربط المعنى بالمثير الخارجي وربط الترادف بالمعنى المثير Stimulus-meaning كما سنبين في الجزء الثالث.

يشير "كوين" في كتابه من وجهة نظر منطقية إلى "أن ما أصبح يشكل معضلة المعنى هو ما أصبح ينطوي الآن على زوج إشكالي يكون فيه المعنى غير وارد؛ فهناك، أولاً، مفهوم عني مقطع ما Significant sequence (أي ما يجعل مقطعا ما دالا) وهناك، ثانياً، مشكلة إعطاء معنى لمفهوم الترادف"¹¹¹.

لنلخص تصور النظرية الذهنية للدلالة بعد أن بينّا أن "كوين" يرفضها؛ فهي تفيد أن عبارة ما تحصل على معنى إذا وفقط إذا ارتبطت ببعض الوحدات الذهنية من قبيل الفكرة أو العقل أو الصورة الذهنية أو ما شاكل ذلك، وبالتالي فإن عبارتين ما تكونان مترادفتين إذا وفقط إذا اقترنتا بصورة ذهنية واحدة ووحيدة. تعنى لفظة "شبل"، مثلاً، "الحيوان صغير الأسد"، وبالتالي فإن الصورة الذهنية هي ما يُعوّل عليه في تحديد ترادف "شبل" و"صغير الأسد".

2.1. النظرية الاستعمالية أو نظرية الاستعمال Use theory:

هناك عدة صيغ لنظرية الاستعمال، وهي نظرية تقضي، على عموماً، بأن لفظة أو عبارة ما تكون دالة (ذات معنى) إذا وفقط إذا كان الناس

- W.V. Quine, (1953), From a logical point of view. Op.cit. 111

يستعملونها لأغراض معينة، وبطرق محددة. وتكون عبارتان مترادفتين إذا وفقط إذا أمكن استعمالهما بنفس الطريقة، ولنفس الغرض بحيث لا يترتب عن استعمال أحدهما غير ما يترتب عن استعمال الأخرى. وبناء على هذا التحديد، يتوقف تحليل المعنى على فهم استعمال العبارات في سياق النشاط الإنساني.

يذهب "كوبر" Cooper¹¹² إلى "أن ثمرة النظرية الاستعمالية يمكن الحصول عليها من الشواهد التالية المأخوذة من رواد هذه المقاربة للمعنى: يقول فتغنشتاين:

"في الحالات الكثيرة- إن لم نقل في كل الحالات- التي نستعمل فيها كلمة "معنى" يمكن أن نعرفه فيها كما يلي: يتحدد معنى كلمة ما في استعمالاتها داخل اللغة"¹¹³.

ويضيف:

"... أليس توفر العبارات على نفس المعنى إنما يرجع إلى كونها تتوفر على نفس الاستعمال"¹¹⁴.

- Cooper, (1973), *Philosophy of the nature of language*, op. cit., p. 37.112

- Wittgenstein, (1969), *Philosophical investigation*, 3rd edn Mac Millan 113 section 43.

- Ibid., section 20.114

"يتحدد فهم كلمة أو جملة بمعرفة كيفية استعمالها، أي أن نجعل دورها في متوالية من العبارات منجزاً" ¹¹⁵.

يمكن أن نعترض على نظرية الاستعمال، خارج اللغة الطبيعية، ألسنا نستعمل، مثلاً، ألفاظاً تحمل معنى غير الذي نستعمله نحو "ستالين"، فهي تعني "الرجل الحديدي" غير أننا نستعملها للدلالة على اسم علم لأحد قادة الاتحاد السوفياتي، وكذلك نستعمل "فارس" كاسم لشخص دون أن نعني بها "البطل" أو "ممتطي الفرس"... إلخ؛ ومهما يكن من أمر، فإن النظرية الاستعمالية قد نهضت بالقيمة المنطقية للغة الطبيعية.

فما هو موقف "كواين" من هذه النظرية؟

لا يأخذ "كواين" بالنظرية الاستعمالية. حيث نجده يعترض على "فتغنشتاين" حين ذهب هذا الأخير إلى اعتبار أن "فهم عبارة ما يعني فهم اللغة" ¹¹⁶. فحتى لو سلمنا بصحة قول "فتغنشتاين"، فكيف نتمكن، مثلاً، من فهم عبارة تلفظ بها شخص من قوم آخرين نجهل تماماً لغتهم ونحاول ترجمتها إلى لساننا باعتماد ما أسماه "كواين" الفرضيات التحليلية Analytical hypothesis؟ وهل نكون على يقين من أن ما ننقله انطلاقاً

¹¹⁵ - Ryle, G., (1963), « Ordinary language » in *philosophy and ordinary language*, ed. C. Caton, Illinois, University Press, p. 120.

¹¹⁶ - Wittgenstein, (1958), *Blue and Brown Books*, Oxford : Blackwell, p. 5.

من الاستعمالات مطابق للحقيقة؟ وهل بإمكاننا فهم عباراتهم انطلاقاً من فهم لغتهم؟

يجيب "كواين" بامتناع تحدد المعنى وبامتناع تمحيص الإحالة، اللذين سنتعرض إليهما لاحقاً، مما يحول دون التمكن من معرفة سليمة باستعمال اللغة. وهكذا فإذا كان فهم عبارة ما يتوقف على فهم اللغة، فإن فهم "عبارات من هذا القبيل (...)" يفتقد، من الناحية اللسانية، لوجود المعنى المستقل¹¹⁷ سيقود حتماً إلى ضرب من ضروب النزعة الذهنية.

يبين "كواين" فشل الاستعمال في تفسير وتحليل معضلات تتعلق، مثلاً، بالموضوعات المجردة كما يلي:

"لقد ارتكب "فيتغنشتاين" خطأ فادحاً عندما اعترض على مفهوم الهوية بقوله بأن، "القول عن شيئين بأنهما متماثلان قول لا معنى له، والقول عن شيء واحد بأنه مماثل لذاته لا يقول شيئاً". والآن، نجد أن عبارات الهوية التي تكون صادقة وغير عديمة الجدوى تتوقف على وجود حدود شخصية متباينة تحيل على نفس الشيء"¹¹⁸.

- Quine, (1960), Word and object, the M.I.T, Press, Copiright, p. 77.117

- Ibid., p. 177.118

ومن هنا يبين "كواين" محدودية ما ذهب إليه "فتغنشتاين" حينما ادعى أن مهمة الفلسفة لا تتحدد في حل المشكلات، بل تكمن في تحليلها وتفكيكها من أجل الكشف على أنه لم تكن ثمة مشكلات فلسفية¹¹⁹. وقد شاع كثير من الفلاسفة مذهب "فيتغنشتاين" هذا. وبناء على هذا المذهب يغدو التفسير عبارة عن عملية إلغاء Explication is elimination.

ويكشف كواين، معقبا على هذا المذهب، بقوله "إن التفسير إلغاء ولكن ليس كل إلغاء تفسير"¹²⁰، ففي حالة 'لا شيء'، و'أيا كان'، و'بعض'، تقوم المشكلات (...) من جراء التهويل من هذه الألفاظ والتعامل معها كأسماء علم؛ ويتم الاستغناء عنها لصالح التسوير، وفي كل هذه الحالات يتم تفكيك هذه المشكلات بالمعنى الهام الذي يجعلها تبدو مشكلات لفظية خالصة، وهي تكون كذلك بالمعنى الهام الذي يجعلها تكشف عن الاستعمالات التي يمكن تلافيها لصالح استعمالات أخرى لا تترتب عنها مشكلات من هذا القبيل"¹²¹.

- Ibid., p. 260. 119

- Ibid., p. 261. 120

- P.F. Strawson, (1977), *Etudes de logique et de linguistique*, Seuil, p. 17. 121

لقد تحمس فلاسفة اللغة الطبيعية لموقف "فيتغنشتاين" المتأخر، فبنوا نظرياتهم على الاستعمال ونقلوا بذلك الاهتمام من إشكالية المعنى إلى إشكالية الاستعمال:

"نستطيع أن نتوهم أننا نتكلم عن جمل وعبارات في الوقت الذي لا نتكلم فيه، بالفعل، سوى عن استعمالات هذه الجمل والعبارات"¹²². لقد اقترح "فيتغنشتاين" فكرة مفادها أن اللغة ينبغي أن تفهم كشيء يمثل جزءاً من السلوك الإنساني، وبالتالي فهي مؤسسة إنسانية Human Institution. ومن هنا يقرن معنى وجود الناس بما يقولونه. ولهذه الفكرة علاقة وطيدة، في فكر "فيتغنشتاين" بمقولته حول "أشكال الحياة" Forms of Life.

ويعتبر "جلبرت راييل" من أوائل من نادوا بضرورة تبني "الاستعمال" في تحديد المعنى، كما تحدث "أوستين" J. L. Austin عن الاستعمال باعتباره يمثل "ما يكون علينا أن نقوله عندما". «What we should say when»؛ ويتعلق الأمر بمتغيرات السياق والظروف التي تقع فيها الألفاظ ذات المعنى. وعلى هذا الأساس "ليس" "الذكر" أو "الإحالة" شيئاً تنجزه العبارة، وإنما هو شيء لأجله نستعمل العبارة. فالإحالة والذكر إن هما إلا خاصيتان

- Ibidem. 122

للاستعمال (...) ومن هنا فإن الصدق والكذب، أيضا، صفتان تتعلقان
باستعمال العبارة"¹²³.

وسنبين كيف حاول "كوين" تقنين اللغة الطبيعية Rgeimentation of ordinary language بعون المنطق دون أن يركز على الاستعمال؛ ولهذا لاحظ "سورل" J. Searle، أن نظريته وكذا نظرية "أوستين" - ومن الممكن إدماج "فتغنشتاين" - تنأى عن ثنائية العلاقة مثير. استجابة¹²⁴. وحيث إن نظرية "كوين" الدلالية تنطلق من المذهب السلوكي التجريبي، فهي تعتبر أن الاستعمال مرتبط بالقصد وليس بالمشيرات الخارجية التي يصدر عنها السلوك الكلامي. ولما كان الأمر كذلك، فإن الأخذ بالقصد سيقود إلى تبني وجود الأفكار الذهنية، والمعاني المستقلة التي تتضمن في الاستعمال. لنتأمل التصريح التالي لـ"ستراوسن":

"يتحدد معنى عبارة ما بتقديم التوجيهات العامة المتعلقة باستعمال هذه العبارة قصد بلورة الاثباتات الصادقة أو الكاذبة بخصوصها (...) فنحن لا ونستطيع أن نتعرف على معنى عبارة ما بواسطة الموضوع المحال عليه، بعون هذه العبارة، في ظرف محدد (...) إن الحكم على معنى عبارة ما أو جملة ما، لا يتحدد في التكلم عن استعمالها في ظرف خاص، وإنما يتحدد

- Ibidem. 123

- J. Searle, *Les actes du langage*, Herman, Paris (1972), p. 114. 124

في القواعد والعوائد والمواضعات التي تتحكم في الاستعمال السليم، في كل مناسبة أو مقام، قصد الإحالة والإثبات "125.

ولكي نفحص موقف "كواين" من النظرية الاستعمالية للمعنى، ينبغي أن نبين دعوى ارتباط صدق أو كذب عبارة ما بالاستعمال ومدى كفاية نظرية الاستعمال الوصفية والتفسيرية. لنتأمل المثال التالي :

(1) الملك الحالي لفرنسا أصلع.

لا يكمن معنى هذه العبارة في ما تحيل عليه، ولا يتحدد صدقها في معناها، بل إن معناها يتوقف، في نظر دعاة الاستعمال، على استعمالها: فلو ثبت أن تلفظ بهذه العبارة شخص ما من القرن XVII، وحتى خلال الحكم المتوالي لملوك فرنسا، فإنها ستصدق أو تكذب تبعا لظروف استعمالها:

"هناك اختلافات بديهية بين مختلف ظروف الاستعمال لهذه العبارة، فلو تلفظ بها شخص ما أيام ملك لويس XIV، أو نطق بها شخص في عهد الملك لويس XV، فسيكون من الطبيعي أن نقول إنهما لا يتكلمان عن نفس الملك. ومن هنا نأخذ بأن الأول، باستعماله نفس العبارة كان يقول الصدق، في حين أن الثاني كان ما يقول الكاذب "126.

- Ibid., p. 16. 125

- Ibid., p. 16. 126

وبناء على اعتبار المعنى معطى من معطيات الاستعمال، ذهب فلاسفة اللغة الطبيعية إلى بحث أفعال اللغة، ولم يقرنوها بالمثير والاستجابة ولا باستقلالية المعنى كذات مجردة ذهنية. وهذا "جون سورل" يتبنى فرضية مفادها أن "تكلم لغة ما يعني تبني صورة من السلوك تكون محكومة بقواعد (...). وتأخذ هذه الفرضية الصورة التالية:

أولاً: أن نتكلم لغة ما ينبغي أن ننجز أفعالا لغوية *Speech acts*. أفعالا نحو تقرير إخبار، أو إصدار أوامر، أو طرح أسئلة، أو إعطاء وعود، وما إلى ذلك؛ وذلك في إطار مجال مجرد للأفعال: كالأحوال والحمل؛

وثانياً: تكون هذه الأفعال، على العموم، ممكنة بفضل بداهة بعض القواعد التي تتحكم في الاستعمال للعناصر اللسانية، وهي تتحقق طبقاً لهذه القواعد"¹²⁷.

وتنطلق كل أعمال فلاسفة اللغة الطبيعية أمثال "سورل" و"ستراوسن" و"أوستين" من المبدأ التالي: يؤدي كل تواصل ذي طبيعة لغوية إلى أفعال ذات طبيعة لغوية. ولا حاجة بنا إلى تقرير أن هذا المبدأ لا يطابق مذهب "كوين" في الدلالة؛ وذلك لأن كواين يربط كل تواصل ذي طبيعة لغوية بمعطيات السلوك بل يعتبر، مع باقي السلوكيين، أن الكلام سلوك. يظهر هذا حتى في تحليله لأكثر العبارات ابتعاداً عن معطى السلوك

- J. R. Searle, *Les actes du langage*, Hermann, Paris (1972), p. 52. 127

كالعبارات التحليلية أي العبارات الصادقة بفضل معناها: فهو يقترح أن التحليلية تقترن بالتعرف، من طرف الذات المتكلمة أو المستمعة، على **الظرف المثير** Stimulus occasion.

وأما التأثيرات الذريعية، فقد لعبت دورا كبيرا في بلورة أفكار "كواين"، حيث نجد أن من بين العوامل التي حذت بفيلسوف هارفارد إلى الإجهاز على النزعة الذهنية، عامل التأثير المباشر لأستاذه "جون ديوي" الذي جاء في كتابه **التجربة والطبيعة** أنه "ليس للمعنى أي وجود نفسي (...). إن المعنى، بالأساس، خاصية للسلوك"¹²⁸.

ولما كان "كواين" قد تأثر بالسلوكية من جهة، وبالدلائيات في حقل المنطق وفلسفة اللغة، ارتأينا أن نعالج في الفقرة الموالية مقدمات النظرية السلوكية لنظرية الدلالة عند "كواين" لنفرغ، في الفقرة التي تليها، لدرس الدلائيات المنطقية التي ساهمت في بناء دعاوى "كواين" الدلائلية.

3.1. النظرية السلوكية:

ما دامت النظرية السلوكية هي التي تعيننا هنا باعتبار أن "كواين" قد نهل منها ووظفها إلى جانب اعتماد المنطق الرمزي في حلّ الإشكالات الدلائلية، فإننا سنركز على دعاوى هذه النظرية انطلاقا من الأسس التي وضعها روادها الكبار الذين كان لهم الحضور الكبير في فلسفة "كواين" الدلائلية

- J. Dewey, (1925), *Experience and nature*, Open court, Illinois, (1958), p. 179. 128

ونخص بالذكر ليونارد "بلومفيلد" و"تشارلس موريس" و"بروتوس سكينر".

لقد نجحت السلوكية في اختراق عدة مجالات من الفكر الإنساني منذ مستهل النصف الثاني من القرن العشرين. وقد تساءل "ديفيد كوبر" عن سرّ نجاح المشروع السلوكي وعن جاذبية مذهبه ليقدم التفسير التالي الذي يلتقي مع ما أشرنا إليه سابقا:

"من البين أن الكلام الذي يحمل معنى يتوفر على خاصية تتحدد في ارتباطه الضمني الخالص بالسلوك. فالعهد الذي قطعه السلوكي على نفسه إنما يتحدد في أنه من الممكن أن نفسر الاستعدادات Abilities الإنسانية دون اعتماد المفاهيم الذهنية Mental concepts من قبيل الأفكار والعواطف والتصورات وما إلى ذلك. وقد تم التوصل إلى هذه القاعدة انطلاقا من المبرر الذي ساد في بعض مجالات النفسانيات، وعلى الخصوص مجال علم السلوك الحيواني Animal behaviour. ومن هنا نفهم أن التقنيات المعتمدة في التفسير، والتي لاقت نجاحا في مناحٍ أخرى، يمكن تطبيقها على الظاهرة اللسانية"¹²⁹.

- David, E. Cooper (1973), **Philosophy of the nature of language**, op. Longmen 129 group. LTD, p. 28.

ويقرن "بلومفيلد" هذه الدعوى بالتصور الفيزيائي النزعة، ومفاده أن "الوصف العلمي للكون... لم يعتمد أيا من المفاهيم الذهنية"¹³⁰. ونفس الموقف نجده لدى كل من "بروتوس سكينر" في كتابه السلوك الكلامي (1957) و"س. أوسغود" Osgood في كتابه المنهج والنظرية في النفسانيات التجريبية (1953) و"تشارل موريس" في كتابه العلامات واللغة والسلوك (1946). وستحضر هذه المواقف في كتاب "كواين" الكلمة والشيء (1960).

لقد هجر السلوكيون، إذن، المفاهيم الاستبطانية، ولم يصادروا على التصورات الذهنية من قبيل المعنى والأفكار الفطرية والذوات المجردة...، فلا مكان عندهم لهذه المفاهيم في تعريفات وتفسيرات العلم الصارم؛ ولهذا اعتبر السلوكيون أن معنى الكلمة أو العبارة قائم في السلوك، ومرصود في علاقة المثيرات بالاستجابات القابلة للملاحظة والوصف العلميين.

إن الكلام سلوك كباقي السلوكات الأخرى تحكمه نفس القواعد. فكلمة "كلب"، مثلا، يمكن أن تنتج استجابات متنوعة في ظروف إثارية مختلفة للتلفظ بها؛ ومن هنا فلا وجود لمعنى مستقل في الأذهان، وإنما يتحدد معنى التلفظ بكلمة "كلب" في مختلف الظروف التي نتعرف فيها عليه (أي ما يدل

- L. Bloomfield, *Linguistic aspects of science*, Chicago University Press, p. 12 130

cit. in D. Cooper, op. cit., p. 28.

عليه اللفظ). وقد يحدث، أحيانا، أن يتم التلفظ بكلمة أو عبارة دون أن يكون لهذا التلفظ أية استجابة. والحاصل عن هذه الحالة لا يترتب عنه القول بأن هذا اللفظ أو العبارة لا يتوفر على معنى.

يعتبر كل تلفظ بكلمة أو بعبارة علامةً يُحدث التلفظُ بها استجابة ما، واحترازا من أن تصير هذه العلامة "فكرة" أو "صورة ذهنية" - وهو ما ينفر منه السلوكي التجريبي - صاغ "موريس" مفهوم المثير المبرّئ Preparatory stimulus: وهو المثير الذي لا يثير بذاته الاستجابات، بقدر ما يستنهض همّة المتلقي الذي يتوفر على استعداد ما للاستجابة لهذا المثير، ولكل المثيرات التي تكون من صنفه، والتي قد تحضر لهذا المتلقي مستقبلا.

وعلى هذا الأساس، اعتبر "موريس" أن "كل الرموز أو 'العلامات'، كما يسمّيها، بما في ذلك الألفاظ عبارة عن مثيرات مهمّنة، وعلى هذا الأساس، عرف العلامة تعريفا قيّدها فيه بالمثير والاستجابة:

"إذا كان أي شيء س مثيرا مهمّنا يُسبّب، في غياب الموضوعات المثيرة، ما يمهد لمتواليّة من الاستجابات Response – Sequence لفئة من نفس العائلة = Bihaviour – Family من السلوك، استعدادا لدى عضوية ما للاستجابة في شروط محددة متواليّة الاستجابات لفئة السلوكات، فحينئذ يكون س، إذن، علامة" ¹³¹.

- Ch. Morris, (1946), *Signes, language and Bihaviour*, Prentice Hall, p. 10.131

وقد بلور "موريس" نظرية المعنى والترادف مبينا أن معنى العلامة يتوفر على مكونين أساسيين هما: **المعنى الأصلي** Denotation و**المعنى التبعية** Denotation وحددهما تحديدا سلوكيا، فالمعنى الأصلي يمثل ما يكون المتلقي مستعدا لتأويله في ظروف إثارية محددة؛ فالغذاء، مثلا، يعد معنى أصليا لـ "الغذاء" (أي ما يحضر من المأكولات في شكل مادي متعين) لأنه يستحث، الناس إذا كان هدفهم الحصول عليه، على الاستجابة.

وبمعنى آخر، إن المعنى الأصلي للعلامة يشكل جزء من معناها. ومن هنا، لا يستقل المعنى الأصلي بذاته بل إن معنى العلامة يكمن في ما تحيل عليه. فلكي يكون المعنى الأصلي موضوعا بهدف توجيه الاستجابات المرتقبة، ينبغي أن يكون المعنى التبعية متوفرا على خصائص، وهذه الخصائص الجوهرية التي تجعل العلامة "كلب"، مثلا، معنى أصليا يقود إلى ما يحيل عليه. غير أنه ينبغي أن يكون له معنى تبعية ذي خصائص تخصه كعلامة حتى إذا تم التلفظ به في غياب المثير الواقعي ناب مناب هذا الأخير بتعرف المتلقي عليه متى استحضر تلك الخصائص.

ومن هنا ينتقل "موريس" إلى الترادف ليبينه وفق التقسيم السابق: "تكون علامة ما مرادفة لعلامة أخرى إذا كان للعلامتين نفس المعنى التبعية"¹³².

ونلاحظ، بهذا الصدد، أن "كواين" لا يأخذ بوجود المعنى التبعية لقوله
بامتناع تحدد المعنى Indetermination of meaning ولا يأخذ الحدس الترادفي

:Synonymy intuition

"لقد قدم "بوتنام" في مقاله "التحليل والتركيب" تقريراً مفيداً عن الحدس
الترادفي بحدود تأخذ بالتعارض الحاصل بين الحدود التي تعني جملة من
الخصائص، والحدود التي لا تعني ذلك. وتحديده يتفق مع تحديدي،
ولربما يضيف إليه تفسيراً آخر"¹³³. وقد بين "كواين" أنه في العلم النظري
هناك تمييز بين الترادفات والتكافؤات الواقعية. فقد نجد أن تحديد
مفهوم فيزيائي يتغير معناه من نظرية لأخرى، وذلك بتغير الخصائص التي
تسند إليه في كلّ نظرية على حدة.

ومع ذلك، فهناك تقارب بين تحديدات "بلومفيلد" و"موريس" و"سكينر"
للمفاهيم النظرية لعلم السلوك من جهة، وتحديدات "كواين" الذي
استمدّها منهم لكي يبرهن على دعاويه وخصوصاً دعوى امتناع تحدد
الترجمة من جهة أخرى. ومن الملاحظ أن "كواين" قد استمد مفهوم المعنى
المثير وفسّر كثيراً من الحدود والمفاهيم التي تنتهي إلى نظريتي المعنى
والإحالة بحدود سلوكية.

- Quine, (1960), *Word and object*, op. cit., p. 57. 133

وهكذا أخذ "كواين" بالمبدأ المشترك بين جميع السلوكيين: "تسلك كل عضوية سلوكا يمكن أن نصفه بحدود الاستجابات التي تقوم بها هذه العضوية حُيال المثيرات التي تحضر في المحيط. ومن جهة النظر هاته ينبغي أن تؤخذ عضويات أخرى باعتبارها جزء من المحيط. وتتحدد الصيغة المستعملة عادة للترميز إلى العلاقة القائمة بين المثير والاستجابة في الصورة التالية:

ما - م...س... سا¹³⁴

ولكي نذكر هنا حضور العلاقة السببية نقول إن المثير يمثل السبب والاستجابة تمثل النتيجة ويتحدد الجمع بينهما في العلاقة الإثارية بين المثير والاستجابة"¹³⁵.

وعلى هذا الأساس تمت بلورة نظريات سلوكية للمعنى أخرجته من التداول الذهني النزعة إلى تناول موضوعي قابل للملاحظة وللوصف والتفسير، بل وللتنبؤ؛ وذلك بوضع قواعد وتحديدات أشبه ما تكون بالقوانين الطبيعية لدى علماء الفيزياء.

134. تشير ما إلى المثير المباشر، وسا إلى الاستجابة المباشرة. بينما تشير م إلى المثير البديل Substitute. وس إلى الاستجابة البديلة، ويرمز السهم المتقطع إلى إمكانية دخول المثيرات والاستجابات البديلة.

- J. Lyons, (1976), *Semantics*, Tome I, op. cit., p. 123. 135

لنضرب مثلاً على ذلك: "هب أننا إزاء عبارتين "عا" و"جا" تهيئنا كل واحدة منهما للقيام باستجابات معينة بحيث تكونان في كلتا الحالتين متحققتين بأشياء ذات خصائص متماثلة، ففي هذه الحالة ينبغي أن تكون "عا" و"جا" مترادفتين. إن كل ما ينبغي أن يحقق، أيضاً، الهدف الموجّه للسلوك الذي يجعلنا مستعدين، مثلاً، للتعرف على "صغير الكلب"، ينبغي أن يحقق، أيضاً، الهدف الموجّه للسلوك الذي يجعلنا مستعدين للتعرف على "الجرو"، ومن هنا فإن "صغير الكلب" و"الجرو" يعنيان نفس الشيء" ¹³⁶.

ويرى "كوين" أن الترادف ليس قائماً في ذهن المتكلم أو المستمع، ولا هو قائم في تماثل الخصائص التي نتعرف بها على المثير: "يتلخص المعنى المثير" Stimulus meaning لعبارة ما بخصوص موضوع ما في مثير الاستعداد لإقرار أو لإنكار عبارة ما إبان الاستعداد للإثارة Stimulation الحاضرة؛ إذ الإثارة هي ما يُنهض أو يُنشط فينا الاستعداد Activate the disposition، في مقابل ما يُخمده (...) والآن فإنه ينبغي أن نتصور المثير لأجل هذه الأغراض لا كحدث خاص مضبوط زمنياً بل كحدث كلي، أو كصورة قابلة للتكرار لهذا الحدث

- D. Cooper, (1973), *Philosophy of the nature of language*, op. cit., p. 30. 136

As a universal, a repeatable event form. علينا ألا نقول بأن مثيرين متماثلين

قد وقعوا، وإنما علينا أن نقول بأن نفس المثير قد وقع من جديد"137.

ونلاحظ، من خلال استعمال "كواين" لمفاهيم من قبل "الكلي"، كيف يزاوج بين الصيغ السلوكية والمنطق. لنتابع حضور التصور السلوكي الكوايني إلى جانب فائدة المنطق وكيف يميز "كواين" بين اتخاذ المثيرات ككليات وبين المعنى الإثاري:

"يكون موقف من هذا القبيل [الموقف السابق في النص أعلاه] مشروطا بالزمن الذي نتكلم فيه عن ترادف المعنى المثير لمتكلمين اثنين¹³⁸. فإمكاننا أن نتجاوز، مع ذلك، هذا الاعتبار، متى أجبنّا، بإعادة تقويم اصطلاحنا (...).

لنأخذ، من جديد، ولهذا الغرض، المعنى المثير الموجب للعبارة عا الفئة Σ التي تشمل كل هذه المثيرات التي تدفعنا إلى الإقرار بـ عا. وإذا كنا نأخذ هذه المثيرات كوقائع بدل أن نتخذها كصور للوقائع Event forms، فإن الفئة Σ ستكون عبارة عن فئة من الوقائع التي لا ينبغي لها، ولا يكون عليها أن تقع، بل سيكون عليها أن تقود إلى الإقرار بـ عا متى وقعت.

- Quine, (1960), **Word and object**, op. cit., p. 34. 137

- Sameness of stimulus meaning for two speakers. 138

وكلما تضمنت الفئة فإ واقعة جزئية إثارية س متحققة Realized or unrealized فسيكون عليها أن تشمل كل ما يطابق س من الوقائع الأخرى غير المتحققة، وما أكثرها! فمن المؤكد أنه لا معنى ولا جدوى من التكلّم، على هذا النحو، عن الجزئيات غير المتحققة، والسعي إلى ضمها إلى الفئات. ينبغي أن نصوغ الذوات غير المتحققة ككليات" ¹³⁹.

ويمضي "كواين" إلى المقارنة بين تحديداته للمفاهيم السلوكية كالمعنى المثير والتحديدات المنطقية التجريبية التي سجلها "كارناب" ¹⁴⁰ في شكل ملاحظات حول الدلائل التجريبية ليرصد مدى التقارب بينهما، ولكي يبيّن مدى تفوّق المقاربة السلوكية والمنطقية التي يعتمدها. وهكذا أدلى بالملاحظات التالية:

1. يقترح "كارناب"، من أجل استكشاف معنى المفهوم، مسألة، المتكلم أو المستمع عن مدى إمكانية خضوعه، في ظروف متخيلة، لأوصاف قد يسندها إلى مفاهيم غير متحققة ك"بيغاس" (الفرس الطائر) ونحوها، وتكمن فائدة هذه المقاربة، في نظر "كواين"، في عدم تعارضها مع الطريقة المعتمدة تجريبياً والمحددة بالسلوك الكلامي.

- Ibidem. 139

- Carnap, (1947), **Meaning and necessity**, Chicago University 2^d, ed. With 140 supplements, (1956).

2. تفترض مقارنة "كارناب" لتحديد الدلالة التجريبية وجود معيار للتقرير حتى في شأن المفاهيم المجردة أو الذوات الموهومة، فيعتمد في ذلك أوصافا محددة كالحجم واللون والشكل... إلخ؛ وهي مقارنة تسير في اتجاه التحديدات التي يقتضيها التعرّف على المعنى المثير.

3. هناك تضاد حاصل بين استعمال كل من "كواين" و"كارناب" للمعنى. ففي الوقت الذي حصر فيه "كواين" قيود المعنى، في بحثه، معتبرا في ذلك حكم ما سيقوم به المتكلم لو أنه تعرض للإثارة؛ نجد أن "كارناب" يضع قيودا مسبقة أو سابقة على حكم المتكلم.

وإذا كانت محاولة "كارناب" تسعى إلى صؤونة العلاقات الدلالية، وتثبيتها في صيغ مُحكمة، فإن السلوكيين قد طوروا العُدّة الواصفة، وأدخلوا مفاهيم لتقوية القدرة الوصفية والتفسيرية للنظرية الدلالية السلوكية. نجد أنهم قد أدخلوا، حرصا على طلب الدقة والصرامة، مفهوم التعزيز Reinforcement ومفهوم الأشرط الإجرائي Operant conditioning.

نخلص، الآن، إلى أن كواين لم يكتف باعتماده العُدّة المنطقية إلى جانب معطيات النظرية الدلالية السلوكية، باستعمال مفاهيم السلوكية، بل فتحها على آفاق أرحب بعد أن نقّحها وجاوزها ووظفها في سياقات استشكالية خارج الدرس اللساني الصرف حتى أنه مزج بين تجريبية مفتوحة وعقلانية تجمع بين المنطق الحديث ومعطيات السلوك.

وسنقف، في الفقرة اللاحقة، على مدى صدق هذه الدعوى من خلال معالجة علاقة الفلسفة باللسانيات؛ وهي فقرة أفردناها لدرس علاقة اللغة بالعالم، واضطرتنا إليها أسباب موضوعية للوقوف عند الجدل الذي دار بين "كواين" و"نعام تشومسكي" نظرا لتعارض الموقف العقلاني لهذا الأخير مع تجريبية "كواين" وسلوكيته.

2. الفلسفة واللسانيات: "كواين" منازعا "تشومسكي":

نشب بين "كواين" و"تشومسكي" جدال كبير حول قضايا الفكر واللغة؛ وهو جدال ينضوي، بالأساس، تحت موضوع اللسانيات والفلسفة. ويرجع الاختلاف بينهما إلى اختلاف مشاربهما الفكرية ومنطقاتهما النظرية؛ فقد اعترض "تشومسكي" على دعاوى "كواين" الأساسية كدعوى امتناع تحدد الترجمة، ودعوى تحدد النظرية العلمية كما ناقش بشدة إبطال "كواين" بل وعداءه للنزعة الذهنية التي تلزم عن سلوكيته وتجريبيته.

ونجد اعتراضات "تشومسكي" ماثورة في جل أعماله¹⁴¹. وفضلا عن المراجع المشار إليها عاد "تشومسكي" (1980) في كتابه قواعد وتمثيلات إلى

141. ناقش تشومسكي النزعة التجريبية والسلوكية في كثير من أعماله ومقالاته نذكر منها على الخصوص:

N. Chomsky, (1964), **Current issues in linguistic theory**, The Hague, Mouton & col.

N. Chomsky, (1968 a), « Recent contributions to the theory of innate ideas ». *Synthese*

مناقشة "كواين" في دعواه المتعلقة بإبطال النزعة الذهنية، وكذا دعواه القاضية بامتناع تحدد الترجمة. ومدار الجدل بين "كواين" و"تشومسكي" إنما يتعلق، في نهاية المطاف، بعلاقة اللسانيات بالفلسفة.

وليس غريبا أن نجد أن كلا من كواين وتشومسكي قد كتب مقالة تحمل هذا العنوان "اللسانيات والفلسفة". فقد نشر "كواين" تحت نفس العنوان مقالته سنة (1968)، ونشر "تشومسكي" مقالته تحت نفس العنوان أيضا سنة (1969).

ومما استشكله كواين من الأسس الفلسفية لللسانيات تشومسكي قوله بأفكارا الفطرية، واستلهامه لمقولات فلسفة ديكارت، وكواين لا يصادر على وجود الأفكار الفطرية التي تكون أساس القدرة على اكتساب اللغة، ولا يعتمد مرحلة تدرج أفكار اكتساب الطفل للغة كما هو الشأن عند بياجي J. Piaget. فهو يخالف "تشومسكي" الذي يقول بوجود بنية نحوية لكل اللغات الطبيعية تكون محددة بمجموعة مخصوصة من المبادئ لكون الطفل يولد باستعداد مسبق للتعرف عليها في اللغة التي يسمع من حوله يتكلمونها طوال المرحلة المواتية أكثر لاكتساب اللغة¹⁴²، فضلا عن كون

Vol. 17, No. 1, Including A Symposium on Innate Ideas (Mar., 1967), pp. 2-11 (10 pages)

Published By: Springer

<https://www.jstor.org/stable/20114531> -

- J. Lyons, (1976), **Elements de sémantique**, Librerie Larousse, p. 78. 142

"كواين" لا يؤمن بوجود تطابق مطلق بين الأنحاء، نجد أنه يلغي كلّ اعتبار لوجود ما أسماه "تشومسكي" بالنحو الكلي general grammar.

وإذا كانت دعوى تشومسكي تقول بوجود تماثلات بين اللغات بناء على تشابه الوظائف الدلالية للغة التي تكشف عن وجود نفس القدرات المعرفية العامة لدى كل الناس، فإن اللسانيين لم يُجمعوا على هذه الفرضية بدعوى الاختلاف والتباين الحاصل بين اللغات الخاصة. و"كواين" لا ينطلق من مقارنات الألسن الخاصة، وإنما يدعي أن امتناع الترجمة يرجع إلى عدم تطابق أنحاء اللغات.

وقد ساهم "بياجي" بدعوى تأخذ بناصية المسألة المزمنة المتعلقة بأصل اللغة. فقد اقترح "وجود علاقة ارتباط بين مختلف مراحل اكتساب اللغة ومراحل نمو المعرفة". وإذا كان بياجي قد أعطى للذكاء الحسيّ - الحركي sensori-moteur مكانة في بناء الموضوعات بحيث اعتبر موضوعا كل ما كان مركبا (...)، فإن "كواين" قد نفر من كل تحديد للموضوع بدءا من تحديد "كانط" الذي يعتبر أن الموضوع تركيب من الحس والحكم اللذين يصدران، على التوالي، عن المعطى الحسي والخطاطة التصورية، وانتهاء بتصور النزعة التجريبية المنطقية.

يكن موطن التعارض بين "كواين" و"تشومسكي"، إذن، حسبما يصرح بذلك "كواين" في ما قد تساهمت به اللسانيات في الدرس الفلسفي أو ما تستفيده من الفلسفة:

"لقد عبر "تشومسكي" عن شكوكه بخصوص ما يمكن أن تستفيده اللسانيات من الفلسفة، أو ما يمكن أن تستفيده الفلسفة من اللسانيات. وقد خلص إلى الاعتقاد في أن اللسانيات تساهم في الفلسفة بنصيب معين في دعم العقلانية ضد التجريبية"¹⁴³.

يظهر، إذن، أن أصل الاختلاف بين "تشومسكي" و"كوين" إنما يعود إلى أصول فكرهما المتباينة. ذلك أن عقلانية الأول تحول دون بحثه عن توافق ممكن مع التجريبية المفتوحة التي يمثلها خصمه كوين. فرغم أن "كوين" بين في مقالته "اللسانيات والفلسفة" أنه لا يجد حرجا في الأخذ بالآليات الفطرية للتعلم ليقطع مع التصور التقليدي للتجريبية الكلاسيكية مع "هيوم" و"لوك"، فإن "تشومسكي" ظل يقرن تجريبية "كوين" وسلوكيته بالأسس التي اعتمدتها هذه الأخيرة.

وإذا كان "تشومسكي" قد صادر، من جهته، على ضرورة وجود بنية فطرية تقوم على شرطين تجريبيين:

1. أن تكون بنية خاصة بعضوية محددة قائمة في العقل البشري كبنية فطرية تمثل خاصية لهذا النوع بحيث "يكون النحو المفترض مكتسبا بناء على قاعدة الشروط التي تسلك بنا إلى الواقعة";

- W.V. Quine, (1966), *The ways of paradox and other essays*, Reprin, (1979), 143

Harvard University, Press, Cambridge, p. 79.

2. أن تكون بنية مخصوصة ينبغي أن تطابق الواقعة؛

فإن "كواين" لا يجد في هذا الأمر إمكانية للمنازعة، وهكذا يصرح بأن "الربط بين هذه النقطة التي لا نزاع فيها بخصوص اللغة، من جهة، واختلافاته مع فلاسفة القرن xvii [التجريبيين]، من جهة أخرى، مسألة لا أتوفر على رأي ذي بال بخصوصها. غير أن ما نحتاج إليه من أجل الإيضاح هو أن هذه النقطة المتعلقة باللغة ليست متعارضة مع الأوضاع الأخيرة التي ترتبط باسم النزعة التجريبية أو السلوكية (...) فمهما يكن من أمر السلوكي / [التجريبي] فإنه يظل منغمسا من رأسه إلى أخمص قدميه في القول بوجود الآليات الفطرية كيفما كانت تعاملنا مع "لوك" ¹⁴⁴!

من الملاحظ، من خلال هذا التصريح، أن "كواين" قد ألق عن التجريبية الكلاسيكية متمثلة في "لوك" و"هيوم"، كما تباعد عن السلوكية التقليدية. فهو لا يقطع بأن كل شيء في المعرفة مردود إلى السلوك، بل إنه يقر بضرورة الأخذ بآليات فطرية ويسوق لذلك جملة من الملاحظات التي تفضي إلى ضرورة الأخذ بالبنية الفطرية.

إن تعزُّز الاستجابات وانطفاءها، يتمثلان في اعتبار التعزيز والانطفاء مفهومين أساسيين في النزعة السلوكية، وهما يتوقفان على وجود تكافؤ قبلي بين المواقع التي قد تحتلها المثبرات التي قد تعرض للذات، فكلما

نالت الذات مكافأة بمجرد استجابتها، على نحو ما، لمثير معين، أو كلما نالت جزاء بمجرد استجابتها لمثير آخر، فإن استجابتها لمثير ثالث ستبين عدم التكافؤ لبكفي الحاصل بين المثيرات الثلاثة¹⁴⁵ (...) وبما أن كل استجابة مكتسبة تقتضي وجود تكافؤ قبلي، فإن انعدام التكافؤ الحاصل من هذا القبيل، يكون غير مكتسب وبالتالي فطري. وهكذا فإن الانحرافات الفطرية والاستعدادات هي التي تمثل حجر الزاوية بالنسبة للسلوكية. وقد تعرض لها السلوكيون بالدرس والبحث، وقد ذكر "تشومسكي" نفسه هذه الأعمال¹⁴⁶.

لقد ادعى "تشومسكي" فقر المثير The poverty of stimulus، وهي حجة ساقها ضد التجريبية السلوكية، ومفادها أن المتكلم يجهل الأصول الأولى لتعلمه أو اكتسابه للغة وتفتقر تجربته إلى الشاهد أو الدليل التجريبي empirical evidence. وقد تبين للدارسين أن حجة "تشومسكي" تسعى إلى تقويض مفهوم المثير للإنتصار النزعة الفطرية Innatism العقلانية.

وعلى هذا الأساس، يرى "كوين" أننا لا نجد بدا من أن نعترف بهذا "التباعد الكيفي بين المثيرات" باعتباره يمثل "بنية فطرية نحتاج إليها كي نجد ما يفسر لنا عملية التعلم، وبالتالي، وعلى الخصوص، اكتساب

- The inequality in his qualitative spacing of the three stimulations. 145

- Ibid., p. 57. 146

اللغة". فلا مشاحة أننا نحتاج إلى الإقرار بوجود بنية فطرية إضافية لتحديد وفهم عملية اكتساب اللغة.

هل سيفضي هذا التقارب بين عقلانية "تشومسكي" وتجريبية "كوين" إلى أخذ هذا الأخير بالنزعة الذهنية؟ هذا واضح من خلال ما انتهى إليه "كوين". غير أن القول بوجود بنية فطرية لا يؤدي إلى القول بالأفكار الفطرية. وقد أدرك "كوين" أن أخذه بالبنية الفطرية لا يلزمه بالأخذ بالنزعة الذهنية:

"فكما أننا نتحقق من وجود التباعد الكيفي بين المثيرات لدى الحيوانات الأخرى مثلما نتحقق من نفس الشيء لدى الإنسان، كذلك نجد أن تعلم اللغة عند الأطفال يحتاج بل يتوقف على مواهب طبيعية إضافية. وسيكون من المفيد أن نعلم الكثير عن هذه البنية الفطرية الإضافية Additional innate structure: كيف هي، وكيف تشتغل. وستبين لنا اكتشافات من هذا القبيل لا كيف يتم اكتساب اللغة فحسب، بل وستجعلنا نعرف سرّ عملية التعلم عموماً"¹⁴⁷.

يمكن أن يظهر لنا أن هذا الأخذ بالبنية الفطرية الإضافية ينحو نحو مخالفة التقليد السلوكي القائل بتقوية أو تعزيز الاستجابات أو انطفائها. غير أن "كوين" يستدرك قائلاً: "لا أعتقد أن هذا الأمر قد يعتبر نقضاً في

السلوكية، بالمعنى الفلسفي للكلمة، فلست أرى أنه من الضروري أن
نقصر مفهوم "السلوكية" على خطأ نفسية مخصوصة تتحدد في
الاستجابة الشرطية"¹⁴⁸.

وهنا يتضح لنا أن "كواين" لم يعمل سوى على تطعيم التجريبية، عموماً،
والسلوكية على الخصوص بهذه البنية الفطرية التي لا يعتبرها تمثل
خطأ ذهنية بقدر ما يمكن أن نجد لها تفسيراً تجريبياً قد تكشف عنه
الدراسات الجارية. ولهذا السبب لم يهجر "كواين" "الاستجابة الشرطية"
كعامل مفسر لاكتساب اللغة:

"تلعب الاستجابة الشرطية الدور الأساس في فهم عملية اكتساب
اللغة. فهي تمثل المدخل لفهم أية مفردة خاصة، لأنها تبين لنا كيف نتعلم
الحدود العيانية observation terms (أو، بعبارة أفضل، تبين لنا كيف نفهم
العبارات العيانية البسيطة) بواسطة الاستقراء، إذ التعلم بالفرض هو
التعلم بواسطة الاستقراء البسيط. وإن آلية تعلم من هذا القبيل إنما
تكون بواسطة الإشراف. غير أن هذه النقطة، كما هو معلوم، تعجز عن
أن تقودنا إلى أبعد نقطة في فهم اللغة. ولهذا السبب ننجرُ إلى ما سبق لي
أن أسميته بالفرضيات التحليلية"¹⁴⁹.

- Ibidem. 148

- Ibid., pp. 57 – 58. 149

ومن هنا، فإن "كواين" يعتبر أن ما يقود إليه التحليل هو افتراض وجود بنية أو بنيات فطرية تظل، مع ذلك، مجهولة. فمن اليّ أن افتراض هذه البنية من شأنه أن يوضح مستغلقات "عملية اكتساب اللغة". غير أن افتراض البنية الفطرية لا يؤدي إلى التقليل من قيمة النزعة التجريبية بقدر ما يفتحها، كما سنرى بعد قليل، على إمكانية إعادة سبك علمي لأسسها ومنطقاتها.

وإذا كان "تشومسكي" قد اعترض على التجريبية والسلوكية بدعوى فقر المثير وعدم كفايته في تفسير عملية اكتساب اللغة، فإن "كواين" قال بعدم مطابقة البنيات الفطرية المفترضة للمعطى الواقعي. ولعل التعارض الحاصل بينهما قد يفضي إلى تكامل حقيقي. يظهر ذلك في التصريحين التاليين لكل من "تشومسكي" و"كواين" على التوالي:

3- يرى "تشومسكي" أن "كواين" اعتبر أنه من خلال تواجد المثيرات في الواقع، يصبح من اللازم أن تتواجد بنية فطرية نحتاج إليها في عملية اكتساب اللغة. وهكذا فإن "تجربيته" [أي تجريبية 'كواين'] و"سلوكيته"، يمكن أن تتطابق مع البديل العقلاني الذي أقدمه¹⁵⁰.

- Chomsky, (1979), **Reflexions on language**, Pantheon Books New York, p. 150
200.

See again (1968 a), **Language and mind**, New York Harcourt Brace Jovanovich.

4- ومن جهته، يعتبر "كواين" أنه "إذا كانت نزعة تشومسكي" المضادة للنزعة التجريبية والسلوكية توشك أن تقول بعدم كفاية الإشراف في تفسير عملية اكتساب اللغة، فإن مذهبه يلتقي، إذن، بمذهبي القاضي بامتناع تحدد الترجمة" 151.

من البين أن هذا التقارب لا ينتهي إلى نقطة مشتركة بقدر ما يحاول كل معترض منهما أن يجزّ صاحبه إلى خندقه. وسنقف على هذه المسألة حين نفرغ لبسط اعتراضات "تشومسكي".

يستدرك "كواين"، بعد أن صادر على وجود بنيات فطرية، ليديلي بتحفظاته احترازا من أن يقع في نزعة عقلانية خالصة:

"هل أكون بإهمالي للتعريف الذي يحصر السلوكية في الاستجابة الشرطية، قد قمت بتوسيع المفهوم ليشمل كل شيء؟ فليكن (...) يتعلق الأمر، فيما يبدو لي، يتركيزي على ربط كلّ معيار بالحدود العيانية (= حدود الملاحظة). وأقصد بحدود الملاحظة كلّ الحدود التي تكون أو يمكن أن تدرك بالاستقراء والتي يكون تطبيقها في كل حالة خاصة قابلا للتنوع في ذات العضوية (...) لن نثير اعتراضات نافلة على "السلوكية". ربما يكون

وقد نقلنا هذا الأخير إلى العربية تحت عنوان: اللغة والعقل، ترجمة إبراهيم مشروح ومصطفى خلال. دار تينمل، 1992، مراكش.

- Quine, (1969), « Reply to Chomsky » in **words and objections**, Davidson & 151

Hintikka, eds.

الاستعمال المتداول مناسباً لو أنه يحصل على هذا التوجه نحو الملاحظة لا غير باعتبارها متصلة بالتجربة. غير أنني أعني السلوكية، بالمعنى المعاصر، والمتميز للكلمة. ذلك لأنها ترفض النزعة الذهنية الساذجة التي تطبع النزعة التجريبية التقليدية"¹⁵².

إن ما يطبع سلوكية "كواين" هو أنها تسمح، في حدود معقولة، بالأخذ بالاستبطان شريطة "أن يصل إلى تخمينات أو استنتاجات" بقدر ما يستطيع أن يعطيها إمكانية لأن تصبح مبررة بحدود الملاحظة الخارجية. ويلاحظ "كواين" أن تميز التجريبية المعاصرة يكمن في كونها "تهجر النزعة التجريبية التقليدية لتطرقها في القول بأن كل الظواهر قابلة للملاحظة من الخارج" ويقارن بين التجريبي التقليدي والتجريبي المعاصر:

"فالتجريبي التقليدي ينظر من داخل أفكاره، بينما التجريبي المعاصر ينظر من خلال المؤسسة الاجتماعية للغة. فالأفكار تقلص من دور المعاني منظورا إليها من جهة كونها مساعدة للكلمات. لقد كان الرواد المؤسسون أمثال "هوبس" Hobbes و"غاسوندي" Gassendi و"لوك" وأشياعهم مضطرين إلى صوغ معيار تجريبي بالإحالة على الأفكار. وقد قاموا بذلك مع الرفع من قيمة معاني الانطباعات في مقابل التنقيص من قيمة الأفكار الفطرية.

من ناحية أخرى، عندما نقدم تبريرا للنزعة التجريبية، نجد أن الفكرة ذاتها تقع في التعتيم فيغدو الكلام عن الأفكار غير كاف إلا بالقدر الذي يسمح لنا في أن نشرحها بحدود قابليتها للتجلي في السلوك الملاحظ. إن تبرير النزعة السلوكية أو التجريبية لا يجد في استدعاء الاستعدادات الفطرية التي تنفتح على السلوك وعلى القابلية الفطرية لاكتساب اللغة أي شيء يفيد عدم التجانس أو الانسجام. فما ينبغي الاهتمام به وإعطاؤه قيمة هو، بالأولى، التعرف على طبيعة هذه الاستعدادات أو الميولات الفطرية في الواقع وبالتفصيل " 153.

تشهد هذه القولة على انزياح نسبي لـ"كواين" عن الأسس التي تبنتها السلوكية المعاصرة خصوصا معاداتها لدور الغريزة والأفكار الفطرية أو المعاني الذهنية؛ وبهذا يستحق كواين أن يعتبر بحق فيلسوف ما بعد النزعة التجريبية. غير أننا سنكتشف عند تعرضنا لدعوى امتناع تحدد الترجمة وعلاقتها بالدلالة كيف أن لـ"كواين" من المبررات ما يجعله يفتح سلوكيته وتجربيته على مستلزمات المعالجة المنطقية.

ومع ذلك فلن يفرض في نزعته التجريبية، فقله بامتناع تحدد الترجمة يعود إلى علاقة لغتنا بالعالم الخارجي. وهذا ما جعل بعض نقاده يعتبرون أن هناك علاقة بين دعوى امتناع تحدد الترجمة وامتناع تحدد النظرية العلمية. إذ من الممكن أن تتطابق نظريتان في تكلمهما عن موضوع ما بينما

- Ibidem. 153

لا تتطابق النظريتان فيما بينهما تماما كما حصل معنا الآن ونحن نقارن بين رؤية كل من تشومسكي وكواين.

هل وجد "تشومسكي" في محاولة "كواين" لتقريب السلوكية والتجريبية من عقلانيته ما يدعوه إلى الانفتاح على تجريبية "كواين" المفتوحة؟

لقد تقبل "تشومسكي" بتحفظ شديد محاولات "كواين" هذه؛ وهكذا بين في البداية مدى التقارب الحاصل بين وجهتي نظرهما، غير أنه سرعان ما عاد إلى التحفظ. فقد جاء في كتابه تأملات في اللغة (1975) ما يلي:

"يبدو لي أن الآراء الأخيرة لكواين" تعبر عن هجرة تامة للسلوكية"¹⁵⁴.

لقد وجد "تشومسكي" في أخذ "كواين" بالبنيات الفطرية انزياحا أو هجرة للسلوكية، والحقيقة أن الأمر ليس كذلك، فـ"كواين" فلم يقل بأنه صار أقرب إلى الأنساق العقلانية¹⁵⁵. وتفيد ملاحظة "تشومسكي" هذه إمكانية انتساب موقف "كواين" إلى نظريات أغنى وأشمل.

ولعل ذلك يرجع إلى أن "كواين" لم يفرط في نزعته التجريبية، بل لَقَّحَهَا ونَقَّحَهَا بالمعطى العقلاني آخذاً بالبنية الفطرية؛ وقد نجد تفسيراً للتداخل العقلاني- التجريبي في فكر "كواين" في كونه أخذ بالمنطق والسلوك لتفسير

- Noam Chomsky, (1975), *Reflexions on language*, op. cit., p. 200.¹⁵⁴

- N. Chomsky, (1969 b), « *Quine's empirical assumptions* » in Davidson & 155
Hantikka, eds (1969).

عملية اكتساب اللغة والقضايا الدلالية المتعلقة بعلاقة لغتنا بالعالم الخارجي.

3. مجال الدلالات المنطقية:

لقد أشار "آدم شاف" في كتابه مدخل إلى علم الدلالة إلى أن أبرز المشكلات الدلالية في مجال المنطق انطلقت مع النقيضة التي نبّه إليها "برتراند راسل" في رسالة وجهها إلى "فريغه" بعيد إتمام كتابه أصول علم الحساب Grünsätze der arithmetik. وقد توالى النقائض عقب هذه الرسالة، وفطن الرياضيون والمناطق إلى أن هذه النقائض إن هي إلا نقائض دلالية بالأساس. غير أن "رامسي" (1931) قد ميز بين النقائض الرياضية الخالصة، والنقائض اللسانية (أي الدلالية) في كتابه أسس الرياضيات Foundations of mathematics. وسار على نهج "رامسي" برتراند راسل" في كتابه مبادئ الرياضيات الذي أصدره عام (1937).

تكمّن القيمة المعرفية للنقائض كنقيضة راسل أو نقيضة الحلاق أو نقيضة الكذاب "لأوبيليديس" الملطي في أنها ليست، كما يظهر للوهلة الأولى، ضرباً من ضروب التلاعب اللفظي، بل إنها قضايا جدية وضعت، أحياناً، أعقد الأنساق المنطقية في مواقف تمت فيها، في كثير من الأحيان، مراجعة أكثر الحقائق ثبوتاً و يقينية.

ويمكن أن نتأمل ما اقتضته مسألة النقائض عندما طرحت في صميم نظرية الاستنباط من مراجعة بل وإعادة النظر في مبدأ الثالث الرفوع،

ومبدأ عدم التناقض وبالتالي إلغاء التصورات الاتساقية المعهودة. ولهذا السبب، أيضا، انكب الباحثون، كل في مجاله، على مدارسة القضايا اللسانية وعلى الخصوص مسألة اللغة وعلاقتها من جهة بالعقل، ومن جهة أخرى بالواقع. وهكذا لم تعد اللغة مجرد أداة بل أصبحت موضوعا للبحث يحقق فيه نتائج حلت كثيرا من المشكلات المطروحة في مجالات متنوعة من المعرفة.

لقد جنى المنطق فائدة عظيى من البحث في النقائض حيث كان ما أثير من مشكلات لسانية يستجيب لما أحس به المهتمون من ضرورة الاشتغال باللغة قصد حل المعضلات الطارئة في أسس المنطق والرياضيات مع عدم خلوها من الخلفية الفلسفية وحضور الاتجاهات الفلسفية كالاسمية والواقعية في صور محدثة تغذت من تطور العلم والمعرفة كالنزعة الصورية والمواضعاتية... إلخ.

لقد نشطت البحوث اللغوية وعلى الأخص الدلاليات، وتم إحياء الكتابات التي تناولت علم الدلالة، كما تمت الاستفادة من أعمال كلٍّ من "فريغه" و"ماينونغ" Meinung و"هسرل" و"برانطانو" Brentano فصارت الدلاليات تستقل بالتدريج عن المجال اللساني لتتحول إلى مبحث منطقي-فلسفي خالص، خصوصا عندما تحول موضوع اللغة إلى موضوع فلسفي تجسد في أعمال "راسل" و"فتغنشتاين"؛ وهكذا حاول "كارناب"

أن يحصر مجال الدلالات في مبحث معرفي (إيبستمولوجي) وضع له التحديدات التالية:

"إذا كنا لا نأخذ في بحثنا سوى بما يعود إلى المتكلم فقط أو، بكيفية أخرى، إلى ما يعود إلى استعمال اللغة، فإننا بهذا سندسند البحث إلى التداوليات (لا يهم كثيرا ما إذا كنا نأخذ، في هذا المبحث، بالموضوعات المسماة بألفاظ اللغة أم لا). وإذا كنا لا نهتم باستعمالات اللغة، وكنا نحلل العبارات وحدها باعتماد معانيها فقط، فإننا نجد أنفسنا في مجال الدلالات. وأخيرا، إذا كنا لا نكثرث بالمعاني، وكنا نصرف النظر عنها مكتفين بتحليل العلاقات القائمة بين العبارات فقط، فإننا ندخل في مجال التركيب أو النحو"156.

ونفس هذه القسمة نجدها لدى "تشارلف موريس" Ch. Morris في كتابه أسس نظرية العلامات مع بعض التكييفات المستوحاة من "ش. س. بيرس". وقد أحدث حصر أقسام اللسانيات في الدلالة والتداول والتركيب، تطورا غير متكافئ، حيث كان مجال التداوليات معروفا لكنه لم يتم الاشتغال به إلا في حدود الستينيات. يذكر "كارناب"، مثلا، في الطبعة الثانية من كتابه المعنى والضرورة¹⁵⁷ أنه ارتأى إدماج الاعتبارات

- R. Carnap, (1942), Introduction to semantics, Harvard University Press, p. 9. 156

- R. Carnap, (1947), Meaning and necessity, Chicago Univer. Reprin (1956). 157

وهو كتاب أعاد نشره في الطبعة الثانية بإضافة ملحق من المقالات رتبها ترتيبا أبجديا.

التداولية. وهكذا أضاف ملحقا من المقالات أبرزها "تحليل المعنى بين الدلالة والتداول" و"المعنى والترادف في اللغات الطبيعية" (ص 233 وما يليها) وعلى الخصوص المقالة ق: "حول بعض المفاهيم التداولية"¹⁵⁸.

وتجدر الإشارة إلى أنه ابتداء من (1938)، صاغ التجريبيون المناطقة مفهوم التداول، غير أنهم اعتبروه مجرد علم وضعي، وليس علما صوريا يتناول العلاقات بين استعمالات اللغة الطبيعية مستبعدين، نتيجة لذلك، قيام تداوليات صورية.

وأما مبحث الدلالة الصورية فقد شهد، بخلاف التداوليات عدة تقلبات؛ فمنذ الأعمال المبكرة التي قد تعود إلى "أرسطو" انقسمت الدلالة إلى دلالة المفهوم ودلالة الماصدق:

"فإذا كانت التداوليات قد عرفت، بعد ركود طويل، تطورا ملموسا، فإن علم الدلالة الماصدقية والدلالة المفهومية *Sémantique extensionnelle et sémantique intentionnelle* قد عرف تقلبات كثيرة (...) فهذان المجالان كان لهما مصيران مختلفان للغاية بحيث تطورا بمعزل عن بعضهما البعض، فالدلالة الماصدقية تقيم علاقات بين العبارات وما تدل عليه هذه

- « On some concepts of pragmatics », in Carnap, (1956).¹⁵⁸

العبارات (= المسميات). وتعنى الدلالة المفهومية بمفاهيم كالمعنى والترادف والتحليلية والضرورة، إلخ.¹⁵⁹

وتعد نظرية "الفرد تارسكي" التي عبر عنها في مقالاته المنشورة في كتابه المنطق والدلائيات والرياضيات الفوقية¹⁶⁰ نظرية ماصدقية، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه وقّر لنا جهازا منطقيا مساعدا على تحليل لغة الرياضيات. ومع ذلك، ظلت نظرية المعنى أو الدلالة المفهومية تعاني من تعثرات كبرى بحيث داخلتها الشكوك واعترتها كثير من التناقضات.

"تبقى الدلالة المفهومية، بخلاف ذلك، متناقضة، فنجد أن الاشتغال بها نادر، وأن المفاهيم التي تدمج فيها تكون عرضة للشك. ويلاحظ "كوين"، أحد المهتمين الكبار بهذه المشكلة، أن الدلالة المفهومية ينبغي أن يعاد فيها النظر"¹⁶¹.

لقد لوحظ أن المنطق الكلاسيكي منذ "أرسطو" ما يزال يحضر بقوة في مجال الدلالة المنطقية. وهكذا ظل المنطق الكلاسيكي ماصدقيا إلا ما كان من التوسيعات التي سنعالجها لاحقا، والتي تمثلت في إدخال الجهات

- J. Piaget et coll., (1967), *Logique et connaissance scientifique*, Gallimard, 159 Paris, p. 293.

- Tarski, (1956), *Logic, semantics and metamathematics*, Oxford, Clarindo. 160

- J. Piaget et collaborateurs, (1976), *Logique et connaissance scientifique*, op. 161 cit., p. 293 – 294.

المنطقية ودلالاتها. غير أن قضايا المعنى والإحالة شهدت تطورات كبيرة في أعمال كل من "فريغه" و"راسل" و"تشورس" و"تارسكي" حيث انفتحت فضاءات جديدة في مبحث الدلالة المنطقية أملت ضرورة حل المعضلات القائمة في مجال تطوير الرياضيات والمنطق الرمزي، وفي فلسفة العلم عموماً.

لقد انشغل المناطق بالمشكلات اللغوية وأبرزها مشكلة الدلالة فتنوع عن مبحث علم الدلائل فرعان: الدلالة المفهومية والدلالة الماصدية. وتعالج الأولى المعنى والترادف والتحليلية والعني واستلزام التحليلية الشرطية؛ وأما الثانية فتعالج الصدق والتسمية والإحالة والماصدق، وقيم المتغيرات والتعيين designation. وهكذا، تشعبت الدلالة الصورية فصارت تبحث موضوعات فائقة التجريد كالعوالم الممكنة والمستقبلات الممكنة. وتغذت الدلالة من البحوث المنطقية الرياضية بعد أن تم تنسيق نظرية النماذج وأصبح التأويل يخضع للقواعد الصورية المبنية بكيفية منسقة بعد أن كان يقوم على التفسير (= الهرمينوطيقا).

ولما كان "كواين" يتفرد بدعوى دلالية تدخل في إطار استئناف التفكير في المسائل الدلالية المنطقية التي ورثها عن كل من "فريغه" و"راسل"؛ فقد اعتبرنا أن التعريف بمساهمتهما أساسي لفهم ما أسهم به "كواين".

1.3. المعنى والإحالة : "فريغه" و"كوأين" :

يعد "غوتلوب فريغه" (1848 . 1925)، بحق، محطة فكرية ضرورية لكل من يرغب في الخوض في موضوع الدلالة. فهو رياضي ومنطقي وفيلسوف ألماني درس بإبينية lena. وقد ظلت أعماله مغمورة إلى أن استلهمها كل من "ادموند هسّرل" و"برتراند راسل". فقد انطلق هذا الأخير من نتائج أعمال فريغه المنطقية والفلسفية وعالج مشكلة الإحالة في مقالته "في الإحالة"¹⁶². وتعاقبت القراءات المنصبة على أعمال "فريغه" بعد ذلك وتسربت مفاهيمه إلى الفكر الأنغلو-أمريكي.

وفضلا عن ذلك، فقد ساهم "فريغه" في فلسفة الرياضيات وبناء المنطق الحديث أدخل فيه الأسوار ونسق القضايا الرياضية؛ فهو يعتبر بحقّ أب النزعة المنطقية بدعوته إلى تأسيس المنطق برد الرياضيات إلى قواعد منطقية. وقد أثرت دعواه هذه في "راسل" و"وايتهد". وتأثر، هو نفسه، بدعواه، حتى صار يعرف العدد، مثلا، بحدود العلاقة الإثنائية المتبادلة بين عناصر فئتين حتى أنه دعا إلى إمكان استنباط الأوليات الحسابية من القوانين المنطقية الأساسية.

- B. Russell, (1905), « On Denoting », **Mind**, 14. 162

نشر "فريغه" عام (1892) مقالته الشهيرة "المعنى والإحالة"¹⁶³. وقد أصبحت هذه المقالة عمدة في المنطق وفلسفته، وكذا في الدراسات اللسانية والسيمائية. وتعد أعمال "فريغه" الفلسفية والمنطقية فاتحة لفلسفة الرياضيات وللمنطق الحديث. فقد أدخل الأسوار ودعا إلى تنسيق البناء الرياضي؛ ولهذا كان تأثيره بالغاً في الفكر المعاصر ظهر صدها ومضمونه في الكتابات المنطقية والفلسفية المعاصرة.

يتساءل "فريغه" في مقالته "المعنى والإحالة" عن حمولة علاقة الهوية أو المماثلة Relation d'identité أو التساوي. فعندما نثبت أن أ هي ب (أ = ب) فعن أي شيء نتكلم؟؟ فلا تمثل علامة أو رمز ما، من وجهة نظر ماصدقية خالصة، سوى مظهرين: الدال أو المحيل إلى الشيء/ الذي يشير إلى الموضوع أو إلى الشيء المحال عليه أو المشار إليه (= المدلول) سواء وقع خارج اللسان أو اعتبر في الأذهان. فهل تتعلق الهوية بالمظهر الأول أم بالمظهر الثاني؟

يكنم الفرق بين 'أ = أ' و 'أ = ب' في أن هذه الأخيرة تضيف شيئاً جديداً إلى معارفنا بينما يبدو أن 'أ = أ' بديهية، وبالتالي لا تضيف شيئاً جديداً. وهذا 'الشيء الجديد' أيتعلق بما تحيل عليه المعادلة؟ إن العلاقة، في نظر

- G. Frege, (1892), « Uber Sinn und Bedeutung », Trans. Feigl in Feigl and Sellars, 163 (1949) and reprinted in Copi and Gould, 67 and in Trad. Franç. Claude Imbert : *Ecrits logiques et philosophiques*, Seuil, Paris, (1971).

"فريغه"، موجودة وقائمة بين "أ" و "ب" في الحدود التي تسمى فيها كل واحدة منهما موضوعا ما أو تعيّن شيئا ما بل إن العلاقة تتولد عن ارتباط كل علامة من العلامتين بالشيء المعين. وتكمن المفارقة في أن "نجمة الصباح" و"نجمة المساء" تعيّنان نفس المسمى بيد أنهما لا تعنيان نفس الشيء.

ولكي يميز "فريغه" المعنى عن الإحالة اعتبر أن كل عبارة مشكلة سواء من أسماء أو علامات عبارة ذات معنى وإحالة:

"يعبر اسم العلم (كلمة أو علامة أو تركيبا لعلامات، أو تعبيراً) عن المعنى، ويحيل أو يعيّن المسمى أو المشار إليه" ¹⁶⁴.

ومن الملاحظ أن "فريغه" يعتبر اسم العلم مفهوما موسعا قد يشمل كلا من الكلمة والعلامة والعبارة. غير أنه يميز بين المعنى والمشار إليه ليجعل أمر المعنى أبسط من الإحالة لكون "معنى الاسم العلم جزء منها، غير أن الإحالة المتعلقة بعلامة ما، إذا افترضنا أنها موجودة، لا تكون البتة معطاة بكيفية واضحة للغاية" ¹⁶⁵.

- Frege (1892), *Ecrit logique et philosophique*, op. cit., p. 107. ¹⁶⁴

- Ibid., p. 104. ¹⁶⁵

ويقترّب "فريغه"، في هذا الموقف، من موقف "كواين" من الإحالة وخصوصا دعوى هذا الأخير القائلة بامتناع تمحيص الإحالة Inscrutability of reference التي سنعود إليها لاحقا.

يأخذ "فريغه" مفهوم الاسم العلم كمرادف للعلامة والاسم والألفاظ: "من الطبيعي أن نربط بالعلامة (اسم أو مجموعة كلمات، أو خصائص)، فضلا عما تعنيه ويمكن أن نسمّي إحالتها، ما أود أن أسميه معنى العلامة حيث يكون المضمون هو الجهة التي يحضر بها الموضوع أو الشيء. ولكي نأخذ من جديد المثال السابق، فإن إحالة العبارتين "نقطة تقاطع أ و ب" و"نقطة تقاطع ب و ج" ستكون هي نفس الإحالة غير أن معنى العبارتين سيكون مختلفا. فإحالة "نجمة المساء" و"نجمة الصباح" إحالة واحدة، بيد أن المعنى مختلف"166.

ويرى "فريغه" أننا لو كنا نتكلم بكيفية عادية وطبيعية فإننا نتكلم، على الدوام، عن موضوعات تمثل إحالة كلامنا لكننا قد نتكلم عن الألفاظ ذاتها أو عن معانيها فيصير مشكل المعنى حاضرا بقوة أكبر من حضور الإحالة. ولهذا السبب ميز "فريغه" المعنى عن التمثيل représentation: "يجب أن نميز التمثيل المرتبط بالعلامة عن معنى وإحالة هذه العلامة"167

- Ibid., p. 103. 166

- Ibid., p. 105. 167

فالتمثل عبارة عن جدول داخلي يتشكل من ذكريات وانطباعات حسية وأفعال خارجية أو داخلية تعرضت إليها ذاتي العارفة عند تعرّفها الأول على العلامة التي تشير إلى موضوع مدركٍ بالحواس. فالتمثل، إذن، ذاتي "في هذا الجدول تقتحم العواطف التمثلات. وتميز هذه الأجزاء المتنوعة غير متكافئ وغير ثابت. فنجد لدى نفس الشخص أن نفس التمثل لا يرتبط دائما بنفس المعنى" ¹⁶⁸.

وينتهي "فريغه" إلى تمييز التمثل عن المعنى والإحالة: "فإحالة اسم علم هي الموضوع ذاته الذي نُعيّن به بواسطة هذا الاسم؛ وأما التمثل الذي نلحقه به فذاتي بصفة كيفية، وبين الإحالة والتمثل يستقر المعنى الذي لا يكون ذاتيا كما هو الحال التمثل، لكنه لا يكون البتّة هو الموضوع عينه" ¹⁶⁹.

هناك مفهوم آخر يقترن بالمعنى، ألا وهو الفكرة، وقد حددها "فريغه" تحديدا موضوعيا باعتبارها تمثل المضمون الموضوعي: "المفصود بالفكرة Gedanke ليس الفعل الذاتي للتفكير بل المضمون الموضوعي للتفكير الذي يمكن أن يصبح الخاصية المشتركة بين العديد من الذوات [العارفة]" ¹⁷⁰.

- Ibidem. 168

- Ibid., p. 106. 169

- Ibid., p. 108. 170

لقد اعترف "فريغه" بوجود المعنى، بل وبالفكرة وأعطاهما تحديدا موضوعيا. إن الفكرة هي محتوى القضية أو المضمون الموضوعي للتفكير. لنتأمل تحديدات "فريغه" للمعنى والإحالة، وهذا هو ما يهمنا في هذه الفقرة، باعتبار "فريغه" يشكل لحظة فكرية لا بد من الوقوف عندها لفهم معطيات الدلالات المنطقية. فغرضنا هنا إنما ينحصر في استخلاص النتائج التي انتهى إليها البحث الفريغي الذي سيؤثر نسبيا في نظرية الدلالة الكواينية.

لقد ميز "فريغه"، إذن، بين المعنى والإحالة كنتيجة لبحثه بهذه الكيفية:

1. هب أن $b = c$ تتعلق بالمسمى أو المُشار إليه، فهذا سيدل على أن b و c تعنيان نفس الموضوع الذي يستغرق معناهما. ومن هنا لا تتوفر c على أي معنى مخالف لـ b ، وبالتالي يعود إثبات $b = c$ إلى $b = b$ ، ويظهر، مباشرة، أن هناك اعتراضا مفاده أن $b = c$ ج يمكن أن تحمل إلينا معلومة جديدة، بينما لا تحمل لنا $b = b$ أي شيء جديد، ومن هنا يتضح أنه، على سبيل المثال، إذا كان شخص ما سيعرف أن "نجمة المساء هي كوكب فينوس"، فإن هذه العبارة ستحمل له معلومة جديدة، بينما لو قيل له "كوكب فينوس هو كوكب فينوس"، أو "نجمة المساء هي نجمة المساء" فإنه لن يستفيد شيئا على الإطلاق، إذ لو كان يعرف "كوكب فينوس" فستعد العبارة تحويلة بالنسبة إليه، وإذا لم يكن يعرفه فإننا لم نقدم له أي شيء جديد بقولنا "فينوس هو فينوس".

ونتيجة لذلك لا يمكن أن تكون علاقة التساوي مسألة خالصة تتعلق بالإحالة:

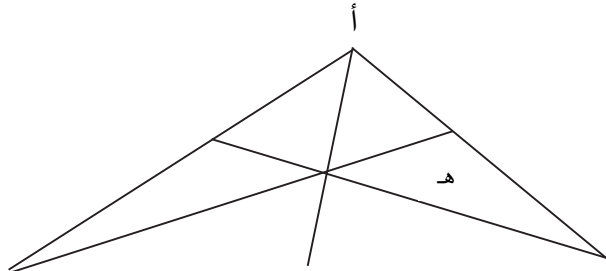
2. هب أن $b = c$ تتعلق بالمحيل على أو الدال، فيجب انطلاقاً من هذا الاعتبار أن نعيد كتابة العبارة على هذا النحو: " $b = c$ " لندرك، مباشرة، أن هذا الأمر مردود أولاً، لأن هذا الإثبات يظل كاذباً على الدوام، وثانياً لأننا عندما نثبت $b = c$ فإننا لا نفهم أننا نعبر عن منطوق فوق يتعلق بهوية الدوال.

والنتيجة أن علاقة التساوي لا تتعلق، أيضاً، بالمحيلات أو الدوال.

فما هي طبيعة المعنى والإحالة؟

يبدو أن وضع المعنى ظل يتواجد، منذ "فريغه"، في وضع حرج وقلق. فقد تم إدماجه دونما إمكان التثبيت من تناوله بحدود ماصدقية، وقد تبين أن "فريغه" فشل في تحديده بكيفية صارمة لتمييزه عن الإحالة.

يوضح المثال الأخير الآتي:



ب ————— ج

تتلقى المقاطع التي تتصل بالقسم وسط أضلع متقاطعة في نقطة وحيدة هي هـ. وهكذا يمكن تحديد النقطة هـ بمعانٍ عدّة فهي: نقطة تقاطع (أ) و(ب)، ونقطة تقاطع (ب) و(ج) ونقطة تقاطع (أ) و(ج). فرغم أن الإحالة واحدة إلا أن الجهات التي تحضر بها كمعنى مختلفة.

ويمكن، من خلال المثال السابق، أن نستخلص أن "فريغه" قد استبعد كل نزعة نفسية معتبرا أن المعنى يتحدد في الجهة التي يُعطانا بها الموضوع؛ وبالتالي، فإنه يختلف عن الإحالة: "نجمة الصباح" و"نجمة المساء" تحيلان على نفس الموضوع إلا أن الجهة أو الكيفية التي يعطانا بها الموضوع مختلفة. فـ"فينوس" باعتباره "نجمة الصباح" أو "نجمة المساء" يعطانا حسب زمن ظهوره (= أي فينوس) ههنا يلتقي "فريغه" بما سيقول به "كواين" مخصص الفصل بين المعنى والإحالة. وبين أن ما ذهب إليه "فريغه" هنا يقترب من دعوى امتناع تحدد المعنى عند "كواين" من جهة تعددية الجهات التي يعطى بها الموضوع أو الشيء فـهـ، في المثال السابق، ذات معانٍ متباينة لكنها ذات إحالة واحدة هي النقطة هـ.

ولما كان المعنى عند "فريغه" لا يخضع تحديده للدلالة الماصدية، وكان التمثل ذاتيا عند كل فرد، فإن وضع المعنى أصبح في حالة قلق. وهكذا

فإن "فريغه" جعل الفكرة تحظى بوضع موضوعي على نحو ما قد ينحو بها إلى المثال المشترك بين الذوات العارفة مما يجعلنا نرى أن "فريغه" قد راهن على أسئلة فلسفية قديمة جعلها راهنة تتمتع بالامتداد في العقل. غير أن "كواين"، كما سنرى، سيرفض قطعاً هذا التحديد. فبناء على الخلفية النظرية السلوكية التي لا تعترف بالأفكار ككيانات مجردة، وبناء على دعوى امتناع تحدد المعنى، سيعتبر كواين أنه لا المعنى ولا الفكرة يمكن أن نصادر على وجودهما.

ومع ذلك، فقد أعطى "فريغه" الأولوية للإحالة حيث ظل وفيًا ومقتنعاً بكون الوظيفة العادية للغة وظيفة إحالية. إن للغة قدرة خارقة على الإحالة، فكل اسم ينبغي أن يقترن بالمسمى حتى أنه اعتبر في "لغته المثالية" ¹⁷¹ Begriffsschrift أنه لا وجود، عند "فريغه"، لعبارة خالصة لا مسمى لها. وإذا لاحظنا أن هناك سياقات تشتغل بها اللغة بحيث تكون هذه السياقات إحالية بمعنى مجرد، فإن هذا الأمر لا يدخل في اهتمامه (أي فريغه).

= Ideographie.171

لقد راود حلم بناء لغة مثالية فلاسفة أمثال "ديكارت" و"ليبنيتس" في دعوتهما إلى وضع لغة كونية
:مثالية esperanto

Principalis lingua universalis وذلك بغية تحقيق معرفة شمولية وكونية Mathesis
.universalis

يظهر طغيان النزعة الماصدقية، مع ذلك، على فكر "فريغه"، فالمعنى تابع للإحالة في كونه يمثل الجهة التي يحضر بها الموضوع. فقد تقصي المعرفة الحقة بالمسمى كل فائدة للمعنى. فالعبارة "فينوس هو فينوس" لا تضيف لمعرفتنا شيئا بينما "فينوس كوكب" تفيد شيئا ما عن الموضوع "فينوس". لذلك قلما اعتنى العلماء بمعضلة المعنى، ولم يكثرثوا بها إلا بعد ظهور المفارقات الدلالية والرياضية في المنطق وفلسفة الرياضيات إلى جانب التطورات التي شهدتها علم الطبيعة خصوصا في مجال النظريات الكوانتية، والمشكلات الدلالية المتعلقة بالموضوع العلمي الذي يتكلم عنه العلماء بمعان توشك أن تتعارض فضلا عن كون هذا 'الموضوع' ممتنعا عن التمحيص إلى درجة أصبح يحمل صورة معادلة رياضية بدل أن يسمي معناه ما يحيل عليه أو يشير إليه.

2.3. المعنى والإحالة: "راسل" و"كواين":

إذا كان من اللازم الوقوف عند "فريغه" في تناوله للمعنى والإحالة فإن الوقوف عند "راسل" وما استأنفه من بحث في معضل القضايا الدلالية أولى لفهم دعوى "كواين" في نظريته الدلالية خصوصا وأن "كواين" استفاد كثيرا من أعمال "راسل" خصوصا نظريته في الأنماط Theory of types ونظريته حول الرسوم Theory of descriptions علما بأن انتقادات "كواين" انصبحت، على الخصوص، على أعمال "كارناب" الذي نهل من "راسل".

تحدد مساهمة "راسل" في مجال الدلالة بنظريتيه اللتين حصلتا على قدر كبير من الأهمية في مجال فلسفة المنطق المعاصر هما كما ذكرنا: (أ) نظرية الأنماط و(ب) نظرية الرسوم المحددة Theory of definite descriptions.. وسنقتصر في هذه التذكرة التاريخية على مقالة "راسل" الشهيرة: "في الإحالة" ¹⁷².

وتمثل مقالة "راسل" إلى جانب مقالة "ستراوسن" المشار إليهما مرحلة جديدة في تطوير البحث في معضلات المعنى والإحالة في الفلسفة البريطانية. فقد مهدتا للتفريق بين الذكر والاستعمال Usage et mention، فضلا عن تلمُّسهما للتعارض الضمني القائم في العلاقات بين المنطق واللغة الذي تم إغناؤه بكل من مساهمات "فتغشتاين"، وخصوصا حول الذكر والاستعمال، والسجلات النظرية والمعرفية (الايستيمولوجية) حول الأساس الأنطولوجي.

لقد اعتنى "راسل" بالقضايا الدلالية في صلتها بالمعرفة، فتميزه بين المعرفة المباشرة والمعرفة غير المباشرة Knowledge by acquaintance and knowledge by descriptions إنما يقوم على أساس كيفية حصول المعرفة بالموضوع. فلا

172. نشر راسل هذه المقالة سنة (1905) تحت عنوان « On denoting » ونقل إلى الفرنسية في مجلة « L'âge de la science » Vol III, N°3, pp. 171-187. ومن بين رؤساء هذه المجلة "نعام تشومسكي" و"ويلار فان أورمان كواين" و"فرانسوا جاكون". وقد رد "ستراوسن" عليه في مقالته "في فعل الإحالة" On referring نشرت بنفس المجلة المذكورة أصدرها ستراوسن سنة (1905).

تُعطانا المعرفة المباشرة إلا من خلال الحضور المباشر للموضوع بإزاء الحواس. ويمكن أن نشير، هنا، إلى اعتراض "كواين" الذي مفاده امتناع المعرفة بالموضوع المباشر من طريق اللغة بدعوى امتناع تمحيص الإحالة. فالبدائي الذي ينطق أمام اللساني الذي يعمل على نقل وترجمة لغة قوم هذا البدائي لا يستطيع أن يعرف العلاقة المباشرة بين الموضوع المائل "أرنب"، مثلاً، وما ينطق به البدائي: "غافاغي".

وأما المعرفة بخصوص أو حول، أي المعرفة التي تتعلق بموضوع نحيل عليه أو نصنفه (معرفة بالرسوم) فإن "راسل" سيتبنى في كتابه مشكلات الفلسفة (1912) هذا التحديد خصوصاً في الفصل الخامس؛ ومعلوم أن "راسل" قد استفاد من أعمال كل "من ج. س. مل" الذي ظل يعتبر أن الإحالة تفيد ما صدق التصور وتعيينه، كما أفاد من "فريغه" خصوصاً مقالاته "المعنى والإحالة" بحيث كان "راسل" أول من سلط عليها الأضواء وأبرز قيمتها العلمية والفلسفية.

ولم يفت "راسل" الالتفات إلى مساهمة "ماينونغ" Meinung الذي قدم تصوراً خاصاً عن الإحالة انتقده "راسل" خصوصاً في قول "ماينونغ" بالوجود المجرد أو "الوجود على نحو ما"¹⁷³. وليس يعنينا هنا البعد

173. يميز ماينونغ بين الوجود هنا Da-sein و"الوجود على نحو" الموجود بهذه الصفة So-Sein فالأول يمكن أن نحيل عليه كموضوع. بينما يتعذر ذلك بالنسبة "للموجود على نحو" أو

الأنطولوجي للإحالة، لأننا سنتناوله في الجزء الثالث الذي عقدناه لبحث علاقة الدلالة بالأنطولوجيا عند كواين.

ينبغي أن نبين، بالأولى، أسس نظرية "راسل" في الإحالة نظرا للتأثير الذي مارسه على الفكر الأنغلوسكسوني والأنغلو أمريكي لاحقا، ونظرا لأن كواين اعتمدها في كثير من المناحي.

ينطلق "راسل" من تحديد نظريته ومنهجها بالصورة التالية:

"ها هي ذي نظريتي باختصار: إنني أعتبر مفهوم المتغير كمفهوم أساسي واستعمل "ك (س)" لكي أعين قضية ما [أي الدالة القضيةية بتعبير أدق] يكون س مكونا لها، وحيث يكون س، المتغير، بالأساس وبكيفية تامة، غير محدد. وفيما بعد، يمكن أن نتصور المفهومين "ك (س) تصدق دائما" و"ك (س) صادقة أحيانا" [يمكن أن نحدد أو نعرف الثانية بواسطة الأولى متى كنا نفهم أنها تعني ليس يصدق أن تكون "ك (س) كاذبة" صادقة دائما] يجب أن نؤول، من الآن فصاعدا، "كل" و"لا شيء". و"بعض" التي تمثل مقاطع الجمل¹⁷⁴ الأكثر أولية بالنسبة للإحالة) بالكيفية التالية:

الموجود بهذه الصفة كالدائرة المربعة. ولنا عودة إلى هذه المسألة في الباب الرابع من هذا البحث.

174. ترجمنا periphrase بـ "مقطع من الجملة أو العبارة" باعتبار أن الفكرة (Gedanke) (أي فكرة القضية) لا تكتمل إلا باكتمال العبارة أو الجملة.

ك (كل شيء) تعني "ك (س) صادقة دائما" ؛

ك (لا شيء) تعني "ك (س) كاذبة « صادقة دائما" ؛

ك (بعض) تعني "من الكذب أن « ك (س) كاذبة « صادقة

دائما".

هاهنا يؤخذ مفهوم "ك (س) صادقة دائما" كمفهوم أقصى ممتنع عن التعريف Indefinable ؛ وأما ما تبقى فإنه يعرف بناء عليه، وأما "كل" و"لا شيء" و"بعض" فمن المفروض أنها لا تتوفر على معنى متى أخذت معزولة؟ غير أن المعنى يعطى لكل قضية ترد فيها هذه الألفاظ. ها هو، إذن، مبدأ نظرية الإحالة الذي أود أن أدافع عنه: لا تتوفر مقاطع الجمل أو العبارات التي تحيل البتة على أي معنى في ذاتها؛ غير أن كل قضية ترد في التعبير الكلامي متضمنة لها تصبح ذات معنى. إن الصعوبات المتعلقة بالإحالة تنتج كلها، فيما أرى، عن تحليل سيء للقضايا التي تتضمن فيها التعابير الكلامية عبارات إحالية.

فالتحليل المخصوص يستطيع، إذا لم أجنب الصواب، أن يتابع على هذا النحو: هب أننا نريد أن نؤول القضية: "صادفت إنسانا". فإذا كانت صادقة، فإنني أكون قد صادفت إنسانا معينا ومحددا، ولكن هذا ليس هو ما عبرت عنه. إن ما أثبتته إنما يعود إلى المعتقد الذي أدافع عنه. وأما "صادفت س" و"س إنسان" ليست دائما كاذبة، فبكيفية عامة، إذا كنا نعرف فئة البشر كفئة تضم الموضوعات التي يحمل عليها المحمول

إنسان، فإننا سنقول: "ك (إنسان) تعني «ك (س) إنسان» ليست دائما كاذبة". وهذا يجعل "إنسان" فارغة تماما، وبذاتها، من المعنى، غير أنها تضيف المعنى على كل قضية يظهر فيها التعبير الكلامي "إنسان"¹⁷⁵.

يبدو أن مشكلة المعنى قد أوضحت واضحة باعتبار المعنى لا يقوم بذاته. وقد سعى "راسل" إلى حل معضلته بالتعرض إلى معضلات ترتبط أساسا بالإحالة. فلنلخص هذه المعضلات الإحالية التي سنقف عندها مع "كواين" إن على مستوى نظريته الدلالية أو موقفه الأنطولوجي.

يشتمل مقال "في الإحالة" على معضلات ثلاث هي:

(1) "العنقاء غير موجودة" أو "الملك الحالي لفرنسا أصلع".

فالعبرة الأولى تسند حكم "عدم الوجود" للعنقاء، والعبرة الثانية تسند "أصلع" لملك غير موجود. إنها مفارقة ارتأى "راسل" أن ينظر فيها للمعنى باعتباره غير محدد:

"تكمّن الصعوبة الأولى في ما نصادفه عندما نتبنى الصيغة التي تفيد أن مقاطع العبارات التي تتمّ بها الإحالة تعبر عن معنى وتحيل على مسمّى في الحالات التي تبدو فيها الإحالة غائبة. فلو قلنا "الملك الحالي لأنجلترا

- B. Russel, « De la dénotation », op. cit., pp. 173 – 174.¹⁷⁵

أصلع"، فإنها، على ما يبدو، تتعلق لا بالمنطوق المتعلق بالمعنى المركب¹⁷⁶ "ملك أنجلترا"¹⁷⁷ بل بالرجل الواقعي المشار إليه بالمعنى.

وبخلاف ذلك فلو أخذنا "الملك الحالي لفرنسا أصلع" فإنه ينبغي، بفضل الصورة الخالصة، أن يحمل على إحالة مقطع العبارة "ملك فرنسا". غير أن هذه العبارة، إذا كان لها أيضا معنى لكون "ملك أنجلترا" يحمل معنى، فإنها لا تتوفر بتاتا على أية إحالة، على الأقل بالمعنى الظاهر. ومن هنا يمكن أن نفترض بأن "ملك فرنسا أصلع" ينبغي أن تكون غير ذات معنى، ولكن الواقع ليس كذلك لأن هذا الاعتبار كاذب بكيفية صريحة"¹⁷⁸.

تقترن مسألة الإحالة، إذن، في جانبيها الذهني بالمعنى، وفي جانبيها المادي بالواقع، أي أنها تشمل ما هو معرفي، بصفة عامة، وما هو أنطولوجي بالمعنى الواسع حتى وإن اقتضى ذلك اتباع "ماينونغ" في تصنيفه للمعاني الذهنية غير القابلة للتحقق الأنطولوجي نحو "الدائرة المربعة". وبخلاف ذلك قد نقول بأن العبارة "ملك فرنسا أصلع" ذات معنى، وإنها غير ذات ماصدق وبالتالي فهي كاذبة، وحتى نتبين ذلك لنطرح ونوضح، مع راسل، معضلات الإحالة بجانبيها المعرفي والأنطولوجي:

- Complexe de signification (1905).176

177 .كانت لهذه العبارة إحالة في زمن كتابة راسل لمأمله يقصد إدوارد السابع Edward VII.

- B. Russell, « De la dénotation », op.cit., p. 176.178

هب أن أحدا ما تلقّظ بالعبرة التالية:

(1) "العنقاء غير موجودة".

يمكن أن نقول عن هذه العبارة، حسب "راسل"، أنها:

(1.1) عبارة صادقة؛

(2.1) عبارة تتعلق بالعنقاء.

والحال، فلا يسعنا أن نأخذ ب (1.1) و (2.1) معا. فبالفعل، إذا كانت (1.1) صادقة، فإن "العنقاء" لا توجد، وإذا كانت غير موجودة، فسيمتنع أن تكون موضوعا لعبارة ما لامتناع التحقق، وعلى العكس، إذا كانت (2.1) صادقة فإن 'العنقاء' يجب أن تكون موجودة، أو أن توجد بأي وجه من الأوجه، على أقل تقدير. وإذا امتنع وجود العنقاء، أنطولوجيا، فإن العبارة لا تقبل أن نقول بأنها صادقة ولا كاذبة. وقد يقودنا ذلك إلى القول بأنها فارغة من المعنى نحو "العدم غير موجود" أو "العدم ينعدم".

لا يسعنا، إذن، إلا أن نأخذ ب (1.1) و (2.1) معا؛ لأنه إذا كانت المسألة تمثل معضلة دلالية ترتبط بالصدق وبالوجود والمعنى، فيجب أن تخضع بالأحرى للتحليل الدلالي الذي يشمل المفهوم والمصدق.

لنتنقل، الآن، إلى الضرب الثاني من معضلات الإحالة:

(2) أراد العقاد أن يعرف هل كان طه حسين هو كاتب الأيام.

من المعلوم أن نظرية الأوصاف عند "راسل" تقيم تمييزا واضحا بين صنفين من الرموز هما: اسم العلم والرسم (= أو الوصف). وقد اعتبر "راسل" أن اسم العلم رمز بسيط يعين موضوعا موجودا خارج اللسان (أي جزئي موجود في الأعيان).

وعلى هذا الأساس، يستقل اسم العلم بمعناه عند بقية مكونات العبارة أو القضية. وأما الرسم فهو، في عرف "راسل" رمز مركب complex symbol نحو: "كاتب الأيام" في (2). فهذا الرمز لا يعني الموضوع الحقيقي الواقع في الأعيان كما هو شأن اسم العلم: "طه حسين"؛ فقد تكون الرسوم متعددة المعاني مُتحدة المسَمَّى فلـ "طه حسين" رسوم كثيرة منها "كاتب الأيام" و"عميد الأدب العربي" و"وزير الثقافة"، إلخ. ومن هنا ففوة اسم العلم أوثق من الرسوم أو الأوصاف لأن هذه الأخيرة مجرد "رمز ناقص" وحتى هذه الرموز الناقصة أو الأوصاف تنقسم إلى نوعين: (أ) رسوم محددة و(ب) رسوم مبهمّة، وصورة الأولى "الكذا والكذا"، وصورة الثانية "كذا وكذا".

بما أن "طه حسين" تفيد "كاتب الأيام" في (2) وهما يعنيان نفس المسَمَّى، فبإمكاننا أن نطبق عليهما الإبدال الحافظ للحقيقة وبالتالي نحصل على:

(3) أراد العقاد أن يعرف ما إذا كان طه حسين هو طه حسين.

يظهر أن العبارة (2) لا تفيد شيئا جديدا لكونها لا تضيف إلى معرفتنا أي شيء. واحترازا من هذه المشكلة سيقول "كوّين" كما سنرى بعد قليل،

بضرورة التفريق بين الإحالة الظاهرة والإحالة الخفية. وقبل أن نبسط في ذلك الكلام، لنتابع عرض معضلات الإحالة عند راسل.

يتعلق الضرب الثالث من المعضلات بالقيمة الصدقية، وهو يسائل مبدأ الإبدال وبالاخصيص الإبدال الحافظ للحقيقة *Salva veritate* ، فما هي القيمة الصدقية للعبارة التالية؟:

(4) الملك الحالي لفرنسا أصلع؛

لا نجد أن "الملك الحالي لفرنسا"، كرسم أو كوصف يمثل رمزا ناقصا، يتوفر على ماصدق بحيث يوجد من بين الأفراد المتصفين بالصلع "ملك حالي لفرنسا"، وبالتالي فيجب أن تكون العبارة (3) كاذبة، وفي مقابل ذلك، يجب أن تكون العبارة:

(5) الملك الحالي لفرنسا ليس أصلعا.

عبارة صادقة. والحال أن (4) هي الأخرى كاذبة إذ لا نجد في فئة الأشخاص غير المصابين بالصلع الملك الحالي لفرنسا، وبالتالي فإن (3) و(4) لا تحتملان، معا، قيمتي الصدق والكذب الصدقيتين.

ونستنتج مما سبق أن مبدأ عدم التناقض يتم خرقه فـ 'أ' و"لا أ" تكذبان معا. ومن هنا نفشل في تحديد القيمة الصدقية للعبارة التي يبدو أنها تمتنع عن الإثبات ولا تقبل النفي ومن هنا مخالفتها لمبدأ عدم التناقض،

كما يبدو أنها ليست صادقة ولا كاذبة ومن هنا تفلت من مبدأ الثالث المرفوع.

رغم الاجتهادات التي قدمها "راسل" فإن إشكالية الإحالة ظلت مستغلقة. فقد فتحت بعد أعماله آفاق جديدة للنظر في علاقة الدلالة بالأنطولوجيا. فقد جاء في إشارة صدر بها "كواين" في كتابه الكلمة والشيء سنة (1960) عبارة أخذها عن غريه ميلر J. Grier Miller: "إن الأنطولوجيا تقوم بتحصيل الفيلولوجيا"؛ وتكمن فائدة هذه الإشارة في أنها تدعو إلى تقليب النظر في مسألة الإحالة ومراجعة أعمال كل من "فريغه" و"راسل". ويتحدد ما قدمه "راسل" في كونه يقصد بتقليص الرموز البسيطة الخاطئة باعتماد التحليل أن يتناول بالنقد أسماء العلم الظاهرة والعبارات ذات الإحالة الشبيهية. وعلى هذا النحو، ذهب إلى نقل الاسم العلم "بيغاس" إلى "الفرس الطائر". غير أنه لم يفلت من التورط في أحكام مسبقة ذات علاقة بالنزعة الماهوية الميتافيزيقية. ومن هنا واجه راسل مشكلتين كبيرتين هما:

(أ) مشكلة تحديد التحليل الوصفي الجيد؛

(ب) مشكلة تحديد أسماء العلم الأصلية.

فنحن نتساءل بخصوص (أ) عن طبيعة التحليل الوصفي الجيد الذي يكون بإمكانه أن يعبر، بكيفية مطابقة، عن المعنى غير الاحالي لأسماء العلم الشبيهية pseudonyms. فبأية كيفية وبأي رسم ندل على "امرئ

القيس" إذا علمنا أن أسماء الوصفية هي "الملك الضليل"، و"ذو القروح" و"شاعر معلقات مطلع قصيدته" قفا نبكي لذكرى حبيب ومنزل"؟ فهل يعد الاختيار أحد هذه الرسوم مسألة شخصية أو ذاتية، أم أنها مسألة تداولية متعلقة بالسياق وبالتواصل؟ تلك هي الأسئلة التي تظهر، إلى جانب أسئلة أخرى، بمجرد أن يكون المعنى غير مثبت بكيفية إحالية"¹⁷⁹.
لم يقنع "كواين" بهذا الاعتراض بل ذهب إلى أبعد من هذا الحد حتى أنه ادعى امتناع تمحيص الإحالة ذاتها.

أما عن (ب) التي تطرح مشكلة تحديد الاسم العلم، فإن المسألة ترتبط بهذا السؤال الحاسم: ما هي العلامات البسيطة أو ما هي أسماء العلم الحقيقية؟ إنها نفس المشكلة وقد طرحت من جديد. ويبدو أن الحسم فيها سيضع حدودا للنظرية الإحالية للمعنى، بل قد يؤدي إلى إبطال ادعاء التجريبيين من هيوم إلى "رايشنباخ" H. Reichenbach الذين يزعمون أن المفاهيم العلمية لا تشير مباشرة إلى الوقائع المادية فحسب، بل وتقابلها الواحد بالواحد. مع أن كل مفهوم علمي إنما يحمل شحنة نظرية وشحنة أنطولوجية الشيء الذي يجعل عملية فصل الوقائع المادية عن الدلالة اللسانية أمرا مستعصيا. فكيف أجاب راسل عن هذه المسألة؟

- Ibid., p. 226.179

"من الناحية المبدئية، اعتبر راسل أن اسم العلم الحقيقي هو الذي يفترض وجود مُسمّاه. فمعرفة اسم العلم (أي معناه) تتحدد بمعرفة الشخص الذي يحمله، وبالتالي التأكد من وجوده. ولكن، ما المقصود بمعرفة شيء محدد والتأكد من وجوده؟ إن ذلك يقتضي معرفته مباشرة (أي معاينته) عند حضوره¹⁸⁰. إن الاسم العلم الحق "هو الذي يحيل مباشرة على موضوع موجود بالفعل، ومعطى في الحضور In parasentia بحيث يكون قابلاً أن نتعرف عليه عند مشاهدته"¹⁸¹.

لا جرم أن أسماء العلم ستكون، وفق هذا التحديد، قليلة. ومن الملاحظ أن اللغة الطبيعية لا تنضبط للتحديد الرسلي حتى أن "راسل" نفسه عاد إلى عدم الأخذ بالعلامات التي تعمل بالضرورة بكيفية وصفية أو بوصفها دليلاً، أي تلك التي تعمل، فقط، عند حضور "م ياحملها" (أي مُسمّاه). فما هي هذه العلامات؟ إنها الظروف المتمركزة حول الذات Egoцентриque نحو "أنا" و"هذا" و"الآن"، ... فمثلاً، لا يعمل "هذا" بل لا يحصل على معناه إلا إذا استُعمل بالفعل عند حضور الشيء الذي يُسمّيه أو يُعيّنه. ويمكن أن نفصل هذه الظروف الذاتية المتصلة بأسماء الإشارة وضمائر المتكلم

180. وهذا ما قصد إليه "راسل" عندما أطلق المعرفة الحقة (أي الاتصال بالحقيقة المباشرة

للموضوعات res الممتدة في العالم أي Knowledge by acquaintance.

- Ibid., p. 226.181

وظروف الزمان والمكان باعتبارها ترتبط بما يمكن أن نصطلح عليه
بأنطولوجية الحضور.

وعلى هذا الأساس اعتبر "راسل" أن اسم الإشارة نحو "هذا" أو "هذه"،
إلخ، هو النموذج الحقيقي للعلاقة الإحالية التي تتمتع بكونها تمثل الأصل
وكل ما عداها يعود إليها نحو "أنا" التي تغدو: "هذا الذي يتكلم" أو "هذا
الملتقط بـ"أنا"، و"الآن" التي تفيد "هذا الزمن الممتد في الحاضر".

ومهما يكن من أمر اجتهادات "راسل" في ضبط الإحالة وتحديد المعنى فإنها
تحتفظ بفائدة عظيمة تمثلت في ردها النقدي على النزعة النفسية لدى
كل من "برنطانو" و"ماينونغ". فقد تابع راسل دراسات "فريغه" في "المعنى
والإحالة" حيث اهتم بدراسة التحليل المنطقي للرموز دراسة مركزة من
أجل تطوير دراسات المنطق... ومن النظريات العامة التي ركز "راسل" على
دراستها نظرية "برنطانو" في تحليل الإدراك إلى ثلاثة عناصر هي الفعل
والمحتوى أو المضمون والموضوع Acte, contenue et objet (...), وقد نحا
"ماينونغ" نحوه لوقوعه تحت تأثير نزعته النفسية¹⁸².

ومع أن راسل طور مبحث الدلالة خصوصاً ما تعلق منه بالإحالة، فإن
المبحث ظل متواصلاً بحيث وضع في كثير من الأحيان، نتائج هذا الأخير
موضع مراجعة ومسائلة في أعمال المناطقة واللسانيين وفلاسفة اللغة.

182. د. ماهر عبد القادر محمد علي: فلسفة العلوم، المنطق الرياضي، الجزء III، دار النهضة
العربية، بيروت لبنان، ص: 210.

ويعتبر مؤلف ليونار لينسكي Leonard Linsky: الدلالات وفلسفة اللغة من الأعمال التي ضمت بين دفتيها أعمق اجتهادات المناطقة وفلاسفة اللغة التي استلهمت مساهمات راسل في مبحث الدلالة.

وفي العقود الأخيرة، تناولت أقلام فلاسفة المنطق واللغة أمثال "هنتيكة" J. Hintikka ومونطاغيو Montague مبحث الدلالة، خصوصاً دلالة الجهات المنطقية كالضرورة الدلالية والمنطقية التي ظل الكثير منها يتمتع بالبداهة واليقين.

3.3. جهات المعنى وامتناع التحدد بين "لويس" و"كواين":

قبل أن نعرض بتفصيل دعوى كواين القاضية بإبطال وجود المعنى كذات مجردة، وقوله بامتناع تحدد المعنى، اخترنا نموذج س. إ. لويس في مقالته "جهات المعنى" ¹⁸³.

أقام لويس نظرية المعنى على تحليله للجهات التي تحصل من خلالها حدود العبارة على المعنى. فكل الحدود تحصل على معناها في مختلف الجهات الأربع التي يحضر بواسطتها المعنى وهي، حسب "لويس" "المعنى الأصلي" denotation و"المفهوم" compréhension و"المعنى التبعية" connotation و"المعنى". ويميز "لويس"، داخل هذه المقولات، التي يقال فيها المعنى، بين

- Lewis (C. I) : « The modes of meaning » in Linsky, L. (ed.) 1952, *Semantics* 183 and the philosophy of language (Illinois U.P.), p. 5 aff.

الحدود المجردة abstract terms وحدود الكتلة mass terms والحدود الشخصية أو الجزئية، وأخيرا الحدود العامة أو الكلية general terms. وبما أن العبارات والقضايا يمكن أن تعتبر من جهة الحدود التي تتضمنها - وهذا يذكرنا بمفهوم الفكرة عند "فريغه" - فإن هذا الأمر يجعل ما يسري على الحدود يسري عليها كذلك.

ولما كان المعنى يقتضي الترادف، فإن "لويس" أخذ بثنائية التحليل والتركيب كأساس نظري معرفي أقام عليه تصوره للمعنى. وهي ثنائية أبطلها كواين كما سنبين بعد قليل. ويكفي الآن أن نشير إلى أن مفهوم التحليلية Analyticity يقتضي "المعنى" و"الضرورة"، و"الترادف" كمفاهيم تدخل في شرائط تحديده. وهي مفاهيم تحتاج بدورها، فيما يرى كواين، إلى تحديد يتوقف بدوره على مفهوم التحليلية فيقع الدور. وقد سبق مورتن وايت Morton White إلى إبطال التفريق بين التحليلية والتركيب في مقالته: "التحليل والتركيب، ثنائية مردودة"¹⁸⁴ مستفيدا من مقالة كواين الشهيرة "ملاحظات حول الوجود والضرورة"¹⁸⁵.

آثار مورتن وايت مشكلات تتعلق بضعف معيار التفريق بين التحليل والتركيب خصوصا في اللغات الطبيعية. وهكذا تناول العبارة "كل إنسان حيوان ناطق" التي تعتبر عبارة تحليلية و"كل إنسان مشاء بالعرض" التي

- M. White, «Analytic – synthetic : an untenable duality » in Linsky, op. cit. 184

- W. O. Quine : « Notes on existences & necessity », in Linsky, (1952), op. cit. 185

يظهر أنها تركيبية. ومنها رد وايت مسألة التفريق بين التحليلية والتركيبية من العبارات إلى معضلة انعدام معيار قويم للتحليلية الذي يتوقف على إيجاد معيار صارم للترادف. وإذا افترضنا أن هذا المعيار متوفر، فإنه يحتاج إلى معيار آخر للتحليلية نظرا لاستدعاء مفاهيم نظرية المعنى بعضها البعض.

لقد اقترح كواين أن نعرف القضية التحليلية باعتبارها كذلك إذا وفقط إذا، كانت تنتج عن وضع مرادفات مكان مرادفات في العبارة الصادقة صدقا منطقيا.

وقد حاول "لويس" أن يتجاوز هذه المعضلات باقتراح دراسة تحليلية لجهات المعنى فركز على المعاني باعتبارها تكون محمولة في الألفاظ أو العلامات المحبورة ink-marks أو في الأصوات المنطوقة. غير أنه شدد على ضرورة الاعتراف بأن المعاني الكلامية ليست هي الأصل لأن المعاني سابقة، منطقيا على صيغ التعبير اللغوي مع ضرورة الإقرار بأن اللغة تتدخل هي الأخرى، في تغيير المعاني أو تعديلها.

وليست المعاني الكلامية هي المعاني الوحيدة، فهناك أشياء أخرى ذات معان دون أن يتم التعبير عنها بواسطة اللغة: "لقد صرح ش. س. بيرس Ch. S. Peirce بأننا نجد الأمور الأساسية لوضعية المعنى meaning situation حيثما ينتصب شيء ما كعلامة على شيء ما بالنسبة لعقل ما فما مماثلة المعنى، بكيفية حصرية، بخصائص الترميز الكلامي verbal symboziation إلا من قبيل

وضع العربية أمام الحصان (...) فما العنّي الأصلي للمعنى سوى الموقف الذي نجد فيه أن با تعني جا إذا كانت با تمثل أو تقوم بعنّي جا، أو إذا كانت قد وضعت للدلالة على جا أو ربطها بعقل ما. والحال فإنه من المشكوك فيه أن تكون هناك، أو يكون من الممكن أن توجد معان بحيث يستحيل على الألفاظ أن تعبر عنها.

وعلى العموم فإن المعنى يعطانا من خلال علامة لغوية، فما هي الجهات التي يعطانا بها المعنى؟

يحدد لويس جهات المعنى من خلال تقديمه لجملته من التعريفات التي تأخذ بالجهة التي "يعطانا بها المعنى"، على حد قول فريغه Frege، ومن الملاحظ أن لويس يأخذ بكل الجهات المفهومية والماسدقية للمعنى على حدٍ سواء. وهكذا انطلق من مفهوم الحد term فعرفه بكونه "عبارة تسمي أو تنطبق على موضوع أو موضوعات من صنف ما سواء أكان واقعيًا أو مفكرًا فيه" ¹⁸⁶ thought of.

ويشمل هذا التعريف الدلالة الذهنية والدلالة الماسدقية للحد وينطوي على المعنى والصدق، وسعيا وراء المزيد من الدقة سيعطي لويس للمفاهيم أو الحدود المجردة تعريفا خاصا يجعلها مقيمة في الأذهان فهي "تلك

الحدود التي تسمّي ما تعنيه"¹⁸⁷. ونلمس في هذا التحديد، حصول الدور إذ "المعنى" بذاته لا يسمّي ما يعنيه حتى إن "معنى المعنى" يوقعنا في التسلسل فنحتاج إلى "معنى معنى المعنى"... وهكذا. وقد استدرك لويس ما يفيد هذا الاعتراض: "يقال، أحيانا، إن ما لا يتمتع بالوجود الراهن لا يمكن أن نسمّيه"، وهو اعتراض يظل في نظره، مشروعا طالما أنه يضيّق استعمال الفعل "يُسمّي" to name أو "يحيل على"، ولتوضيح الأمر، يضرب يعلق كواين التعليق التالي:

"نجد، في الاستعمال العادي، أن الحد يطلق على ما يحيل عليه من موجود أو موجودات. وليس يخفى أن "لويس" يعتمد إلى النزعة الذريعية في تناوله لقضايا من صنف "مسألة المعنى". وهو بذلك، إذ يدخل اعتبارات ذريعية، يعتمد إلى نزعة محافظة. وقد ختم "كواين" مقالته "عقيدتنا النزعة التجريبية" بهذا الحكم: "يقف "كارناب" و"لويس" وغيرهما موقفا ذريعيا في مسألة الاختيار بين الصورة اللغوية والخلفيات العلمية غير أن مذهبهم الذريعي يمحى عند الحدّ الفاصل والخيالي بين التحليل والتركيب"¹⁸⁸.

يظهر، كما بينا في الفصل الأول، من هذا البحث حين تعرضنا لموقف كواين من الذوات المجردة، أن لويس لا يجاري كواين، إذ يأخذ بالمعاني المجردة أو الحدود المجردة أو المعاني والمفاهيم لا كذوات، بل كوقائع

- Lewis, C.I, « The modes of meaning », op. cit., p. 53.187

- Quine, « Two dogmas of empiricism », in F.L.P. V, p. 46.188

لسانية يشهد على وجودها الاستعمال، كما يأخذ بالمعاني غير المجردة التي "تكون إحالتها مفترقة عن معناها وبالتالي فهي ملموسة"؛ غير أن لويس يعطي أسبقية للمعنى على الماصدق كما يبدو في ادعائه بأن كل الحدود تتوفر على عَنِيٍّ بمعنى أو جهة الإحالة أو الماصدق، والكل يتوفر على معنى من جهة المعنى التبعية أو المفهوم.

وهكذا، فإن إحالة حد ما تكون عبارة عن فئة تشمل كل الأشياء الواقعة أو الموجودة التي ينطبق عليها هذا الحد بكيفية صحيحة، فعندما نعرف في الرياضيات مجموعة ما فإننا نعرفها تعريفاً

مفهومياً *définition en compréhension*، ثم ننطلق وفق التعريف المفهومي إلى جرد الماصدقات وفق التعريف الماصدقي *définition en extension*، غير أن بعض الحدود التي لا تتوفر على إحالة تطرح مشكلاً أمام تحديدات لويس لجهات المعنى. فنحن نجد صعوبة كبيرة في رفض هذا الصنف من الحدود لأننا نفهم شيئاً من معناها نحو "العنقاء" إذ مع أننا ننكر أن يوجد لها ماصدق نجد أنفسنا نقبل وجود معنى ما يتوفر عليه هذا الحد.

نجد، في هذه الحالة، أن هناك معنى تبعياً يستمد منه الحد مفهومه، ولإثبات وجود المعنى مع انعدام الإحالة يقرر لويس ما يلي :

5- يتحدد المعنى التبعية لكل حد أو مفهوم بكل تعريف صحيح يُعطى له؛

6- إذا لم يكن شيء ما قابلا للتسمية بكيفية صحيحة، بـ "صا" إلا إذا كان يقبل أن نسميه بـ "با₁" و "با₂" و... و "بان"، وإذا كان كل شيء يقبل التسمية بالحد المركب من "با₁ و با₂ و... و بان" يكون قابلا لأن يُسمى، أيضا بـ "صا"، وبالتالي فيمكن أن نطلقه على ذلك الشيء (ملموسا كان أو مجردا) بحيث يحصل على نفس المعنى التبعية كما هو شأن "صا". ومع ذلك، فإننا نلمس، مجددا أن "المعنى" أو "المعنى التبعية" ما يزال في وضع ملتبس وقلق مما يقوم دليلا على صحة ما ذهب إليه كواين حين قال بدعوى امتناع تحدد المعنى. ويظهر لنا هذا الالتباس المشار إليه في علاقة الحد الشخصي أو الجزئي بالحد الكلي:

"فالحد الشخصي هو ذاك الحد الذي يكون معناه الأصلي سابقا على تطبيقه على موضوع واقعي واحد أو أكثر. وأما الحد المقابل له فهو الحد الكلي (...). وهذه الثنائية ليست ذات معنى بالنسبة للحدود المجردة، فإذا طبقت عليها أي الثنائية، فإن كلّ الحدود المجردة ستصنف، بالضرورة، في فئة الحدود الشخصية" General term.

نستنتج مما سبق أننا نقع في امتناع تحدد المعنى التبعية؛ فكيف نتبين ما إذا كان المعنى التبعية لحد ما يحدد مفهومه أو ما إذا كان مفهوم هذا الحد يحدد معناه التبعية بناء على جرد الخصائص التي تكون مشتركة بالنسبة لكل الأشياء المفهومة؟

لابد إذن من استحضار المعنى الأصلي أو الإحالة. ولكننا نقع من جديد في نفس الوضع حيث لا نجد "من وجهة نظر واقعية، أية طريقة يمكن أن يكون فيها المفهوم محددًا بدقة مخصوصة بالإحالة على معناه التبعية طالما أن العد الحصري لكل الأشياء القابلة للفهم والمدركة لا يكون ممكنًا على الإطلاق".

وفضلا عن كون الالتباس يعتري المعنى حتى وإن كانت الإحالة أو المعنى الأصلي واضحا، نلتقي بما ذهب إليه "فريغه" حين ميّز بين المعنى والإحالة من خلال المثال: "نجمة الصباح" و"نجمة المساء" فهذان التعبيران يسميان أو يحيلان على نفس الموضوع "فينوس" غير أنهما يختلفان في المعنى لتضاد "الصباح" و"المساء" الواقعيين في التعبيرين.

4. المفاهيم الدلالية عند "كواين"

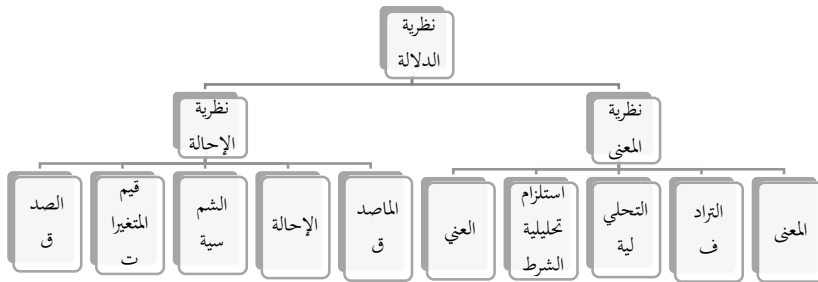
ننتقل الآن إلى المفاهيم الدلالية عند كواين، والتي اشتغل بها في فلسفته اللغوية. فقد أشرنا إلى أن "كواين" يقسم نظرية الدلالة إلى قسمين يطلق على القسم الأول نظرية المعنى Theory of meaning وعلى الثاني نظرية الإحالة Theory of reference. وتنظم تحت القسم الأول المفاهيم المفهومية Intensional concepts نحو "المعنى" Meaning و"الترادف" synonymity و"التحليلية" Analyticity و"استلزام تحليلية الشرط" Entailment of conditional analyticity و"العني" significance وتقوم هذه المفاهيم على دعوى امتناع تحدد المعنى، ودعوى

امتناع التفريق بين التحليل والتركيب. وقد اخترنا أن نتناول منها مفهوم "المعنى" و"الترادف" وما يتصل بهما.

وأما القسم الثاني، أي نظرية الإحالة، فتنتظم تحته، هو الآخر، خمس مفاهيم ما صدقية Extensional concepts ؛ وهي على التوالي: "الإحالة" و"صدق"، و"المصدق" و"التسمية" و"قيم المتغيرات". وتقوم هذه المفاهيم على دعوى "كواين" حول "امتناع تمحيص الإحالة" ودعوى ضرورة التفرقة بين "الإحالة الظاهرة والإحالة الخفية".

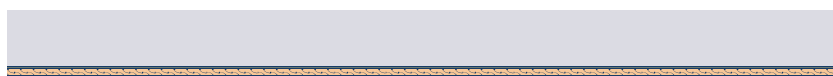
وإذا كانت نظرية الإحالة قد عرفت مشاكل قليلة تمت مجاوزة معظمها مع "الفرد تارسكي" في مقاربتة الماصدية للصدق التي شايعه فيها كثير من المناطق واللسانيين، فإن نظرية المعنى قد شهدت وما طفقت تشهد جدلا قويا حول مدى اتساقها وثبوتها نجم عنه اختلاف شديد بين المناطق والمشتغلين بالمفاهيم المجردة في المنطق وخصوصا في المنطق الموسع، وبالتحديد منطق الجهات.

ويمثل الشكل التالي تصور "كواين" للمفاهيم الدلالية عموماً:



الشرط

تلك هي الصورة العامة للاصطلاحات الدلالية التي استعملها "كواين". وهي تطابق في الغالب استعمالات كل من "راسل" و"كارناب" و"ألفرد تارسكي"، وهي كذلك المفاهيم التي سنستعملها في معرض كلامنا عن النظرية الدلالية عند "كواين". يبقى علينا أن نقوم بجرد المفاهيم الدلالية في جملة من المصطلحات التي تنتهي إما إلى الدلالة المفهومية أو إلى الدلالة الماصدية مركزين على الترادف الذي يقع بين مفاهيمها:



مفاهيم نظرية الدلالة			
(1)			
الدلالة المفهومية			
العربية	الفرنسية	الإنجليزية	الألمانية
معنى قصد معنى تبعية مفهوم	Signification Sens Connotation Intension Compréhension	Meaning Sense Connotation Intension Comprehension	Sinn
فكرة قضية	Idée	Idea Proposition	Gedanke Satz
تصور تمثل مدلول	Concept Représentation Notion	Concept Representation Notion	Beriff

ملحوظة :

وأما بعض المفاهيم نحو "الترادف" Synonymy فإنها لا تطرح إشكالا في الترجمة لأنها تشرح ب « Likeness of meaning » أو تواطؤ المعنى، أو نحو ذلك.

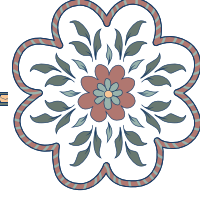
مفاهيم نظرية الدلالة			
(2) الدلالة الماصدية			
الألمانية	الإنجليزية	الفرنسية	العربية
Bedeutung Bedeuten	Extension	Extension	ما صدق
	Reference	Référence	الإحالة / المشار إليه
	Denotation	Dénotation	المعنى
	Designation	Désignation	الأصلي تعيين
Nomination	Nominatum	Nominatum	المسمى
Bezeichnen	Naming Designation	Nomination Désignation	تسمية

تعيين		Name –	
علاقة		Relation	
إسمية			

سنقتصر هنا على هذه المفاهيم مع الإشارة إلى أننا وظفنا كثيرا منها في العرض السابق، وأننا سنتعامل فيما سيأتي مع المفاهيم الدلالية حسب استعمالات كواين، وسنراعي نفس التقسيم الذي أتبعه. ولن يشمل تناولنا لنظرية الدلالة بقسميها عند كواين بقدر ما سنقتصر على بعض منها خصوصا وأن هناك تظافرا إحياليا بين المفاهيم الدلالية الكواينية. ففي نظرية المعنى يقتزن تناول "كواين" لمفهوم المعنى بالترادف والتحليلية وبالعني كما بيناه.

وخلاصة القول أن المفاهيم التي عالجها كواين إنما تتصل بدعوى خفية مفادها إبراء الفكر من كل فلسفة أولى أو أفكار ذهنية سابقة عن الواقع أو متعالية عليه، وبالتالي تخليص التجريبية المنطقية من وثوقيتها، ومن تأثير النظرية التي تأخذ بوجود ذوات ذهنية تسلت من فلسفات مثالية إلى المنطق.

الفصل الرابع :



دعوى امتناع تحدد المعنى

توطئة:

أفردنا هذا الفصل لمعالجة المعنى بوصفه مثار جدل منذ محاورة كراتيلوس Cratyle وهيرموجين Hermogène التي دارت حول إسناد المعاني للألفاظ، وتعيين الأسماء للأشياء. ولما كان كارناب قد قدم جهودا جبارة في تنسيق مفهوم المعنى، فقد نازعه كواين في منظوره بخصوص تحدد المعنى، ومعلوم أن كارناب يعتبر حجة الوضعيين المناطق في الاشتغال بالمعنى كمحتوى للقضايا التي جعلها تشمل مكونين اثنين: مكون دلالي، ومضمون تجريبي، لكن ادعاء وجود حقيقي للذوات المجردة جعل وضع المعاني قلقا. ونظرا لأهمية دعوى كواين القاضية بامتناع تحدد المعنى التي تلزم عنها مواقف لغوية - أنطولوجية، وتترتب عنها مسائل فلسفية عميقة الغور، فقد ارتأينا أن نستجليها ونفحص علاقتها بمحتوى القضايا في ضوء الموقف الصارم لكواين من المفاهيم المتاخمة للمعنى من قبيل الترادف والتشريح وما إليهما.

1. مفهوم المعنى، "كواين" منازعا "كارناب":

لقد حاول كارناب أن يقدم تحديدا "للمفهوم"، كما أسماه احترازا من استعمال "المعنى"، وذلك بناء على تصور دلالي يقصي اعتبار "المعنى" كذات مجردة. وهكذا حصر مسألة "الذوات المجردة" في مدى مشروعيتها من حيث وضعها الأنطولوجي في حقل الدلائليات. وقد أشار إلى مختلف المواقف المتضاربة بخصوصها واعتبر أن التحليل الدلالي لمعنى بعض العبارات يوضع، في اللغة، للتعين أو للتسمية أو للإحالة على ذوات خارج اللسان. غير أن من بين المعاني ما ليس يحيل على موضوع أو واقعة أو حدث مما يدخل في الأشياء الفيزيقية. فهناك، إذن، المعاني وما تحيل عليه هذه المعاني.

لقد أثارت معضلة الأساس الأنطولوجي للمعاني: أهى ذوات أم مجرد أسماء؟ كثيرا من النقاش، وانيرت لها كثير من الأقلام الراسخة في الدلائليات في علاقتها بالوجود؛ ومن المعلوم أن كثيرا من التجريبيين القدامى منهم¹⁸⁹ والمحدثين قد اعترضوا على وجود المعاني كذوات مبطلين ادعاء وضع أنطولوجي لها، فالقضايا من قبيل:

189. لقد ذهب "ويليام أوكام" William Ockam (ت: 1343) إلى حد ادعى فيه إخضاع الأنطولوجيا لمبدأ التقتير Principle of Parsimony. ومفاد هذا المبدأ أنه "لا ينبغي أن نكثر من الذوات أو الموجودات التي لا ضرورة لها" أو "لا نكثر من الذوات إلا ما كانت تقتضيه الضرورة". «Entia non sunt multiplicanda praeter necessitatem».

(1) "تُعَيِّن كلمة "أحمر" خاصية للأشياء؛

(2) "تُعَيِّن كلمة "لون" خاصية من خاصيات الأشياء؛

(3) "تُعَيِّن كلمة "الإضافة" خاصية للأعداد؛

(4) "تُعَيِّن كلمة "خمسة" عدداً؛

(5) "تُعَيِّن العبارة "المحمدية مدينة صناعية" قضية".

تطرح معضلة الأساس الأنطولوجي للمعاني: أي ذوات أم مجرد أسماء؟ وهي معضلة مزمنة في الفكر الفلسفي من "أفلاطون" إلى يومنا هذا. ويبين "كارناب" أنه رغم الاعتراض على كون المعاني ذواتا مجردة، فإن التجريبيين لم يكفّوا، مع ذلك، عن استعمال هذا الصنف من العبارات إذ لم يحذفوا من قواميسهم كلمات من قبيل "أحمر" و"عدد" و"خاصية" ونحو ذلك. كما أنهم لم يسقطوا عنها ما تحمله من معنى وإن ادعوا أن قولهم بأن تلك الألفاظ تحمل معنى لا يلزم عنه أنها ذوات يحيل عليها المعنى.

وعلى هذا الأساس ميزوا بين الصورتين التاليتين:

(6) "(...) تحيل على أو تُعَيِّن (..)".

(7) "(...) تعني (..)".

ولعل هذا مأخوذ عن تمييز " (فريغه) " بين المعنى والإحالة: ف "نجمة الصباح" و "نجمة المساء" تحيلان على نفس الموضوع الخارجي غير أنهما تعنيان شيئا مختلفا.

يخلص كارناب إلى دعوى التسامح Tolerance التي بلورها في كتابه التركيب المنطقي للغة (1934)¹⁹⁰. وقد لاحظنا أنه استثمر هذه الدعوى كما يتبين في الأقوال التالية د:

"دعنا نقبل بأنه من الممكن أن تكون النزعة الاسمية النقدية صائبة؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإنها ستزودنا بأدلة حسنة (...) وسيكتشف النقد أنه من الممكن بناء منهج دلالي يجنبنا كل إحالة على الذوات المجردة"¹⁹¹.
ويضيف: "إن قبول أو رفض أية صورة من الصور اللسانية المجردة Abstract linguistic forms يكون، تماما، مثل قبول أو رفض أي صورة من الصور

- R. Carnap, 1934, **Logical syntax of language**, orig., Vienna, English 190 translation, London et New York 1937.

حيث يرى أن المنطق لا مكان فيه للأخلاق إذ كل شخص حر في بناء نسقه المنطقي وكل ما يشترط فيه هو التصريح بالأوليات.

- R. Carnap, **Meaning and necessity**, cf Supp, A. « Empericism », Semantics and 191 ontology, p. 221.

اللسانية الأخرى من أية شعبة كائنة ما كانت من العلم، وسيكون أمرا محسوما فيه، في الأخير، بناء على مدى جدواها كأدوات" ¹⁹².

يتضح من القول الأولى أن كارناب يتبنى نزعة اسمية نقدية غير تلك التي تحكمها مرجعية اسمية ثابتة حيث يترك للنقد مجالا للنظر في ما نأخذ به في لغتنا. وأما القول الثانية فإنها تذهب إلى أبعد من ذلك بحيث تدعي إمكانية إلغاء أية صورة لسانية تظهر عدم فعاليتها. ونلمس هنا حضور النزعة الذريعية والأداتية السابق ذكرهما.

وينتهي كارناب إلى النتيجة التالية التي يصوغها في شكل شعار:

"لنكن حذرين في صوغ إثباتاتنا ونقديين في اختيارها؛ ولكن لنكن متسامحين بقبولنا للصور اللسانية" ¹⁹³.

لقد خصص كارناب مقالة أضافها إلى كتابه المعنى والضرورة تحت عنوان "مسلمات المعنى" سعى فيها إلى تطبيق مقاربتة المبنية على منطقاته السابقة. وهكذا تناولت المقالة تحديد طبيعة الصدق القائم على المعنى، ويتعلق الأمر بالتحليلية ¹⁹⁴.

- Ibidem.192

- « Let us be cautious in making assertions and critical in examining them, but 193 tolerant in permitting linguistic forms », op. cit., p. 221.

194 . سوف نتوسع في هذه المسألة في فقرة لاحقة.

لقد ميز (كارناب) بين صنفين من الصدق:

(1) الصدق المنطقي للعبارات، وهو صدق ضروري قائم أساساً على المعنى؛

(2) الصدق التجريبي للعبارات. وهو صدق حادث أو عرضي Contingent متوقف على الوقائع الموجودة في العالم الخارجي، وبالتالي فهو من الناحية الإبستمولوجية بعدي *a priori*.

يصرح كارناب في هذه المقالة أنه لا يشاطر كواين في نزعه "الشكّية" بخصوص حقيقة المعنى، وما إذا كانت العبارة التحليلية قائمة بذاتها مما يسوغ إمكانية التفريق بين العبارات التحليلية والعبارات التركيبية. ولهذا يحصر تناوله للمعنى الذي يستند إليه صدق العبارة التحليلية في الخطة التالية:

"تهدف هذه المقالة إلى تفسير مفهوم التحليلية أي الصدق القائم على المعنى في لغة صورية وداخل نسق دلالي باستعمال ما سأطلق عليه "مسلمات المعنى" ¹⁹⁵.

وقد نبه إلى أن هذه الخطة ليست خطة جديدة، بل هي نتيجة لتأمل الحس المشترك Common-sens، وهي خطة ستكشف، فيما يرى كارناب، أن

- Ibid., p. 222.195

تعريفات بعض المفاهيم الأساسية في المنطق الاستنباطي والاستقرائي
يمكن أن تعاد صياغتها في شكل مسلمات.

وهكذا صرح بأنه يتقاسم هذه الخطة مع معظم الفلاسفة والمناطق
الذين عالجوا المفاهيم بتفسيرات رياضية دقيقة على شاكلة ما قدمه
تارسكي في مقالته الشهيرة "مفهوم الصدق في اللغات الصورية"¹⁹⁶.

ولهذا احترز كارناب من الخوض في "مسلمات المعنى" بالنسبة للغات
الطبيعية؛ وذلك لإيمانه بأن الأمر يتخذ طبيعة مخالفة كلما انتقلنا من
اللغات المنسقة إلى اللغات الطبيعية. ويشهد هذا الموقف على حضور
النقد الذي وجهه (كواين) لمعتقدات النزعة التجريبية.

يشير كارناب إلى اعتراضات كواين، خصوصا في مقالته: "معتقدا النزعة
التجريبية" الواردة في كتابه: من وجهة نظر منطقية، ويستحضر نقد
"مورتن وايت" للتحليلية وعموما للصدق القائم على المعنى¹⁹⁷. ومقالة
(وايت) هذه "التحليل والتركيب، ثنائية مردودة"، هي التي مهدت لموقف
كواين المعارض على إمكانية الفصل بين التحليل والتركيب.

- A. Tarski, "Der Wahrheits begriff in den formaliesierten Sprache" in studia 196
philosophica, I.

- Morton White, « The analytic and the synthetic : An untenable duality » in 197
Sidney Hook (ed.), John Dewey, Reprinted In : L. Linsky, **Semantics and the
philosophy of language**, Urbana 195.

ونظرا لكون كارناب يقول بالفصل بين العبارة التحليلية والعبارة التركيبية، فقد أشاد بأعمال كل من "مارتن ريتشارد" ¹⁹⁸ في مقالة هذا الأخير "حول التحليلية"، ومقالة س. إ. لويس التي تعرضنا لها آنفا حول "جهات المعنى"، مع أن هذه المقالات لم تنته إلى نتائج حاسمة كما بيناه عندما استعرضنا موقف لويس من "جهات المعنى".

ومع ذلك، فقد ظلت إشكالية التفريق بين التحليل والتركيب مسألة مزمنة لتعلقها بجملة من المفاهيم تنتمي إلى نظرية المعنى كالترادف والمعنى التبعية؛ ولكي نقف على موقف كارناب ونظفر ببعض التحديدات التي تحكم تصوره، تعقبنا جملة من المنطلقات النظرية في مقالته "المعنى والترادف في اللغات الطبيعية" ¹⁹⁹.

يقدم كارناب التحديد التالي لنظرية الدلالة:

"تنقسم نظرية العلاقات بين اللغة، سواء أكانت طبيعية أو منسقة من جهة، وما تتعلق به هذه اللغة، من جهة أخرى، إلى قسمين اسميهما: نظرية المفهوم theory of intension ونظرية الماصدق theory of extension. وتتعلق أولاهما بمفاهيم من قبيل المفهوم والتحليلية والترادف وما شاكلها؛ وأما نظرية

- M. Richards, « On « Analytic » in philosophical Studies », 3, 1952.198

- R. Carnap « Meaning and synonymy in natural languages » see **Meaning and necessity**, op. cit.

الماصدق فتتعلق بمفاهيم من قبيل الإحالة والتسمية والماصدق والصدق وما يتصل بها" ²⁰⁰.

إن أول ما يمكن أن نلاحظه هو الاختلاف الحاصل بين كارناب وكواين في تسمية شقّي نظرية الدلالة. وقد انتبه كارناب إلى ذلك وأشار إلى أن اعتماده لمفهومي "المفهوم" و"الماصدق" ينطلق من قاعدة المنهج الدلالي الذي وضع أسسه في كتابه المذكور: المعنى والضرورة؛ وأما تقسيم كواين لنظرية الدلالة إلى "نظرية المعنى" و"نظرية الإحالة" فإنه ينسجم مع اعتراضه على نظرية المفهوم.

ومع أن كارناب استعمل "المفهوم" بدل "المعنى" احترازاً من الوقوع في نزعة ذهنية واعتبره كمصطلح تقني يدل على معنى عبارة أو، بتخصيص أكثر، على المعنى التعييني *designative meaning* لمكوناتها (...) وعلى سبيل المثال، نجد أن مفهوم « blau » (بلاو) في اللغة الألمانية هو خاصية ما يكون أزرق، ويكون محمولان مترادفان إذا وفقط إذا كان لهما نفس المفهوم، وتكون العبارة تحليلية إذا كانت صادقة بفضل معاني الألفاظ الواردة فيها" ²⁰¹.

لا يلتزم كارناب بأي محتوى أنطولوجي للمعنى. فقد فضل أن يستعمل "المفهوم" بدل "المعنى" لكون المعنى في نظره محفوف بالغموض، في حين أن

- Ibid, p. 234.200

- Ibid., p. 243. 201

المفهوم ينطبق على المحتوى المعرفي أو على المحتوى التعييني للمعنى أو علمهما معا. وهو، أي كارناب، حين قابل بين المفهوم والمصدق، فإنما أقام هذا التقابل على أساس التمييز بين الصدق بفضل المعنى والصدق بفضل الوقائع، وكلاهما يتمّ رصده بناء على مُسلّمات المعنى المفهومية أو التصورية والمصادقية. وسوف نعود إلى هذه المسألة عند معالجتنا للاختلاف الذي حصل بين كواين بخصوص التفريق أو عدم التفريق بين العبارة التحليلية والعبارة التركيبية.

هناك مسألة ينبغي أن نقف عندها: هل كان كارناب لا يعير أي اهتمام للجانب السلوكي في اللغة؟ ولهذا السؤال صلة بما سنعالجه من تعارض بين كواين وكارناب.

لم ينازع كارناب في أن السلوكية تقدم تفسيراً علمياً للظاهرة اللغوية، فهي تصف وتفسر السلوك الكلامي غير أنها ما تزال في حاجة إلى مزيد من تقدم وتطور العلوم التي تقوم عليها خصوصاً علم وظائف الأعضاء (الفيزيولوجيا) التي تدرس جسم الإنسان وتبحث خبايا وأسرار جهازه العصبي المركزي Central nervous system.

لقد وظف كارناب التصور السلوكي في تناوله لمفهوم "المحمول"، غير أنه وجد أن الشروط العلمية غير مكتملة فلنتابع معه هذه المحاولة²⁰²:

"لقد تم تخصيص تصور المفهوم، هنا، بالنسبة للمحمولات الشيئية thing predicates لا غير، وأما تخصيص الجمل Sentences من الأصناف الأخرى بما في ذلك العبارات Expressions، فيمكن إعطاؤه بنفس الكيفية. ويمكن أن نحدد التصورات الأخرى لنظرية المفهوم إذن، بنفس الطريقة المعهودة؛ وسنعالج، فقط، تلك التي تتعلق بـ "الترادف" و "التحليلية" بصورة بسيطة دون أن نتوخى تمام الدقة.

تكون عبارتان مترادفتان في اللغة ل بالنسبة لـ س في الزمن ز إذا كان لهما نفس المفهوم في ل بالنسبة لـ س في ز.

وتكون العبارة تحليلية في ل بالنسبة لـ س في ز إذا كان مفهومها (أو رتبتهما أو شرطها الصدقي) يشمل، في ل بالنسبة لـ س في ز، كل الحالات الممكنة"²⁰³.

يظهر أن المنطق يسعى، هنا، إلى ضبط وتحصيل السلوك. غير أن ما نلاحظه عند كارناب هو العمل على تنسيق السلوك ونقله إلى صيغ منطقية:

- R. Carnap « Meaning and synonymy in natural language » in Meaning and necessity, op. cit., p. 233 ff.

- Ibid., p. 243.203

"لقد وسمنا، فيما سبق، اللغة ل بكونها نسقا من الاستعدادات لاستعمال العبارات. وسنعمل، الآن، على إبداء جملة من الملاحظات بخصوص المنهجية المتعلقة بمفاهيم الاستعدادات Methodology of dispositional Concepts، وسيتيح لنا هذا الأمر فهما واضحا لطبيعة المفاهيم اللسانية عموما وكذا تصور المفهوم Concept of intension على الخصوص:

لتكن ع هي استعداد س للاستجابة للشرط ش بواسطة الاستجابة المخصصة ج. ثمة، من الناحية المبدئية، مع أن هذا لا يتوفر عمليا بصفة دائمة، طريقتان لإثبات ما إذا كان الشيء أو الشخص المعطى س يتوفر على الاستعداد ع (في زمن معين ز): يمكن أن نسمي الأول منهجا سلوكيا (بالمعنى الواسع). فهو يقتضي توفير الشرط ش ثم تحديد ما إذا كانت الاستجابة ج قد حصلت أم لا. ويمكن أن نسمي الطريقة الثانية منهج تحليل البنية Method of structure analysis. وهو منهج يقتضي بحث حالة أو وضعية س (في ز) بتفصيل كاف بحيث يكون من الممكن أن نشق من الوصف المحصل عليه لحالته بواسطة قوانين عامة متصلة بعمليتنا (الفيزياء والفيزيولوجيا و... إلخ) الاستجابات التي سيقوم بها س في كل ظرف من الظروف المخصصة في وسطه. وسيكون من الممكن، بالتالي، أن نتنبأ، على الخصوص، بما إذا كان س سيستجيب تحت الشرط ش

الاستجابة ج أم لا، وإذا كان الأمر كذلك فسنحكم بأنه يتوفر على الاستعداد ع وإذا كان العكس قضينا بخلاف ذلك" ²⁰⁴.

يرى كارناب أن المنهج السلوكي غير كاف واعتراضه شبيهه باعتراض "تشومسكي" الذي يقول بفقر المثير؛ فهو، أي كارناب، يعتبر أن تطوير المنهج الثاني أولى من الأخذ بالمنهج السلوكي؛ لأن منهج تحليل البنية وتنسيقها يمكن أن نشق منه "قوانين عامة" بينما يتوقف المنهج السلوكي على قطع أشواط كبيرة في فهم الجهاز العصبي المركزي لجسم الإنسان.

وهو في هذا محقّ لأن المعرفيات التي عرفت تطورا كبيرا في أواخر القرن الماضي دلت على إمكانية توفير ذكاء اصطناعي يستوعب ما يعتمل في السلوك الكلامي، وسيوضح لنا ذلك في دعوى طبيعانية المعرفة عند كواين في الجزء الأخير من هذا العمل حيث سيقضي كواين بأن علم الأعصاب جدير بحل معضلات نظرية المعرفة، وسيحل كثيرا من ألغاز اللسانيات.

وكبديل للاضطراب الذي تشهده مسألة الدلائيات، وسعيا لرفع الجدل الفلسفي القديم، اعتمد كارناب عدة منطقية استلهمها من أعمال تارسكي منطلقا من نزعة اسمية نقدية حيث وضع مسلمات للمعنى اعتبرها بمثابة بناء لنسق ن يمثل اللغة الدلالية "يتضمن ن الروابط، والمتغيرات الشخصية مع الأسوار، والثوابت الشخصية، كرموز وصفية، نحو ("ب"

و"ج" و... إلخ) والمحمولات الوصفية الأولية Primitive descriptive predicates (ومن بينها "ك" و"ل" و"عا" ²⁰⁵. إنها لغة صورية محكمة تصف اللغة وتحدد الدلالة تحديدا منطقيًا. فمثلا العبارتان:

(1) "زيد عازب أو زيد غير عازب".

(2) زيد عازب تدل على أن زيد غير متزوج.

فبعد أن ننقل هاتين العبارتين إلى الصورتين التاليتين:

(1) "ك (س) $\vee$ ك (س)".

(2) "ك (س) $\sim$ ل (س)" [ل = محمول يدل على متزوج].

نحتاج إلى وضع قواعد الصدق أو التحقق في لغة صورية. هكذا يشرع كارناب في تحديد الصدق المنطقي للعبارة عاء في اللغة ل باعتبار التعريف شارحا للصدق المنطقي (بالمعنى الضيق). وهكذا يستعمل المعرفات للصيغ من (4 أ) إلى (4 د). وهي تتعلق كلها بالمثل (1):

(4) أ تعتبر الصيغة المنطقية المفتوحة المطابقة لـ ك ع [أي، "ل

(س) $\vee$ ل (س)] صحيحة صحة كلية (أي متحققة بكل القيم للمتغيرات

المطلقة)؛ (ومن المفروض، هنا، أن ل تتضمن المتغيرات المطابقة لكل

الثوابت الوصفية Descriptive constants).

- R. Carnap, « Meaning Postulates » in **Meaning and necessity**, op. cit., p. 223.205

(4 ب) تكون العبارة المنطقية الكلية المطابقة لك ء [أي "Λ س" ل (س) ~ V ل (س)] صادقة. (وهنا من المفروض أن تتوفر ل على متغيرات مرتبطة بالأسوار المطابقة لكل الثوابت الوصفية).

(4 ج) تكون ك ء متحققة بواسطة كل قيم الثوابت الوصفية الواقعة (...).

(4 د) تحمل ك ء في كل الأحوال الوصفية ج holds in all states descriptions (والأحوال الوصفية هي علاقة وصلية تشمل، بالنسبة لأيّة عبارة ذرية، إما هي أو نفيها وليس هما معا، ولا غيرها من العبارات. ويقتضي الأمر هنا أن تتضمن ل ثوابت بالنسبة لكل القيم لمتغيراتها، وعلى الخصوص، الثوابت الشخصية لكل الأشخاص من مجال القول)²⁰⁶.

يظهر أن غاية كارناب تكمن في البحث، ما أمكن ذلك، عن أدوات ناجعة للخروج من المعضلة الفلسفية المقرونة بالخلفية الأنطولوجية وكذا الميتافيزيقية مبررا ذلك بنزعة تنحو نحو الذريعية. فهو يعتبر أن إقصاء الذوات المجردة أو الاحتفاظ بها يكون دائما حسب مدى نجاعتها كأدوات في لمجاورة المشكلات القائمة.

وقد اعترض كواين بشدة على هذه النزعة حيث لم يؤيد ما ذهب إليه كارناب من كون الأخذ باللغة المنسّقة لا يلزم عنه الدخول في مذهب

- Ibid., p. 223 – 224. 206

ميتافيزيقي يتعلق بواقعية الذوات المجردة فيما يشبه واقعية أفلاطونية. فقد عبّر في مقالته "حول الوجود"²⁰⁷ عن رفضه الصريح للتفريق بين المنطق والصدق الواقعي، وبين مسائل المعنى ومسائل الواقع. فقد صنّف، في هذه المقالة التصور المنطقي الرمزي للرياضيات عند كارناب الذي أخذه عن كل من (فريغه) و(راسل)، في نمط النزعة الأفلاطونية الواقعية²⁰⁸.

2. امتناع تحدد المعنى

يمكن أن نلخص دعوى امتناع تحدد المعنى عند كواين كما يلي: هب أن هناك شخصين يتوفران على نفس الاستعداد للسلوك الكلامي في كل الظروف الإثارية المحسوسة الممكنة، وهب أنهما اكتسبا نفس المعطيات من معارف ومعاني وأفكارٍ صارا يعبران عنها بواسطة اللغة. يكمن امتناع تحدد المعنى في أن أحدهما لو نطق بعبارته ولم يفهمها شخص ثالث فإن الشخص الثاني لا يمكنه أن يبلغ تماما، وبأمانة مطلقة بألفاظ مرادفة لألفاظ عبارة صاحبه، في نفس اللغة، المضمون الذي يقصده هذا الأخير. وقد يعترض معترض بأن من شأن هذه الدعوى أن تفضي إلى امتناع التواصل. الاعتراض مردود لأنه: يمكن لشخصين أن يكونا متماثلين تماما في كل استعدادتهما للقيام بسلوك كلامي في مختلف الظروف الإثارية

- Quine, « On what there is » in **From a logical point of view**, Cambridge, Mass 207 1953.

- Carnap, op. cit., p. 215, note 5.208

الممكنة؛ ومع ذلك يمكن أن تكون المعاني أو الأفكار المعبر عنها بأقوالهما المتماثلة من حيث التلفظ مختلفة اختلافا جذريا في حالات كثيرة بالنسبة لهما. فالتواصل حاصل، على كل حال، ولكن ينبغي أن يحدد هذا التواصل بالنسبة للظروف الإثارية التي تتحكم في السلوك الكلامي، وليس بالنسبة لفرضية المعاني القائمة في الأذهان.

لقد احترز كواين من الوقوع فيما حذر منه. ويتعلق الأمر بإبطاله لوجود المعنى كذات مجردة. واجتنابا للزعة الذهنية التي تضاد نزعته السلوكية أو التجريبية الجديدة، جاء بمفهوم "المعنى الإثاري" أو المعنى المثير stimulus meaning كاستجابة موضوعية لنزعته تلك. فقد رد "الوقائع الذهنية" Mental events إلى "السلوك القابل للملاحظة الاجتماعية كسائر الموضوعات الفيزيقية"²⁰⁹، بل ذهب إلى تقرير أنه إن وجدت وقائع ذهنية، فإنما يمكن أن نردها إلى ما اعتبره من قبيل الفرضيات كأن نفترض وجود مفاهيم من قبيل الجزئ أو الأيون... إلخ.

لا وجود للمعنى في استقلال عن موضوعه الخارجي. وكل زعم بوجود المعنى في الأذهان مستقلا عن المحيط الخارجي باطلان هذا الادعاء حكماً يحتاج إلى أدلة كافية. فلا يكفي أن نقول، على سبيل المثال، أن اللون "البرتقالي" أو "البنّي" يوجد كصورة ذهنية. ذلك أن الأصل في مفهوم "برتقالي" أو "بنّي" قد انتزع من الحس واستعير من موضوعات كـ "البرتقالة" و"البن" ولكن

- W. V. Quine (1960), *Word and object*, the M.I.T. Press, Cambridge, p. 264.209

هل كل المفاهيم أو المعاني تجد ما يقابلها، الواحد بالواحد، من الموضوعات الممتدة في الأعيان؟

إننا لنكون، عند اكتسابنا للغة في مرحلة الطفولة، أشد ارتباطا بالعالم الخارجي حتى أن لغتنا تعلق مباشرة بمعطيات الواقع، وبمجرد أن نكتسب اللغة نبعد رويدا عن العالم الخارجي لتغدو الأنطولوجيا أكثر اقترانا بلغتنا.

لم يكتف كواين بأن ادعى التباس المعنى، بل ذهب إلى حد القول بامتناع تحدده. فماذا يعني امتناع تحدد المعنى؟

يعود أصل دعوى امتناع تحدد المعنى عند كواين إلى نزعتة السلوكية التي بينها أعلاه، فهو يعتبر أن المعنى يقترن بمثير خارجي بحيث يعتبر هذه المثير "لا كحدث أو واقعة جزئية موقوتة، بل كواقعة عامة أو كصورة لواقعة مكرورة"²¹⁰. وهذا يدل على أن المعنى لا يستقر في الأذهان كما يفيد أن المثير الخارجي هو المحدد لهذا المعنى. ولكن هل هناك ترادف بين المثيرات؟

يجيب كواين بالنفي بناء على أن المثير يكون بمثابة "واقعة عامة" و"مكرورة". وذلك لأن القول بالترادف يفضي إلى إثبات وتقدير وجود المعنى، والحال أنه لا ترادف بين المثيرات إذ لا يكون علينا أن نعتبر أن

- Ibid., p. 34.210

"مثيرين متماثلتين قد وقعا، بل أن نفس المثير قد وقع أو تكرر من جديد"²¹¹.

لقد دون كارناب جملة من الملاحظات بخصوص الدلالات التجريبية Empirical semantics في كتابه المعنى والضرورة، غير أن كواين لم يعتبرها مطابقة تماما لما ذهب إليه: "هناك بين مفهوم المعنى الإثاري وملاحظات كارناب بخصوص الدلالات التجريبية ترابطات واختلافات غير جديرة بالاعتبار". وهذا راجع إلى أن كواين ينظر إلى المعاني لا كمفاهيم بل كعبارات تقترن أيما اقتران بمعطيات الواقع المحكومة بما يترجمه السلوك الكلامي عنها. ومن هنا امتناع التحدد لأننا لا نستطيع أن نزعم بأن السلوك الكلامي يترجم المثيرات إلى معانٍ إثارية.

فلنتابع مع كواين مسألة امتناع تحدد المعنى والحجج التي ساقها ليسند بها دعواه هاته: إن منتهى ما يبلغه حدسنا، فيما يرى كواين، يكمن في أن نجد للمعنى الموجب لعبارة ما، ولتكن، مثلا، "غافاغي" التي يتلفظ بها شخص من قبيلة بدائية لا نعرف أي شيء عن لغتها، العبارة /أرنب/²¹²

- Ibidem.211

212. نعني بالعبارة أو الكلمة الواقعة بين مستقيمين /.../ القيمة المطلقة غير المقيدة بإحالة محددة.

بكيفية تجعلها تطابق، تماما، المثيرات التي تجعلنا نقرر ذلك عند جوابنا على السؤال: "غافاغاي؟" فنقول إنه يعني بتلفظه /أرنب/ ²¹³.

فعلى ضوء فهمنا الخالص لـ "غافاغاي"، ودونما عون مستمد من معنى إثاري موجب Affirmative stimulus meaning أي، حسب كواين دائما، دون الاستعانة بالملاحظة الحالية للأرنب الموجودة على مقربة من المصيدة، ودون إجراء أي حوار مع لغة الشخص البدائي الغريب، ودون الاستعانة بمعرفة طبيعة وعوائد حيل الأرنب، فمن هذه الجهة، هناك صعوبة في إقصاء المساعدة الثانية [أي لغة الغريب]. ويعود هذا الوضع، في نظر كواين، إلى صعوبة إعطاء معنى تجريبييا عاما للتمييز بينما يتعلق، من جهة، بمتكلم أصلي للغة ما يعرف كيف يطبق ما اكتسبه على موضوعات تحضر إزاءه؛ وما يتعلق، من جهة أخرى، باكتساب خبرات إضافية تتعلق بنفس الموضوعات.

صحيح أنه بإمكان اللساني المترجم أن ينقل "غافاغاي" بعد إجراء غربة للمعاني المصاحبة لتحديد العبارة داخل اللغة الأصلية للقوم الذين ينقل لغتهم إلى لغته، وصحيح أنه قد يستعين بكل معلومة إضافية أو ملاحظة طارئة تخص اقتران "غافاغاي"، المنطوق بها من قبل أحد الأهالي، وما يخص /الأرنب/ المتواجدة أو الأزمنة التي يتعرف فيها عليها كموضوعات

²¹³ يستمد كواين هذا الموقف من نظريته القاضية بامتناع تحدد الترجمة التي أفردنا لها مبحثا في الجزء الأخير من هذا العمل، وستبسط فيما القول في سياق تعالقيها بفلسفة العلم.

/غافاغاي/؛ وصحيح أن المترجم قد يعمد إلى أفراد يستفسرهم من بين الأهالي... إلخ. لكن ما يظل ثابتا هو امتناع تحدد المعنى.

إن المعنى المثير باعتباره عنصرا مشتركا لا يسلم من تدخل جملة من الاعتبارات أبرزها ما يتزود به كل واحد، من الأهالي، من معلومات إضافية قد يتقاسمها مع أبناء عشيرته اجتماعيا، وقد يتقاسمها مع بعضهم وقد تخصه في علاقته كذات عارفة بالموضوع.

وهكذا، يخلص كواين إلى النتيجة التالية:

"لا وجود لمعيار بديهي يحصل به ضبط معنى ثابت لـ "غافاغاي" يكون بمثابة معنى خالص مهما تغيرت خصائص المعنى، وبالتالي يمتنع علينا أن نحدد، بكيفية معزولة، ما نتكلم عنه وما نقوله بخصوص ما نتكلم عنه"²¹⁴.

إنها دعوى امتناع تحدد المعنى كنتيجة لدعوى امتناع الترجمة حيث يصل كواين إلى القناعة التالية وهي أنه لا وجود لوقائع مادية
There is no matter of fact
تمكننا من التمييز بين كلامنا وموضوعاته أي أن كلامنا لا يقابل الواقع لأننا نعجز، حين نروم ضبط معاني ما نقوله وعلاقتها بالموضوعات الواقعية، عن إثبات علاقة مطابقة تامة نظرا لامتناع وجود وقائع تتوسط لغتنا والعالم الخارجي يمكن أن نحتكم إليها.

عندما نتكلم عن موضوع ما فإننا ننطق بعبارات إما أن تكون عبارة عن قضايا أو عن "أفعال قلوب" attitudes propositionnelles فما هو وضع المعنى هنا؟ هل نعتبر القضايا معانٍ؟ وهل تعد القضايا من الصنف الذي يحتوي على أفعال القلوب أو الاعتقاد قضايا تحمل معانٍ يمكن البت في وجودها المستقل عن الوقائع القابلة للملاحظة؟

3. المعاني والقضايا:

يرفض كواين، كما أسلفنا، وجود المعنى كذات مجردة، ولعل هذا الموقف هو الذي سيحدو به إلى القول بدعوي امتناع تحدد المعنى وبامتناع تحدد الترجمة؛ غير أننا عندما نحدد مفهوم القضية نجد أنه يشمل، على نحو معين، المعنى ويكمن الجزء الأكبر، حسب كواين، في تعلم "تفاحة" أو "نهر" في معرفة ما ينتقل منها إلى ذهن الذات العارفة لكي تتعرف على "تفاحة" أو "نهر" كلما عرضا عليها، كما تتعرف على أغيارهما. ويعتبر كواين أنه قد أعطي معنى قاصرا للـ"قضية" قبل أن نتوفر، في نظره، على معيار يمكننا من معرفة متى نتكلم، مثلا، عن ترادف أو تماثل معاني القضايا.

ولما كانت "القضية" اعتبارية، بمعنى أننا نعبر منها إلى تحصيل معنى العبارة، فإن المشكل يتحدد في أنها ليست، أي القضية، موضوعا ماديا "كالتفاحة" أو "النهر" مثلا يمكن أن نعرضهما على الذات العارفة كموضوعين فتتعرف عليهما الذات لتُقرّ بوجودهما أو بعدم وجودهما. إن

القضية هي معنى العبارة أو، حسب "فريغه" فكرة العبارة. فهل تعتبر "هذه الفكرة" أو "المعنى" ذاتا مجردة؟

إننا، يضيف كواين، عندما نكون بإزاء مسألة مترادف القضايا أو تماثل معانيها، نطرح تساؤلا عن الكيفية التي تحصل بها معرفة من هذا القبيل: هب أن العبارتين الأبديتين *Eternal sentences* "با" و"جا" عبارتان تحملان نفس المعنى، فما هو الشيء الذي يجعلنا ملزمين للقول بأن /جا/ هي نفس العبارة /با/ وليس شيئا آخر؟

لابد من الإقرار بوجود معنى ثم بوجود تماثل أو مترادف بين العبارتين السالفتين. وهذا سيقود، في نظر كواين، إلى القول بوجود "المعنى" كذات مستقلة. غير أن هناك جوابا مألوفا مفاده أن العبارات تكون، في هذه الحالة مترادفة، والمترادف يقوم على "تماثل المعنى" *Sameness of meaning*. إن من يقدم جوابا من هذا القبيل يصادر على أن القضية هي معنى العبارة: "غير أنه ينبغي أن يقال بأن القضايا معانٍ للعبارات الأبدية"، وبالتالي فإنه "يمكن لشخص ما أن يتذكر أن معنى عبارة ما (إذا لزمنا أن نقبل بوجود أشياء من قبيل "المعاني") لا ينبغي أن يلتبس بالموضوع من حيث وجوده، ومن حيث الكيفية التي تعينه بها العبارة. إن العبارات لا تعين أي شيء على الإطلاق (لنترك مختلف المواضعات من قبيل ما وضعه فريغه جانبا)؛ وإن

كانت بعض الألفاظ في تلك العبارات تعيّن، فليست العبارات، بكل بساطة، حدودا شخصية²¹⁵.

إن الحاجة إلى افتراض وجود القضايا إنما تعود، حسب كواين، إلى ما تقضيه الترجمة من وضع لثوابت تتقاسمها العبارات الأجنبية مع ترجماتها؛ كما تدعو الحاجة إليها، أيضا، في التحليل الفلسفي، أو التشارح Paraphrase: أي ما تتقاسمه الموضوعات "بمحلّلاتها" و"محلّلاتها" analysanda and analysantia. لقد احتيج إليها لتكون بمثابة مطيئة للصدق، وبمثابة موضوعات لأفعال القلوب". وقد كانت الحاجة تدعو، في الفلسفة، إلى الصياغة القانونية بواسطة الكتابة المنطقية الرمزية التي نستند فيها إلى النظرية المنطقية، ونتغيا من وراءها تحصيل البساطة. ذلك أن "البساطة والوضوح اللذين تتحلّى بهما النظرية المنطقية التي تساهم فيها الكتابة المنطقية المقننة Canonical logical notation لا تكون مجرد قواعد أو خوارزميات حسابية أو قوالب صورية algorithmic فحسب بل تكون، أيضا تصويرية"²¹⁶.

لقد ذهب "نيلسن غودمن" في مقالته "حول تماثل المعنى"²¹⁷، وهي مقالة نشرها في مجلة "أناليسيس" (1949)، إلى نفس ما ذهب إليه كواين في القول

- W.V.O. Quine, *Word and object*, op. cit., p. 201.215

- Ibid., p. 161.216

- N. Goodman, « On Likeness of meaning », In Linsky, *semantics and the philosophy of language*, op. cit., p. 65 ff.

بكون مسألة المعنى تطرح عدة صعوبات في التحديد. ويظهر ذلك جليا عند معالجة الترادف. فقد اهتم "غودمن" شأنه شأن ماتس Mats في مقالة أولى معنونة "بهوية المعنى" Identity of meaning حيث تساءل بخصوص الظروف التي يكون فيها لمحمولين أو لاسمين في اللغة الطبيعية نفس المعنى. وهكذا برهن على وجهة نظره القاضية بأن المعيار المكافئ إنما ينبغي أن نلمسه في تماثل ما صدق الحدود Identity of extensions of the terms مبرزا أن حدين أو اسمين أو محمولين يكون لهما نفس الماصدق، إذا وفقط إذا، كانا ينطبقان على نفس الموضوع.

ومن البين أن تماثل الماصدق شرط ضروري للترادف. فهناك حالات كثيرة يظهر فيها أن هذا المعيار غير كاف؛ فهناك أسماء تدل على أشياء معدومة وبالتالي ما صدقها معدوم نحو "العنقاء" و"الغول" و"الجبل الذهبي" و"يغاس" ومع ذلك فلها معان مختلفة ومتباينة. ويمكن أن نذكر مثال "فريغه" الشهير الذي يبين أن لـ "نجمة الصباح" و"نجمة المساء" نفس الماصدق (= "فينوس") ومع ذلك فلهما معنيين مختلفين.

واضح، إذن، أن معيار التماثل الماصدقي في هذه الصور البسيطة مردود. ومع ذلك، فإن "غودمن" يحتج مقدما صيغة أكثر تعقيدا لمعياره حيث توصل إلى أنه لا وجود لكلمتين أو لفظتين مختلفتين يكون لهما نفس المعنى. وهذا المعيار يدل على امتناع الترادف بكيفية ضمنية. لكن "غودمن" سيعترف، بخلاف كواين بوجود المعنى والترادف.

لقد أصرَّ "غودمن" على وجود المعنى وإن كان لا يعترف، مع كواين، كما أسلفنا في الفصل الأول، بوجود ذوات مجردة، فقد انطلق من التساؤل التالي: "ما هي الظروف التي يكون فيها لاسمين أو محمولين من لغة طبيعية نفس المعنى؟ ليصل إلى المصادرة التالية: هناك إجابات كثيرة ومتنوعة على هذا السؤال، والملاحظة العامة تكمن في كون هذه الإجابات تظل غير كافية.

إذا راجعنا تاريخ الفلسفة فسنجد أن أسبق الإجابات كان قد تقدم بها الفلاسفة الإغريق تتمثل في القول بأنه يكون لمحمولين أو اسمين نفس المعنى إذا وفقط إذا كانا يدلان على نفس الجوهر الحقيقي real essence أو الماهية الحقيقية أو الفكرة الأفلاطونية.

وقد استدرك "غودمن" على هذا الأمر معتبرا أن هذا التحديد لا يُسعفنا في ضبط كيفية تعرّفنا على ما إذا كان حدان أو اسمان يتواطآن في دلّالتهما على نفس الحقيقة أو الفكرة الأفلاطونية: "هناك تحديد آخر مفاده أن حدين ما يكون لهما نفس المعنى إذا كانا يوضعان للدلالة على فكرة ذهنية أو صورة [ذهنية]؛ أو يكونان، بعبارة أخرى، محمولين مختلفين في المعنى إذا كنا نتوفر على صورة ذهنية يحققها أحدهما ولا يحققها الآخر. والحال، فإننا قد نجد أن حدين لا يكون لهما نفس المعنى غير أنهما يدلان على شيء

أو موضوع واحد بعينه. فقد بين "فريغه" أن "نجمة الصباح" و"نجمة المساء" تختلفان في المعنى إلا أنهما تحيلان على نفس المسمى²¹⁸.

يبقى التحديد الصوري للتماثل في المعنى غير كاف؛ فلو افترضنا جدلاً أننا أخذنا بمعيار الصورة الذهنية، فسنجد أن "الدائرة المربعة" و"المربع الدائري" لا صورة ذهنية لهما، وبالتالي لا يحيلان على موضوع معين؛ ومع ذلك نفهم منهما معنى ما! وإذا أخذنا بمعيار الماصدق فهما مترادفان لأنهما يسميان نفس الموضوع المنعدم!

ولهذا فقد دقق "غودمن" في تحديد الترادف أو تماثل المعنى: "نقول إن محمولين يتوفران على نفس المعنى إذا وفقط إذا لم يوجد أي شيء ممكن الوجود بحيث يحقق أحدهما ولا يحقق الآخر"²¹⁹. لا يزيد التحقق الأمر إلا تعقيداً لأن المثل السابق حول "الدائرة المربعة" لا يقدم لنا معياراً نعاير به إمكان التحقق، ومع ذلك فإننا نفهم "معنى" ما من العبارة.

"لقد تمّ الأخذ بوجود مثل هذه الذوات المجردة لكي تتأتى لدعاة وجود القضايا وما شاكلها من المفاهيم نُصرة مفهومي المعنى والترادف بغية القول بأن جميع العقول تحمل المعاني في الأذهان. إنها حجة لصالح النزعة الذهنية. غير أن كواين يعتبرها حجة واهية: "فمن بين الحجج التي تقوم

- Ibid., p. 67. 218

- Ibid., p. 68. 219

على الاستنتاج الباطل ما تم التدليل عليه من كوننا يلزمنا، لكي نتكلم عن عبارة باعتبارها فارغة من المعنى، أو باعتبارها ذات معنى، أن نقر، بالضرورة، بوجود "معنى" لهذه العبارة بحيث يكون، هذا المعنى، مماثلاً أو مخالفاً لمعنى تتوفر عليه عبارة أخرى²²⁰.

إذا كان الترادف يقتضي وجود المعنى فهل يمكن أن نحدده؟

4. امتناع تحدد الترادف

في هذا السياق، يستحضر كواين اعتراض كل من غرايس Grice وستراوسن على ما جاء في انتقاده (أي كواين) للتحليلية في مقالتهما "دفاعاً عن المعتقد"²²¹ حيث جاء في هذه المقالة أنهما "يرغبان، فقط، في إثبات أنه كلما أردنا أن نهجر مفهوم الترادف معتبرين أنه خال من المعنى، كلما كنا ملزمين بهجر مفهوم معنى العبارة (أو العبارة باعتبارها ذات معنى)".

ويذكر راينن Rynin²²² في مقالته "معتقد النزعة الذريعية المنطقية" كواين الذي اعتقد أن الدفاع عن مفهوم "معرفة المعنى" Knowing the meaning هو الدفاع عن "المعنى". وكذلك الأمر بالنسبة لكسيناكس في مقالته "منطق

- Ibidem.220

- H.L. Grice et P.F. Strawson « In defense of dogma » Philosophical Review 65 221 (1956), pp. 141 – 158.

- Rynin, 1956, « The dogma of logical pragmatism », **Mind** 65, pp. 379-391.222

أسماء العلم": "حيث نجده، يصرح "كواين"، انطلاقاً من ملاحظتي، أننا لا نعطي معنى لـ س إلا بإعطاء مرادف لـ س. ومن هنا يستنبط "كسيناكس" أن "معنى س هو ما يرادف س" ²²³.

ويعترض "كواين" على ما سبق بكون التصورات التي أعطيت للمعنى مستمدة من الاستعمال العادي لـ "يعني" باعتبارها اختصاراً لـ "يعني نفس ما يعنيه كذا...". وهي تصورات تنقلنا إلى القول بوجود المعنى والترادف كذاتين مستقلتين. ويعتمد كواين إلى التهمك بعبارة مجازية ساخرة للردّ على هؤلاء قائلًا: "ليس الصغير في الظلام منهجا للفلسفة الحقيقية" ²²⁴.

لقد لزمّت دعوى "كواين" القاضية بامتناع الترادف عن دعواه السابقة القائلة بامتناع تحدد المعنى ووجوده كذات مستقلة. وسوف نلاحظ أن معالجته لعلاقة الترادف بالتشريح وبالقضايا والمفاهيم والترجمة لها أثر كبير على طروحاته الأخرى التي سنتوسع فيها في الفصول المقبلة.

لقد وضع "بنسن ماتس" ²²⁵ خطة أخرى لمعالجة موضوع "الترادف" منطلقاً من أعمال الألمان المناطقة. فهو يعتبر أن الترادف يقتضي وجود المعنى ويفترضه بالضرورة، بحيث يرد المعنى بقوة في تعريفنا للترادف:

- Ibid., p. 206 – 207. ²²³

- MATES (Benson) 19, in Linsky (ed) **Semantics in natural languages**, op. cit., 224 p. 111 ff.

- Ibid., p. 112. ²²⁵

تكون عبارتان مترادفتين إذا وفقط إذا كان لهما نفس المعنى. فـ "نفس المعنى" يدل على التكافؤ أو التطابق الدلالي. وهو عند البعض ماصدقي، وعند البعض مفهومي أو ذهني. ومهما يكن من أمر، فقد اعتبر "ماتس" أنه ثمة، من بين المفاهيم الأخرى، عدا المعنى، مفاهيم مثل "اللغة" و"التأويل" و"الترجمة" يقتضي تحديدها معالجة مسألة الترادف.

ومن الملاحظ أن "ماتس" ما يزال يصادر على وجود المعنى، فحتى عندما ينتقل إلى مفهوم "الترجمة" نجده يطرح مشكلا بخصوص المعنى والترادف. "يكون مضمون الخطاب با ترجمة لمضمون خطابٍ آخر جا إذا، وفقط إذا، كان هناك تطابق بين الأجزاء الدالة من با والأجزاء الدالة من جا بحيث تكون الأجزاء المتطابقة مترادفة"²²⁶.

فالمفاهيم المتعلقة بالترادف يستدعي بعضها البعض: "ويظهر أن مفهوم الترادف متضمن أيضا، في المفاهيم المستعصية للقضايا التحليلية والتركيبية في التعريفات الحقيقية Real definitions وفي التحليل؛ وبالجمله في الجهاز المفاهيمي للفلاسفة.

ولهذا يظل هناك شكٌ يحفُّ بهذا المفهوم ذي الأهمية الفلسفية المعتبرة رغم كونه مفهوما فضفاضاً. ويبقى التعريف الجيد لهذا المفهوم مطلباً عظيماً²²⁷.

يتبين لنا أن "ماتس" يعترف بعدم توفره على تعريف مقنع للترادف، وإن ظل حريصاً على "الحصول على تعريف مقبول للترادف" وهو مطلب لكل لغة تتوفر على بنية محددة تشبهه، على نحو ما، اللغة الطبيعية²²⁸.

يظهر أن النتيجة التي خلص إليها "ماتس" مقبولة إلى حدٍّ بعيد:

"من الطبيعي، يقول ماتس، أن نعتبر أن ترادف حدين يكون تابعا للغة التي يقع فيها هذان الحدان" وهي نتيجة تعانق، إلى حد كبير، ما ذهب إليه كارناب في تحديد الصدق داخل اللغة بصوغ القواعد الصورية للمعنى والترادف والتحليلية وغيرها من المفاهيم²²⁹.

وبخلاف ذلك، اعتمد "كواين" في مقالته²³⁰ "ملاحظات حول الوجود والضرورة" خطة أخرى غير تبني القواعد الصورية للغة والأخذ بمسلمات

- Ibid., p. 119.227

- Ibidem.228

229. إن موقف "كواين" من الصّورنة، واضح فهو يعتبرها أداة لتدقيق لغة العلم وما اعترضه على مفاهيم من قبل التحليلية والترادف وما إلها إلا لأن تحديدهما يطرح عدة مشاكل.

- Quine, 1943 « Note on existence and necessity » In *Journal of philosophy* XL, 230 pp. 113 – 127.

المعنى والترادف وما شاكلها. وقد أدرك "ماتس" أهمية المقالة واستوعب بعدها الذي يبطل حصول الترادف، ويهدم ثنائية التحليل والتركيب التي قامت على التسليم بوجود المعنى. فقد ناقش كواين في مقالته تلك، يصرح "ماتس": "مشكلات ذات ارتباط قوي بتلك المشكلات التي عالجنها"، "ولا أحد يمكن أن ينكر فائدتها. ومع ذلك، يبدو لي أن اختياره للمصطلحات يمكن أن يقودنا إلى افتراض أن ما هو أساسي في مسألة الترادف هو، بدل كل ذلك، التعيين" Designation .

5. الترادف والتشريح paraphrase

حين نسعى إلى إقامة نظرية منطقية تستوعب العبارات في صورها القانونية المناسبة، نكون إزاء مهمة ينقسم فيها عملنا إلى قسمين:

(أ) في القسم الأول، نقوم بعملية الاستنباط النظري؛

(ب) في القسم الثاني، نعمل أو نجري تشارحا للغة الطبيعية داخل هذه النظرية.

نحو: هناك شخص ما يعمل أستاذا بجامعة القرويين.

التي تغدو:

$$\forall s (K(s) \supset \Lambda L(s))$$

فالصورة المنطقية بسورها الوجودي وبرابطها الوصلي تنتهي إلى النظرية المنطقية، بينما تنتهي مربوطاتها من أحرف محمولية ومتغيرات وثوابت

شخصية إلى العبارة الأصلية المترجمة أو المنقولة إلى لغة سورية. والآن، هل ترادف العبارة الأخيرة العبارة الأولى أم تشرحها؟

يلاحظ كواين أن المهمة (ب) المتعلقة بإجراء التشارح مهمة أقل صعوبة من المهمة (أ) غير أنها قد تطرح صعوبة لمن لا يكون معتادا على الكتابة المقننة منطقيا فالعبارة :

"كل من يجري فإنه يركض مسرعا".

تبدو بديهية وصادقة صدقا يقينيا، غير أننا بمجرد أن ننقلها إلى لغة سورية نحو:

$\Lambda_s (ك) (س) \leftarrow ل (س)$

تغدو عبارة عارضة إذ أنها يمكن أن تكذب بحيث لو أسندنا للمحمولين "ك" و"ل" معنيين آخرين مثلا: ك (= يغني) ول (= يرقص) لتصير العبارة:

كل من يغني فهو يرقص

وهي تحمل نفس الصورة المنطقية، غير أنها لا تصدق صدقا مطلقا لأنه قد يوجد س بحيث يغني ولا يرقص. ومن هنا ترتفع بداهة الصورة المنطقية التي أعطيناها للعبارة الأولى "كل من يجري يركض مسرعا". ماذا يمكن أن نقول عن هذه الحالة؟

تتمثل الملاحظة الأولى في ضرورة التمييز بين التشارح والترادف، إذ ليس الترادف هو التشارح لأننا عندما نجري التشارح على عبارة ما فإننا نقول،

مثلا، "إن س بقوله با يعني جا" والحاصل أن با لا تكون تماما هي جا. فالترادف يحافظ على المعنى المماثل، بينما التشارح يعطى المعنى المقارب. ولهذا تذهب "ك. فوش C. Fuchs²³¹ إلى أننا بالتشارح نقول شيئا مخالفا أو بتعبير أدقّ، نقول شيئا آخر. فبإعادة "نفس الشيء" ننتهي إلى قول شيء آخر. وتلك هي المفارقة!

وأما علاقة التشارح بالمعنى والإحالة، فإنه يتبع التقابلات والتعارضات التي طرأت على ثنائية المعنى والإحالة منذ "فريغه" (1892) التي استثمرها كواين ومن قبله راسل وكارناب. فإحالة حد ما هي مُسمّاه أو معناه الأصلي denotatum الذي يحيل عليه، وأما إحالة قضية ما فتكمن في وصف الحال state description الذي تحيل عليه.

فلكي "نحدد ترادف اسمين" أو عبارتين، يكفي أن نفهم العبارتين، في حين أننا لكي نحدد ما إذا كان اسمان يعينان نفس الموضوع، يجب علينا، عموما، أن نفحص العالم²³². والتشارح يحضر في فهمنا للعبارتين كما أنه يظهر أيضا في فحصنا للعالم من أجل معرفة ما إذا كان الاسمان يعينان نفس الشيء إذ لا بد من استحضار معنى كل اسم منهما.

- Fuchs (Catherine) 1982, *La Paraphrase* P.U.F, Paris, p. 49 ff.²³¹

- Ibid., p. 58.²³²

ولهذا فإن معضلة التشارح تتصل بامتناع تحديد المعنى وامتناع تدقيق الترادف سواء بخصوص الألفاظ أو التعابير أو القضايا.

لقد رأى كواين أن من ينقل العبارة من اللغة الطبيعية إلى اللغة الصورية يكون قد استوعب ما تفيده داخل اللسان الطبيعي وهذا ما سيساعده، بعد إقامة التشارح، على "الحكم، من خلاله، على ما إذا كان التشارح قد أسدى إليه خدمة تحقيق الأهداف"²³³.

وقد لمسنا، في المثال السابق، أن التشارح لم يسدّ الهدف وهو الحفاظ على قيمة العبارة ومعناها البديهي في اللغة الطبيعية. وما يمكن ملاحظته، في المرحلة الثانية، هو أن التشارح ليس هو الترادف بدليل أن التشارح يحمل معنى الشرح، وبالتالي فهو مجرد توضيح للعبارة الغامضة، بينما الترادف هو التكافؤ الدلالي أو التماثل في المعنى أو، بكلمة جامعة، هو التطابق الدلالي:

"لا وجود لحالة يمكن أن ندّعي فيها وجود إمكانية لاستدعاء الترادف من أجل إجراء التشارح، فليس الترادف، بالنسبة للعبارات عموماً، هو المفهوم الذي يمكننا أن نجعله مطابقاً، بسهولة، لمعناه؛ وحتى ولو كان الأمر كذلك، فإنه سيكون في وضع خارج عن هذه الحالات، حيث إننا إذا أجرينا تشارحاً لعبارة ما لرفع الغموض، فإن ما نتوخّاه لن يكون هو الحصول

- Ibid., p. 159.233

على عبارة مرادفة، بل يكون غرضنا تحصيل عبارة أكثر فائدة بفضل ما
نقاوم فيه بعض التأويلات البديلة"²³⁴.

ومع ذلك، فإن الكتابة المنطقية الصناعية تقبل ذلك، مثلما تقبل أن تُردَّ
إلى اللغة الطبيعية؛ فالكتابة المنطقية تعتمد على القيام بإجراءات آلية
تطراً على عملية التشارح. غير أن ما يعد أساسياً من أبجدية وأدوات نحوية
ودلالية تبقى مستمدة من اللغة الطبيعية.

"وهكذا، فإن إقامة تشارح لعبارة ما من اللغة الطبيعية بنقلها إلى المنطق
الرمزي هو، في الحقيقة، إقامة تشارح لهذه العبارة في شبه اللغة الطبيعية
Semi-ordinary language بحيث تكون أشكال الأحرف الشخصية غير ذات
أهمية؛ وهكذا، نلاحظ أن إجراء التشارح باعتماد الرموز المنطقية هو،
قبل كل شيء، مخالف لما نقوم به عادة بإجراء تشارح للعبارات قصد
اجتناب الغموض. وتكمن النقطة الأساس في مقدار الاختلاف في أن
الدافع، في الحالة الأولى، إنما يكون بغرض تحقيق التواصل بينما يكون
الغرض، في الحالة الثانية، بدافع شيء آخر يتجسد في تطبيق النظرية
المنطقية"²³⁵.

- Ibidem.234

- Ibidem.235

ولعل هذا الواقع هو الذي حدا بكواين إلى العمل على تقنين اللسان الطبيعي Regimentation of language وتنسيقه باعتبار أن النقل الرمزي للعبارة الطبيعية يكشف عن الغموض الذي يعتريها، بينما لا يفي التشارح العادي بذلك لتوقفه على التواصل وعدم امتداده، إلى تمحيص الغموض البنيوي في العبارة.

ومع ذلك، فإن موقف كواين يتميز عن موقف دعاة اللغة الاصطناعية الذين يعتبرون اللغة الطبيعية لغة أقل قوة وصرامة من اللغات الاصطناعية. فهو وإن كان يعترض على أعمال مشاهير منطقة وفلاسفة اللغة الطبيعية لا ينكر خصوصية اللسان الطبيعي الذي دعا إلى تقنينه. فما المقصود بتقنين اللسان الطبيعي؟

يعتبر كواين أن ما نتوخاه من العمليات الاصطناعية للكتابة الرمزية في المنطق المعاصر هو البساطة: "فمن البين أنه سيكون من الصعب للغاية أن نرهق النظرية المنطقية باستعمالات ملتبسة نستطيع تقنينها. ذلك أن المحافظة على بساطة أيّ نظرية، ما أمكن ذلك، يعد جزءاً من الخطة؛ وبالتالي، فعندما نود أن نطبق النظرية على العبارات الخاصة في اللغة الطبيعية بغية نقل هذه العبارات إلى صورة قانونية ²³⁶Canonical form فعلينا أن نجعلها مناسبة للنظرية. فلو جاز لنا أن نقسم منطق اللغة

- Quine (1950), *Methodes de logique*, J. Vr trad. Fran. M. Clavelin. 236

وقد نقلناه إلى اللغة العربية ويصدر قريباً.

الطبيعية على سبيل الاستعمال المباشر للعبارات كيفما اتفق، فسيكون علينا أن نعتد قواعد الاستدلال بأوجه مختلفة وغير بينة"²³⁷.

تبدو النزعة الماصدية الكواينية واضحة هنا، ويلعب التعيين دورا خاصا في اللغة: "يقتضي مفهوم المعنى وجود عالم لا تعمده سوى اللغة، وليس من شيء ندل عليه سواها. وبخلاف ذلك، فنحن نعتز بوجود عالم ممتلئ بالأشياء. فلنترك مفرداتنا وألفاظنا تدل أو تسمي هذه الأشياء بطرقها المتعددة"²³⁸. ولهذا السبب يدعونا كواين إلى هجر مفهوم "المعنى" محتجاً بكون جل علماء اللغة المعاصرين يعتبرون أن "فكرة الفكرة" تكمن في استعمالها بحيث "يمكن لأي شيء يسميه لفظاً شخصياً أو يدل عليه أو يعنيه لفظاً كلياً أن يكون شيئاً تحت نور الشمس". فالمعاني تحمل، مع ذلك، ذواتا من صنف مخصوص كأن يكون معنى عبارة ما هو الفكرة المعبر عنها"²³⁹.

- Quine, *Word and object*, op. cit., p. 158.²³⁷

- Ibidem.²³⁸

- Ibid., p. 48.²³⁹

لا يرى كواين أن مسألة الإحالة تطرح نفس المعضلات التي تطرحها مسألة المعنى. وهو حريص على تبيان أن "السلوكيين كانوا محقّين حين اعتقدوا أن الكلام عن الأفكار عمل سيء حتى في مجال النفسانيات" ²⁴⁰.

يعود تركيز "كواين" على التعيين إلى إيمانه بامتناع تحدد المعنى وتعذر إيجاد معيار نعاير به الترادف، كما يعود إلى تأثيره البليغ باللسانيات السلوكية؛ وهكذا سيميز بين الموقع التعيني الخالص Purely designative occurrence والموقع التعيني غير الخالص. مثال ذلك:

(1) يعتقد زيد أن تيغوشيغالبا توجد بنيكاراغوا.

(2) تيغوشيغالبا هي عاصمة الهندوراس.

نحصل بإجراء إبدال في (1) بناء على (2) على العبارة التالية:

(3) يعتقد زيد أن عاصمة الهندوراس توجد بنيكاراغوا.

"والآن، ليست (1) و(3) على ما يبدو، متكافئتين منطقيا. وقد حاول كواين أن يفسر ذلك بإثباته القاضي بأن وقوع "تيغالوشيكالبا" في (1) ليس وقوعا تعينيا خالصا" Not purely designative مدعيا أن المواقع

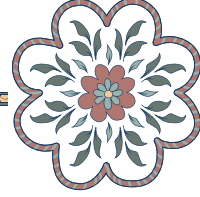
التعينية الخالصة للأسماء وحدها تكون موضوعا للإبدال بناء على تساوي عبارة الهوية الحقيقية "true identity sentence" ²⁴¹.

لقد بينا، إلى حد الآن، المشكلات اللسانية والمنطقية التي تعترض المعنى والترادف والتشريح من خلال تقريبات المناطق المعاصرين "لكواين"، وكشفنا عن تميز موقف كواين وأصالته، ولم نقف عند ذلك مطولا لأن المسألة التي ستكشف عن تلك الأصالة وتجمع مختلف مواقف كواين من المعنى والترادف والتشريح هي دعوى امتناع تحدد الترجمة التي حشرناها مع تنظيرات كواين لعلاقة الدلائيات بفلسفة العلم، وهي مبثوثة في الجزء الأخير من هذا العمل.

يظهر أننا يمكن أن نباشر الآن موقف لكواين ذهب فيه مذهباً فريداً بسطه في مقالته: معتقدا النزعة التجريبية، التي يمكن أن نعتبرها، من غير أن نعدم دليلاً، أقوى مقالة في القرن الماضي؛ وذلك لأن كواين شكك فيها في أدق المفاهيم الفلسفية-المنطقية من قبيل المفهوم والمصدق، والضرورة والعرضية، والتحليل والتركيب إلى قلبت ظهر مجن النزعة التجريبية. فلنتولَّ بيان هذه الاعتراضات القوية لكواين في حقل الدلائيات، والتي سيدحض بها مشروع الفلسفة التحليلية، وسيسند بها فلسفته.

- B. Mates, op. cit., p. 118 ff. 241

الفصل الخامس :



بطلان التفرقة بين التحليل والتركيب

توطئة

تعتبر مسألة التحليل والتركيب من القضايا الإبيستيمولوجية المزمنة التي تمّ الأخذ بها في التمييز بين القبلي والبعدي في المعرفة، وفي ثنائية الصورة المنطقية / المحتوى التجريبي، ، وقد تصدى لها كواين ليبتلها بعد أن رسخ الاعتقاد في ثبوتها، وبعد أن كانت تشكل لدى النزعة التجريبية منطلقاً وأساساً؛ ولما كانت دعوى بطلان التفرقة بين التحليل والتركيب لدى كواين سبباً في تقويضه لمعتقد التجريبيين ونسفه من لأساسهما، فقد أفردنا لها هذا الفصل لنبرز التجاوز الذي حققه كواين للنزعة التجريبية إلى ما اعتبرناه: ما بعد النزعة التجريبية أو لما بعد الفلسفة التحليلية.

وقبل أن نمضي حقبا في بيان دعوى إبطال التفرقة بين التحليل والتركيب، ارتأينا أن نعرض بعض الحثثيات التي يتهمنا أنها ستبرز القطيعة المعرفية التي أحدثها كواين.

1. دعوى التفريق بين التحليل والتركيب عند "كانط":

يعود التفريق بين التحليل والتركيب إلى عهد فلسفي قديم يمتد من "أفلاطون" إلى "كانط" مروراً بمساهمات فلاسفة القرون الوسطى. وقد

بدأت الثنائية تفعل في الفكر الفلسفي منذ أن فرق "هيوم" بين علاقات الأفكار وعلاقات الوقائع²⁴²، ومنذ أن ميز "ليبنيتس" Leibniz بين حقائق العقل وحقائق الواقع²⁴³. وقد وقف "كانط" وقفة طويلة انتبه فيها إلى الأهمية المعرفية للتفريق بين "الأحكام التحليلية" و"الأحكام التركيبية" مبينا أن الحقائق التجريبية ليست، هي الحقائق الوحيدة التي تتمتع بالوجود. فقد كشفت الرياضيات على "المدى البعيد" الذي يمكن أن نصل إليه في استقلال تام عن التجربة في المعرفة القبلية". ولعل هذا هو ما حدا "بأفلاطون" إلى أن "يهجر العالم المحسوس لأن هذا العالم يضع أمام الفهم عوائق متنوعة"²⁴⁴.

وبما أن "كانط" يمثل نقطة ارتكاز لا بد من الوقوف عندها، فإننا سنعمل على عرض تصوره إلى جانب الانتقادات التي روجتها الفلسفة المعاصرة بخصوص تحديده للتفريق بين التحليل والتركيب.

- Hume, (1739 – 1740), L.A. Selby-Bigge, *A treatise of Human nature*, ed 242
Oxford, (1888).

- Susan Haak (1978), *Philosophy of logics*, Cambridge University Press, p. 172, 243
n° 2.

244. اعتبر "هيوم" أن هناك علاقات أفكار relations of ideas وعلاقات الوقائع relations of facts.

لم يُقَمْ "كانط" التفريقَ بين التحليل والتركيب، بل إنه أخذ بثنائية التحليل والتركيب وأخذ بمفهومين آخرين عن الفلاسفة الوسطيين ونقحهما وهما : القبلي المضاد للبعدي a priori versus a posteriori إلى جانب الضروري والممكن necessary and contingent. أن نصنف الثنائية الأولى: القبلي والبعدي في إطار قسمة معرفية؛ حيث يحصل طرفا الثنائية بالنسبة للذات العارفة بإزاء التجربة أو انطلاقا من العقل باعتباره، على حد قول "كانط"، "ملكة المبادئ"²⁴⁵.

لقد فرق "كانط" بين التحليل والتركيب في إطار التصور التقليدي للقضية التي تشكل من الصورة: موضوع + محمول. واعتبر أن الأمر يتعلق بالأحكام التي تصنف إلى أحكام تحليلية وأحكام تركيبية:

"تكون العلاقة بين الموضوع والمحمول، في كلِّ الأحكام التي نفكر فيها ممكنة (لن أعتبر سوى الأحكام الموجبة، لأن ما سأقوله عنها سينسحب، فيما بعد، بسهولة على الأحكام السالبة) على ضربين: إما أن المحمول ك ينتمي إلى الموضوع ل كشيء متضمن (بكيفية ضمنية Versteckter,weise) في هذا المفهوم ك، وإما أن ل تقع كلها خارج المفهوم ك رغم كونها، في الحقيقة تقترن به. أسمى الحكم، في الضرب الأول، حكما تحليليا؛ وأسميه في الضرب الثاني حكما تركيبيا. وعلى هذا النحو، تكون الأحكام (الموجبة)

- Kant, Critique de la raison pure P.U.F, op. cit., p. 326.245

تحليلية كلما اعتبر الربط بين الموضوع والمحمول بالهوية²⁴⁶؛ غير أنه يجب أن نسمي الأحكام التركيبية، تلك الأحكام التي يعتبر فيها الربط بدون هوية.

ويمكننا أن نسمي، أيضا، الأحكام الأولى مفهومية، والثانية ماصدية؛ وذلك لأن الأولى لا تضيف أي شيء لمفهوم الموضوع بواسطة المحمول، فهي لا تزيد عن كونها تقسمه بالتحليل فترده لأجزائه من التصورات التي ظلت معتبرة فيه (وإن بكيفية ملتبسة). بينما تضيف الأحكام التركيبية، على العكس من الأحكام التحليلية، لمفهوم الموضوع محمولا لم يكن معتبرا²⁴⁷.

يجعل "كانط" التحليلية في مقابل التركيبية. فالتحليلية، كما قلنا سابقا، إما صادقة بفضل معناها أو بفضل التعريف. وأما الحقائق التركيبية فمنها البعدية ومنها الحقائق القبلية. ولهذا فكل قضية تحليلية قضية قبلية. وأما القضايا التركيبية فإنها إما قبلية كالحقائق الرياضية ومبادئ الفيزياء وإما بعدية ككل القضايا غير العامة والكلية والتي تتوقف على التحقق التجريبي، فقولنا "كل جسم ممتد" قبلية لامتناع تصور الجسم من غير امتداد، وتركيبية لأن الامتداد ليس متضمنا في الجسم.

- « Quand la liaison du predicat au sujet y est pensée par identité ».²⁴⁶

Ibidem.²⁴⁷

وإذا كان "كانط" يعتبر أن التقابل حاصل بين التحليلية والتركيبية، فإنه يعتبر أن التحليلية لا تطابق تماما القبلية لدخول بعض القضايا التركيبية في خضمها. وأما الضروري والقبلي فإنهما يتوفران على نفس المصدق. وقد اعترض كثير من فلاسفة العلم على التصور الكانطي المستمد من تصور "إسحق نيوطن" للضرورة بحيث إن كثيرا من الحقائق التي كانت تعد ضرورية غدت خلاف ذلك. فلنقرب المفاهيم المحيطة بثنائية التركيب والتحليل عند "كانط" بالجدول التالي:

تركيبية		تحليلية
بعدي	قبلي	قبلي
حادث أو عرضي أو ممكن	ضروري	ضروري

فكل الحقائق التحليلية قبلية وضرورية، وليست كل الحقائق التركيبية كذلك؛ وهذا يعني أن من بين العبارات التركيبية ما هو قبلي وضروري. وهذا أمر يتضح لنا من جراء التعرف على ما إذا كانت قضية ما ضرورية يمكن، مبدئيا، اكتشاف صدقها القبلي (باستعراض الإمكانيات على مرأى العقل). فالعبارة "كل عدد مساو لنفسه" عبارة صادقة صدقا ضروريا؛ لأن إنكارها يقود إلى التناقض وإلى خرق مبدأ الهوية. وتتحدد التجربة

الذهنية في أنه يتمتع علينا تصور العكس كأن نقول "العدد غير مساو لنفسه" التي تعني "ليس العدد هو العدد" وفي هذا تناقض وخلف ظاهر.

فماذا عن القضايا الضرورية تجريبيا؟ إنها تلك القضايا التي تتحول إلى مبادئ. فإذا كنا في حالة الضرورة العقلية نستعرض في أذهاننا حالات يتمتع العقل عن الأخذ بها ليجمد على الحقيقة المعطاة فإن الأمر لا يكون كذلك في الحالة الثانية، بل إن العبارة: "كل الغربان سود" يكفي أن نبطلها بوجود حالة واحدة يكون فيها بحوزتنا مثلا، "غراب أبيض"، وفي الفيزياء تكون القضايا مبادئ عامة، وقد ذهب "ج. س. ميل J. Stewart Mill" إلى أن الأمر يتعلق، فقط، بتعميمات لأن الحقائق مهما بلغت، في نظره، مبلغا من التجريد فإن مردّها إنما يكون، في نهاية المطاف، إلى التجربة.

ومهما يكن من أمر فإن "كانط" اعتمد في تحديده للتفريق بين الأحكام التحليلية والأحكام التركيبية على لائحة محدودة من القضايا فقد ظل يهدف إلى تناول القضايا التي تقوم على التعريفات أو المواضعات في معالجته للتحليلية. ويرى كثير من النقاد أن تصوره للتحليلية جد ضيق للأسباب التالية:

- 7- أنه أقام تصوره للتحليلية على صورة العبارة المحمولية؛
- 8- أنه أغفل التحقيق في مفاهيم أساسية يقوم عليها تعريفه للتحليلية نحو "التضمن"؛

9- أنه اعتمد على جملة من القضايا اتخذها مثالا للعبارات التحليلية من قبيل:

قضايا فيزيقية	قضايا هندسية ورياضية
كل جسم ممتد	الكل أكبر من الجزء
الذهب معدن أصفر	المثلث شكل مثلث الزوايا
المعدن يتمدد بالحرارة	العدد مساو لنفسه

تبقى اللائحة المحدودة التي انطلق منها "كانط" غير كافية. فهل كان يعتبر الحقائق المنطقية، تلك التي عرفت في هذه بالشرطيات الصحيحة للقياس بوصفها حقائق تحليلية؟ وهل كان يعتبر نتائج الأقوال التحليلية، هي الأخرى، تحليلية بدورها؟²⁴⁸

من مظاهر الارتباك في تفريق "كانط" أنه جعل العبارة التركيبية إما قبلية وإما بعدية في حين اعتبر كل العبارات التحليلية قبلية. فحتى في مجال الرياضيات نجد أن الأحكام منها ما هو قبلي ومنها ما هو بعدي بدعوى أن العبارة " $9 = 2 + 7$ " عبارة تركيبية لأن معرفة "9" تقضي إجراء إضافة "2"

J. Largeault, *Enigmes et controverses*, p. 25 et suiv.²⁴⁸

إلى "7" وبالتالي فالعدد "9" مركب من "7" و"2" ولا يمكن معرفة ذلك قبلها متى تعقدت العبارة مثلاً:

$$1024 = 2^{10}$$

لا يمكن أن نتعرف عليها بمحض التجربة الذهنية، بل نتحقق منها بعداً بإجراء العملية الحسابية:

$$1024 = 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2$$

2. ما بعد دعوى "كانط":

سوف تحظى دعوى التفريق بين التحليلية والتركيبية التي نادى بها "كانط" بأهمية بالغة ومتزايدة خصوصاً بعد أن تناولها "فريغه" في العقد الثاني من هذا القرن وطبقها في دراسته للحقائق الصورية واستعان بها في وضع الأسس للنظريات التجريبية، بل إنه وظفها في نزعتة الردية Reductionism.

وفي سنة 1950 ظهر اتجاه شكل رد فعل ضد التحليلية ووقف في وجه دعاة التفريق بين التحليل والتركيب. انطلقت الهجمات على الثنائية مع "وايت" وذهب بها "كوين" إلى حدٍّ بعيد إذ لم يقل بأنها مردودة²⁴⁹ فحسب بل ادعى بطلانها. وقد كان لموقف "هيلاري بوتنام Hilary Putnam" موقفاً مشابهاً بلوره بمنأى عن معطيات

- Untenable (1966).249

التحليل الكوايني. كما اجتهد آخرون أمثال "ديفيدسن" و"غودمن" وغيرهما في بحث المسألة.

وأما الموقف الذي تزعمه "كارناب"، والذي تُعدُّ اعتراضات "كواين" موجهة بالأساس، إليه، فإنه أخذ بالتفريق وسارت على منواله بحوث كثيرة أبرزها ما صاغه "كانز Katz" في كتابه فلسفة اللغة²⁵⁰ الذي كشف عن غموض تحديد "كانط" للتحليلية الناتج عن استعماله "المحمول متضمن في الموضوع" حيث ظل "التضمن" Inclusion في حاجة إلى توضيح.

لكن "كانز" نفسه لم يخرج من تحديد "كانط" رغم الجهد الذي بذله: "يعني الشرط الذي يكون فيه المحمول متضمنا في الموضوع - عند "كانز" - أن كل الخصائص (الإشارات أو العلامات marques ou notes) للتصور الموجود في وضع محمول تظهر من بين خصائص المفهوم الذي يكون في وضع الموضوع، وتكون هناك تحليلية كلما حصل استغراق بين هاتين المجموعتين من العلامات التصورية marques conceptuelles أو المؤشرات الدلالية ويعلق، "جان لارجو"، ساخرا: "إن تجديد كانز لاصطلاح "كانط" ليس أكثر من صبّ الخمرة المعتقد في خواب جديدة"²⁵¹.

- Katz, (John), *The philosophy of language*, 1966, Oxford.²⁵⁰

- J. Largeault, *Enigmes et controverses*; op. cit. p. 24.²⁵¹

وأما مع فلاسفة اللغة الطبيعية، فإننا نكون إزاء ردود قوية معترضة على دعوى بطلان التفرقة بين التحليل والتركيب عند "كواين" على الخصوص، فقد رد "ستراوسن Strawson" على "كواين" بمقالته "القضايا والمفاهيم والحقائق المنطقية"²⁵² معتبرا أن ما نثره "كواين" من شكوك حول التحليلية أو جملة المفاهيم التي تنتمي إلى المنطق غير الماصدي ليست مردودة فحسب، بل إنها لا تكون مقبولة ومتماسكة، في نظره، إلا عندما تأخذ بالاستعمال، وإن بشكل ضمني، للمفاهيم من قبيل المعنى والترادف والتحليلية التي هاجمها "كواين"²⁵³ في مقالته الشهيرة "معتقدا النزعة التجريبية".

وعلى هذا المنوال، ردّ "جون سورل J. Searle" المسألة إلى الحاجة إلى تخصيص لسانی لمفاهيم شغلت بال الفلاسفة. وهي تقترن بالتساؤل "كيف لي أن أعرف ما إذا كان ما سأقوله صادقا؟ فقد توقف الفلاسفة، عموما، أمام هذا السؤال الذي يقتضي تخصيصات لسانية بأشروها في مظهرين مختلفين:

10- أولا، بدوا متشككين بخصوص المعايير التي تطبق بواسطتها المفاهيم نحو "التحليلي"، و"ذي معنى"، و"مرادف"، إلخ؛

- P.F. Strawson, *Etudes de logique et de linguistique*, eds. Seuil Paris VI, pp. 252

137 – 151.

- Ibid., p. 137. 253

11- وثانياً شكّوا بكيفية مطلقة وعامة في عملية التحقق من القضايا المتعلقة باللغة"²⁵⁴.

وهكذا بين سورل أن مفاهيم من قبيل "الترادف" و"المعنى" و"التحليلية" ضرورية بحيث:

"يمكن أن نعرف الترادف بالطريقة التالية: تكون كلمتان مترادفتين إذا، فقط إذا، كان لهما نفس المعنى؛ ويمكن أن نعرف التحليلية كما يلي: تكون عبارة ما تحليلية إذا، فقط إذا، كانت إما صادقة بفضل معناها أو صادقة بالتعريف"²⁵⁵.

وهي وإن استدعت، أي المفاهيم، بعضها البعض، فإنها تبقى ضرورية للتخصيص اللساني. ولهذا فإن القول بأن "تعريفات تلك المفاهيم، ليست صالحة بدعوى استنادها إلى مفهوم المعنى، والحال أن مفهوم المعنى، شأنه شأن مفهومي الترادف والتحليلية، يظل ممتنعاً عن التحديد، ومحتاجاً، على الدوام، إلى تعريف"²⁵⁶ قول مردود يقول "سورل":

"وفي الأخير، يتضح أنه لا يمكن لهذا المعيار، وكذا لأي معيار من المعايير من الصنف الماصدي المقترحة لحد الآن لتعريف التحليلية، أن يكون

- J. Searle, *Les actes du langage*, p. 39.254

- Ibid., p. 40. 255

- Ibid., p. 41.256

مقبولا، غير أن السؤال الذي يطرح في الحال هو: إذا كنا نعلم أن المعيار المقترح غير مطابق، وإذا كنا قادرين على تبرير هذه العبارة، فمن أين تأتي معرفتنا بهذه الواقعة وكيف نستطيع حتى أن نعرف ما إذا كانت الحجج التي قدمناها ذات علاقة ما بهذه المسألة؟ وحتى أجيب على هذا السؤال، أود أن أطرح وأبلور الفكرة التالية: إن هذه المعرفة تأتينا، بالتحديد، من كوننا نعرف ما تعنيه كلمة "تحليلي"، بل إنني أذهب إلى حد القول بأننا ما كنا لنحصل على هذه المعرفة لو أننا كنا نجهل معنى هذه الكلمة"²⁵⁷.

لم يقبل "كواين" هذا الاعتراض لأنه يقتضي مسبقا التسليم بوجود فصل تام بين التحليل والتركيب. وسنبينه في موضعه.

3. مسألة التحليل والتركيب "فريغه" منازعا "كانط":

لقد انتظرت أعمال "كانط" زهاء قرن من الزمن ليستأنف النظر فيها "فريغه" في مستهل القرن العشرين وبالتحديد سنة 1900، حيث استدرك "فريغه" الأمر مبينا أن الحقائق التحليلية منها الحقائق المنطقية، ومنها الحقائق التي ترد إلى حقائق تحليلية بعون المنطق؛ وبهذا اختزل ما وقع فيه "كانط" بحيث رد القضايا إلى ضربين: ضرب تحليلي وضرب تركيب. وأبرز الوضعيون التجريبيون المناطق أن القسمة إنما ترد إلى القضايا التحليلية

- Ibid., p. 41, 42.257

وكلها قضايا قبلية، وإلى القضايا التركيبية وكلها قضايا بعدية كما سيأتي بيانه.

لقد راجع فريغه مسألة التفريق الكانطي مبرهنا على أن الحقائق الحسابية تشتق من تعريفات منطقية قابلة للصياغة المنطقية: "ظل "فريغه" يعتقد، عن حسن نية، أنه دحض "كانط" الذي اعتبر الحقائق الرياضية الحسابية بمثابة حقائق تركيبية قبلية؛ وقد كان منطق "فريغه" أكثر اختناقاً من منطق "كانط". غير أن النقطة الجديرة بالاعتبار إنما تكمن في ما أدخله "فريغه" في تصور التحليلية من عنصر ظل "كانط" يعتبره غريباً: لكي نقرر ما إذا كان قول ما تحليلياً أم لا، لم يعد ذلك أمراً موقوفاً على التعريف المعجمي بل أصبح أمراً استنباطياً بالأساس: يعد تحليلياً كل قول أو عبارة تقبل البرهنة انطلاقاً من قوانين منطقية عامة، ومن تعريفات معبر عنها في المنطق"258.

إن أبرز ما قام به "فريغه" ليظهر في التفريق الحاسم بين التحليلية والتركيبية بحيث لم تعد الحقائق الحسابية تركيبية قبلية، بل غدت تحليلية قبلية لأنها ترد، بعون القواعد أو القوانين المنطقية، إلى حقائق منطقية قبلية وبالتالي تحليلية.

- J. Largeault, op. cit., p. 25 – 26. 258

وأما القيمة الثانية لمراجعة "فريغه" لتفريق "كانط" فتتجلى في الخروج عن المعجم واللغة الطبيعية والدخول في الاستنباط والمنطق على أساس أن الرياضيات ترد على المنطق. وهذه هي دعوى الرد التي سيعترض عليها "كواين" كما سنبين فيما سيأتي فضلا عن اعتراضه، أساسا، على التقسيم الفريغي (نسبة إلى فريغه) الذي رأى أن التحليلية تشمل:

1. الحقائق المنطقية؛

2. الحقائق القابلة لأن ترد، بعون القوانين المنطقية، إلى حقائق منطقية.

فإذا كان "كواين" قد قبل الأولى بسهولة لتعلقها بالمنطق، فإن الصنف الثاني الذي اعتبره من القضايا التحليلية بالمعنى الواسع شكل، بالنسبة له، موقفا فكريا ربطه بإبطاله لنزعة الرد عند التجريبيين، وكذا بما يزعمه من إمكانية التفريق بين الحقائق النظرية والحقائق الواقعية²⁵⁹.

وأما مع "فتغنشتاين" فقد تم تخصيص الحقائق المنطقية باعتبارها صادقة انطلاقا من أخذها بخصائص الروابط المنطقية لينتهي إلى اعتبارها صادقة بفضل اللغة أو تحليلية. وهكذا انتقل تصوره للتحليلية إلى الرياضيات التي ظهر، مع "فريغه"، أنها ترد، عن طريق نظرية

- Quine, « Two dogmas of empiricism » in **Form a logical point of view**, op. cit. 259

المجموعات، إلى المنطق. وقد أصبحت العبارات التركيبية مكافئة برمتها للعبارات التجريبية أو الواقعية في مقابل العبارات الصورية.

لقد كان للانتقادات التي وجهت لـ "كانط" بخصوص تفريقه بين القضايا التحليلية والتركيبية آثار تجلت نتائجها في التخلص من الخلط بين القسمـة المعرفية (= قبلي، بعدي) والقسمـة المتعلقة بالقضايا (تحليلية، تركيبية)؛ وهكذا أصبحت القسمـة المعرفية ترتبط بالعقل والتجربة، فكل القضايا التركيبية بعدية وبالتالي مقترنة بالتجربة؛ وكل الحقائق التحليلية قبلية متعلقة بالعقل وبقواعد المنطق:

"لقد أصبحت القضايا التركيبية مكافئة للقضايا التجريبية: فهي تُعرّف في استقلالية عن التحليلية، وتقال على القضايا التي يحدد صدقها أو كذبها بالمعلومات التجريبية عن العالم"²⁶⁰.

ومن المعلوم أن القسمـة التي أخذ بها الوضعانيون التجريبيون أشياء "فتغنشتاين" إنما وضعت لغاية مذهبية مفادها إقصاء الميتافيزيقا، وتقليص دور الفلسفة بقصرها على مبحث لغة العلم والخروج من درب الأقاويل التي لا نحتكم فيها إلى الرياضيات أو التجربة، إنها نزعة وضعية موروثـة عن "هيوم" الذي قال بأن كتب اللاهوت والفلسفة لا قيمة لها،

- J. Largeault, op. cit., p. 26.260

ولا ينبغي أن يُعتد سوى بلغة العقل أو التجربة لأن الحقائق عنده، كما أسلفنا، عبارة إما عن علائق للأفكار أو عن علائق الوقائع.

وعلى العموم، فإن الوضعيين التجريبيين ظلوا، اقتداء بـ "فريغه" و"فتغنشتاين" وخصوصا بعد ظهور التنسيق الرياضي *Axiomatisation* يعتبرون القضايا على ضربين: ضرب تحليلي وبالتالي قبلي، وضرب تركيبي وبالتالي بعدي. ومن هنا أصبحت المعرفة تقاس بالنسبة للتجربة (ولهذا سموا بالتجريبيين) أو تنسق بقواعد منطقية (ولهذا سموا "المناطق").

وترى النزعة التجريبية المنطقية، على هذا الأساس، أن كل علم يتكون من عبارات تتعلق بموضوعه. وكل عبارة تتكون من مكونين: محتوى نظري ومحتوى تجريبي أو عياني *Observationnelle* وهي ثنائية رفضها "كواين" بشدة:

"اعتنقت النزعة التجريبية المعاصرة معتقدين اثنين هما: المعتقد القاضي بالفصل بين الحقائق التحليلية (التي يقوم معناها باستقلال عن الوقائع الخارجية) والحقائق التركيبية (التي يقوم معناها على أساس الوقائع)؛ وأما المعتقد الثاني فيتجسد في نزعة الرد وهو اعتقاد يقضي بأن كل قضية دالة تكون مكافئة لبنية منطقية ما تتكون من حدود ترد إلى

التجربة المباشرة. وسأبين أن المعتقدين معا لا يقومان على أساس سليم²⁶¹.

لقد تعامل الوضعانيون الجدد مع الثنائية تعاملًا خاصًا. ففي الوقت الذي طغت التجربة الفيزيائية Physicalism التي تعتبر العلم الطبيعي (الفيزياء) العلم الوحيد الذي تُرد إليه كل العلوم، وفي الوقت الذي اعتبرت التجربة الأساس الوحيد للمعرفة، آمن الوضعانيون الجدد، مع ذلك، بالعبارات التي لا تتحقق تجريبيًا. فالحدود النظرية المكونة للعبارات التحليلية ليست ذات علاقة مباشرة بالمعنى التجريبي. فمن أين تحصل، هذه الحدود، على معناها؟

يقوم التقليد التجريبي، كما مر بينا، على اعتبار القضية ذات مكونين: المحتوى التجريبي، والصورة المنطقية. وفضلاً عن ذلك، فإن هذا التقليد ينطلق من النزعة الإجرائية Operationism، وما ورثته "فتغنشتاين" من أفكار للوضعانيين الجدد الذي يقوم على مبدأ قابلية التحقق أي أن العبارة لا تحصل على معناها إلا إذا كان صدقها أو كذبها يمر عبر تجربة ممكنة كائنة ما كانت.

وقد رأى "بيرس" أن معنى العبارة إنما يكمن في الطريقة التي نتبعها في عملية التحقق: "وفضلاً عن ذلك، بينت مبادئ الرياضيات كيف أنه،

- W.V.O Quine « Two dogmas of empiricism », in *From a logical point of view*, 261

op. cit.

بواسطة التعريفات، يمكن أن نرد المفاهيم الرياضية إلى مفاهيم منطقية. وقد كان تطبيق هذه العملية على الحدود الرياضية أمراً طبيعياً²⁶².

هكذا تم تجاوز الثنائية الكانطية التي تجعل من العبارات التركيبية القبلي والبعدي كما تم الاحتفاظ بالتصور الذي يقرن فيه "كانط" التحليلية بالقبلية مع تعديل مسّ تحديد التحليلية بالتخلي عن الموروث المدرسي (= السكولائي) الذي فرق بين حقائق اعتبارية وأخرى حقيقية

Veritate de re / veritate de dicto، والذي ظل حبيس الصورة: موضوع + محمول (بالمعنى النحوي). وأما فكرة "ليبنيتس" عن الضرورة، فقد تم تبنيها في ثوب جديد بحيث أصبحت العبارة "صادق في كل العوالم الممكنة" تعني عند "كارناب" مثلاً "صادق بالنسبة لكل رسوم الحال" true

.of all state descriptions

لقد تُجوزت فكرة "التضمن" الكانطية (= المحمول متضمن في الموضوع نحو: "الأرملة امرأة مات زوجها"). وهكذا اعتبر "كاتز" (1966) أن التحليلية تعني استغراق مجموعة العلامات التصورية والمؤشرات الدلالية للمحمول في الموضوع. وبين "كارناب"، من جهته، إمكانية تنسيق العبارات التحليلية باعتماد القواعد الدلالية. ومع ذلك، فإن "كوين" يعترض على إمكانية

- Largeault, op. cit., p. 25 passim.²⁶²

تقديم تحديد كاف لإثبات وجود فرق أو فصل تام بين القضايا التحليلية والقضايا التركيبية.

وبالجملة نقول إن المنطق دخل إلى البرنامج التجريبي واستعمل كأداة لرد كل قضية إلى بنية منطقية مكافئة لها على نحو ما بينه "كارناب" (1937) في البنية المنطقية للغة. فما هي أوجه بطلان التفرقة بين التحليلية والتركيبية؟

4. دعوى بطلان التفرقة بين التحليل والتركيب

لم يكن "كواين" يرفض التفريق بين التحليل والتركيب، فإلى حدود سنة 1947 ظل يستعمل مفهوم التحليلية Analyticity، وإن كان قد علق في هامش مقالته مشيراً إلى أن "نلسن غودمن" قد نثر شكوكاً بصدددها. ومن المعلوم أن "مورطن وايت" في مقالته "التحليل والتركيب ثنائية مردودة" (1950) قد نبّه إلى امتناع التفريق بين التحليل والتركيب قبل صدور "معتقدا النزعة التجريبية" لـ "كواين" سنة (1953) المنشور في كتابة: من وجهة نظر منطقية.

غير أن كواين يعترض مستدركا أن الإشارة إلى امتناع التفريق بين الثنائية الموروثة عن كل من "هيوم" و"ليبنتس" والتي صاغها "كانط" إنما تعود إلى

أعمال مبكرة ذكر منها ما بينه "دوهيم"²⁶³ سنة 1906، وما صاغه هو في مقالته "الصدق بالمواضعة" 1936²⁶⁴ وكذا في محاضراته بهارفارد.

ونجد أن "كواين" يعتبر أن اعتراضه على الثنائية سابق حتى على مقالة "مورتن وايت" المذكورة حيث يشير إلى أن مناقشة دارت بينه وتارسكي، من جهة، وبينهما وكرناب من جهة أخرى، فيما بين 1939 و1940، ومباشرة بعد هذه المناقشة، يذكر "كواين" أن مراسلات أخرى تمت بينه وكلا من "مورتن وايت" و"نلسن غودمن" تعلقت بالتحليلية وامتناع تحديدها فضلا عن عدم توفر معيار كاف للتفريق بين القضايا التحليلية والقضايا التركيبية²⁶⁵. ويضيف "كواين" أن "كرناب" و"وايت" قد ذكرا موقفه في محاضراتهما سنة 1950، غير أن إشاراتي إلى امتناع التفريق بين التحليل والتركيب قد كانت جاهزة منذ (1940، ص: 55، 1943، ص: 120، 1944، المقدمة : 1947، ص: 44 وما بعدها²⁶⁶ إلى 1950) حيث

- Morten White (1950), « **The analytic and the synthetic : an untenable duality** » Hook John Dewey, pp. 316 – 360.

- Duhem Pierre, « **La théorie physique : son objet et sa structure** », Paris 1906.

- Quine, « Truth by convention » In lees O. H (1936) **Philosophical essays on** 265
A.N. Whithead, New York, Longmans.

- Quine 1960, **Word and object**, the MIT, Press, Cambridge M.I.T, p. 67 n.266

استدعيت لأحاضر في الجمعية الأمريكية الفلسفية American Philosophical Association في الموضوع وفي ذلك الحين كتبت "معتقدا النزعة التجريبية" ²⁶⁷.

وهذا الموقف "لكواين" مخالف لما ذهب إليه "سوزان هاك" التي اعتبرت السبق لـ "مورتن وايت" الذي هاجم، مبكراً، ثنائية التحليل والتركيب؛ ومع ذلك، فإنها تعترف بأن هجوم "كواين" على الثنائية كان له الأثر الأقوى:

"فقد تعزز شك "كواين" في الترادف عند إصدار كتابة الكلمة والشيء (1960) في أطروحته حول امتناع تحدد الترجمة The indetermination of translation، وتتلخص في الدعوى القاضية بأن مفاهيم المعنى ليست بالتحديد، حسب ادعاء "كواين" المبكر، غامضة ومشكوك في مضمونها الاختباري (= التجريبي) فحسب، بل إنها تمتنع عن التحديد بكيفية يمكن البرهنة عليها" ²⁶⁸.

يظهر أن اعتراض "كواين" على ثنائية التحليل والتركيب راجع إلى إيمانه بامتناع تحدد المعنى الذي تمخضت عنه دعوى امتناع تحدد الترجمة. فلنتابع كيف أبطل كواين الثنائية: التحليل والتركيب، ولنتعرف على خلفيتها النظرية ونتائجها العلمية، وقيمتها الفلسفية.

- Ibidem.267

- S. Haak (1978), **Philosophy of logics**, Cambridge University Press, p. 172 n 2.268

لقد اقترن التفريق بين ما هو ضروري منطقيا وما هو ممكن منطقيا بالفصل بين الحقائق التحليلية والحقائق التركيبية. وإذا كان التمييز بين الممكن والضروري تميزا ميتافيزيقيا، كما أسلفنا، فإن التفريق بين الحقائق التحليلية والتركيبية تمييز معرفي من جهة تعلُّقه بثنائية القبلي والبعدي وميتافيزيقي من جهة استناده على الممكن والضروري، ومن جهة كونه يتخذ ذريعة، من قبل التجريبية المنطقية، لوضع حدود بين الميتافيزيقا وعلم الطبيعة²⁶⁹.

وقد بينا أن تفريق "كانط" مدخول من جهة اقتصراره على القضايا ذات الصورة العملية، ومن جهة توظيف المفهوم غير المحدد لـ "التضمن"، الذي ظل، على حد تعبير "كواين"، مفهوما مجازيا.

وأما التفريق الذي أقامه "فريغه" فإنه يعرف التحليلية بالاستناد إلى الحقيقة المنطقية، فالتحليلية عنده تلك العبارة أو القضية با التي إما أن تكون :

(أ) با تحليلية أي أنها صادقة صدقا منطقيا، وبالتالي فهي حقيقة منطقية؛

(أأ) تحليلية لأنها قابلة للرد إلى حقيقة منطقية بواسطة إبدال معنى مرادفات بمرادفات.

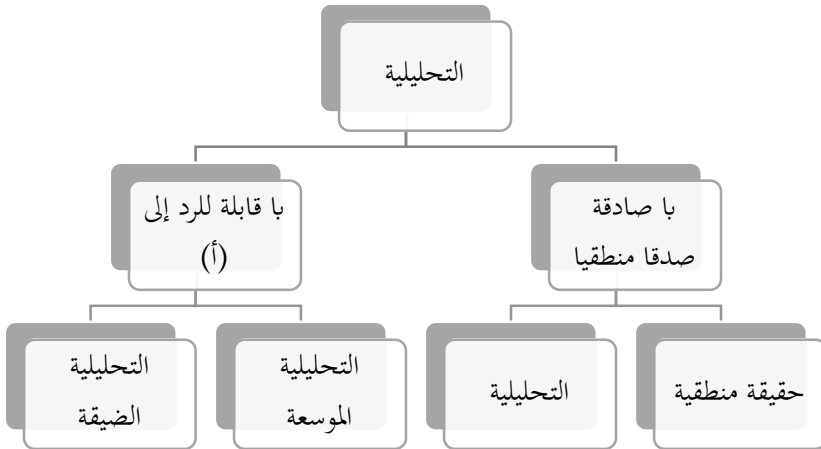
- Quine, « Two Dogmas of empiricism », op. cit., p. 20.269

لقد اعترض "كوين" اعتراضاً قوياً على الصنف (أ).

وهكذا يمكن أن نميز بين ضربين من التحليلية:

(أ) تحليلية ضيقة Narrowly analytic: وهي تشمل كل الحقائق المنطقية؛

(ب) تحليلية موسعة Broadly analytic: وهي تنفتح على كل الحقائق السابقة بكونها قابلة للرد إليها بواسطة القواعد المنطقية.



"ليست القضايا التحليلية حسب زعم الفلسفة عامة، بعيدة المنال في الواقع؛ فهي تنحصر في ضربين: فأما الضرب الأول من القضايا فهي تلك القضايا الصادقة منطقياً نحو: (1) لا عازب غير عازب (...)، وأما الضرب

الثاني من القضايا التحليلية فهو الذي يكون على نحو: (2) لا عازب بمتزوج. ويختص هذا الضرب من القضايا بكونه يقبل الرذ إلى حقيقة منطقية²⁷⁰.

ينصبُّ نقد "كواين" على الضرب الثاني لأنه يقوم على مفاهيم من نظرية المعنى كالمعنى والترادف. فلكي نرد عبارة ما إلى حقيقة منطقية، ينبغي أن يتوسط كلُّ من المعنى والترادف هذه العملية. وكما بينا سابقاً، فإن "كواين" يعترض على إمكانية تحديد المعنى وإجراء الترادف؛ ولهذا فإننا نقع في التسلسل كلما أردنا أن نحدد التحليلية الموسعة باعتماد الترادف أو التعريف أو الرد إلى الحقيقة المنطقية باعتماد القواعد الدلالية نحو ما قام به "كارناب". وقد مثلت "سوزان هالك" لهذا الدور والتسلسل الذي يمتنع معه تحديد التحليلية بالشكل التالي:

- Quine, « Two Dogmas of empiricism », in FLPV op. cit., p. 20.270

التحليلية



ما السر، إذن، في اعتراض "كواين" على التحليلية؟ يتبين لنا من خلال الجواب أن مسألة التحليلية مردودة داخل نسق "كواين" لأن الأخذ بها يعني التسليم بوجود المعنى²⁷¹ المستقل في الأذهان عن كل حقيقة موضوعية، وبالتالي الإقرار بوجود حقائق ذهنية قبلية أو قائمة بالأساس

- M. Clavelin, « Quine, contre Carnap : La polémique sur l'analyticité et sa portée » Revue internationale de philosophie 37^e année, 144 – 145, 1983 fasc. 1 –

2, P.U.F, p. 70 ff.

على المعنى²⁷² في مقابل الحقائق التي تتبع ما يعمر العالم المادي من وقائع تجريبية أو حادثة.

لقد سلم "كواين" بالصنف الأول من الحقائق التحليلية في حين اعترض على الصنف الذي يتكون من الحقائق القابلة للرد إلى حقائق منطقية باعتماد الترادف الذي يلعب دورا حاسما في هذه المسألة.

وقد سبق أن بينا أن الترادف عند "كواين" ممتنع التحديد؛ فالعبارة : "مخلوقات ذوات كلي" و"مخلوقات ذوات قلوب"، تتوفر على نفس الماصدق أي أنها تحيل على نفس الكائنات الحية غير أنها تختلف في معناها؛ وبالتالي فإن الترادف لا يعني الإحالة على نفس الموضوع، بل هو الاتحاد في المعنى والمسمى. وهو ما شكك فيه "كواين".

وقبل أن نبين مظاهر النزعة الشكية الكوإينية هذه لنجرد مختلف التحديدات التي أعطيت لمفهوم "التحليلية". ومن الملاحظ أن هذه التحديدات توسع الدائرة التي مثلت بها "سوزان هاك" مسألة الدور في تحديد التحليلية معتمدة انتقادات "كواين". هناك إذن دعوى كل من "وايت" و"كواين" التي تفيد أن معنى أو تحديد التحليلية يظل غير متحقق في كل التحديدات التي أعطيت له ومنها:

- Quinton, Anthony, 1983, « A priori and the analytic » in *Philosophical logic*, 272

Edited by P.F Strawson, Oxford University Press, pp. 107 – 115 – 116.

(أ) العبارة التحليلية هي كل عبارة يقود إنكارها أو تكذيبها إلى الوقوع في التناقض أو التناقض الذاتي Contradictory or self contradictory كأن نقول عن "الأعزب شخص غير متزوج": "العازب زوج س" أو "الأرملة امرأة متزوجة"؛ ويتجلى نقد "كواين" الموجه لهذا التحديد في أن مفهوم التناقض والتحليلية كلاهما يستند إلى الآخر، بل هما طرفان لركن واحد (كواين (1953) من وجهة نظر منطقية، ص: 42).²⁷³

(ب) العبارة التحليلية هي العبارة التي يكون محمولها متضمنا في موضوعها، ويستند هذا التعريف على الصورة التقليدية موضوع - محمول "وهذا التعريف الذي وُضع جانبا من قبل "كواين" هو تحديد "كانط" للقضية التحليلية التي لا تسند لموضوعها أكثر مما هو متضمن في الموضوع بصورة مسبقة في الأذهان. وقد كان "كانط" أول من أدخل مفهومي "التحليل" و"التركيب" وأعطاهما "تحديدا" كما سبق أن بينا فيما سبق.

وقد أشرنا إلى أن تحديد "كانط" يعاني من حصره للقضية التحليلية في الصورة التقليدية موضوع - محمول ومن غموض مفهوم "التضمن"؛ فضلا عن ذلك، يضيف "كواين"²⁷⁴، أن "التضمن" Containment or inclusion ، يبقى على مستوى المجاز. ومع ذلك، فإننا نلاحظ أن "التضمن" مفهوم قد

- Cit. in Sybil Wolfran 1990, Philosophical logic, Routledge, 104.273

- Ibidem.274

يكون "كانط" ورثه عن "ج. لوك. Locke" الذي استعمله بالمعنى الذي يفيد "أن المحمول مستغرق في تعريف الموضوع"؛ ومع أن الغموض يكتنف التعريف ذاته من جهة أن العبارة "الأرض الدائرية دائرية" يتوقف فيها التعريف على التحليلية ومعانيها نحو "التضمن"، أو "الصدق بفضل المعنى" أو "امتناع التناقض" أو "الضرورة" وما إلى ذلك.

(ج) العبارة التحليلية عبارة صادقة بفضل معناها: ويكمن اعتراض "كواين" على هذا التحديد في كون تعريف "التحليلية" بحدود "المعنى" أو بـ "التعريف" يجعلنا نقع في التسلسل؛ وذلك لأن هذا التحديد يضطرنا إلى الرجوع، مباشرة، إلى مفهوم "الترادف" وهو مفهوم يحتاج في تعريفه إلى "المعنى" وإلى تحديد "التعريف" وقد رأى "كواين" أننا عندما نقول أن "سا" و"صا" أو "سا = صا" عبارة تحليلية أو صادقة صدقا ضروريا، وبكلمة أخرى، أن نقول إن لـ "سا" و"صا" نفس المعنى، هو القول بالذات، بأنهما يحيلان بالضرورة، على نفس الشيء²⁷⁵.

(د) "التحليلية" باعتبارها "صادقة كيفما كان الحال" Analytic as true come what may: وقد انتقد "كواين" بشدة هذا التحديد لأنه يقوم على مفهوم "الضرورة" أو "الصدق الضروري" أو ما يعرف بالصدق في جميع العوالم الممكنة (حسب "لييتس").

- Quine, « Two Dogmas of empiricism » op. cit., sec 3, 49 — 53.275

وقد صرح "كواين" بأنه لا وجود لعبارة لا تكون ممتنعة عن المراجعة، بل لا وجود لعبارة لا ترد، بخلفيتها النظرية، إلى التجربة²⁷⁶. فحين اعترض "كواين" على التفريق بين التحليل والتركيب، كان يود أن يبين للوضعيين التجريبيين أنه لا يمكن أن ندعي أيضا وجود خط فاصل بين اللغة والوقائع. ومن هنا فإن التفريق بين التحليل والتركيب : بين اللغة والعالم ليس تفريقا في النوع بل في الدرجة.

ماذا يمكن أن نستنتج من اعتراضات "كواين" ومن "إبطال التفريق بين التحليل والتركيب"؟

1- من المعلوم أن التجريبيين المناطقة قد ردوا القضايا إلى صنفين: تحليلي وتركيبى مبرزين أن الحقائق التحليلية تصدق، بصورة قبلية، وبالتالي، في استقلال عن التجربة بخلاف الحقائق التركيبية المتوقفة على التجربة. وبذلك ألغوا صنف القضايا الميتافيزيقية فصارت اللغة موقوفة على المنطق والتجربة لا غير. وهذا التفريق أقاموا خطا فاصلا بين الميتافيزيقا والعلم الطبيعي.

لقد جاء اعتراض كل من "وايت" في "التحليل والتركيب ثنائية مردودة" و"كواين" في "معتقدا النزعة التجريبية" ليكشف عن امتناع الادعاء بأن بعض القضايا يقوم صدقها على معناها التجريبي فحسب. وهكذا حصل

276 . ليست هذه نزعة تجريبية تقليدية فالشمولية holism عند "كواين" و"النسبية الأنطولوجية" تجعلان دعواه تلك تجريبية نسبية.

تعارض بين الدعوى الأخيرة ودعوى التفريق بين القضايا التركيبية
الحادثة Synthetic – Contingent والقضايا الميتافيزيقية باعتبارها فارغة من
المعنى.

2 - لو اعتبرنا أن العبارة "الأرض الدائرية دائرية" قضية صادقة
قبليا أو بفضل معناها، فإننا سنعتبرها كذلك حتى وإن تبين، تجريبيا، أن
الأرض أهليلجية أو مستطيلة. ومن هنا فمن الخطأ المماثلة بين القضايا
التحليلية الضرورية أو الصادقة قبليا، وتلك التي لا يمكن أن يظهر أنها
كاذبة لكونها تتعلق بقضايا أو عبارات من صنف أو مقولة أخرى، أي أنها
تصدق في كل العوالم الممكنة؛ ومع أن "العوالم الممكنة" تظل ملتبسة حتى
وإن كان "كارناب" ردها إلى ما أسماه "كل أوصاف أو رسوم الحال" all state
descriptions ليقرن الضرورة بما يشحن العبارة التحليلية باعتبارها تجريبية
"بأوصاف" أو "رسوم" متعلقة بموضوع أو مضمون القضية.

3- تكون العبارة "كل من يجري فإنه يمشي يركض بسرعة" صادقة
بفضل معناها، وبالتالي تحليلية غير أن نقلها إلى صورة منطقية يجعلها،
كما رأينا سابقا، تفقد بدايتها وإن كانت تبدو كما لو كانت صادقة صدقا
منطقيا.

إن معنى التحليلية من الصنف الموسع أو العبارة التي تكون قابلة لأن ترد
إلى قضية صادقة صدقا منطقيا يستلزم المراجعة. ولهذا لم يعترض
"كواين" على التحليلية بالمعنى الضيق أي ما يعرف بالحقيقة المنطقية أو

الصدق المنطقي Logical truth بل اعترض على التحليلية الموسعة أي تلك العبارات التي تكون قابلة للرد إلى عبارات صادقة صدقا منطقيًا، لأنها تقوم على مفاهيم نظرية المعنى كالمعنى نفسه والترادف والتحليلية وهي مفاهيم تحتاج بدورها إلى تحديد، فنقع في الدور.

4- إن كل التحديدات التي قدمت لـ "التحليلية" تحديدات تبين أنها غير كافية. ومن بين الاستعمالات التي تم الوقوف عندها في التعريفات التي قدمت للتحليلية الاستعمال الذي تدل فيه: "ضابا" ("من الضروري با" أو "□ با") على أن "با عبارة تحليلية".

وإذا كان "كواين" قد اعتبر أن الجهات نحو الضرورة والإمكان والحدوث، إنما هي جهات تتعلق بكيفية تكلمنا عن الأشياء، وليست تتعلق بالأشياء ذاتها مدعيا أن جهة الضرورة، مثلا، لا تلتصق بالشئ الموضوع الذي نتكلم عنه، بل بجهة اعتقادنا في يقينية ما نقوله عنه²⁷⁷، فإن اجتهادات "صول كريبيكه"²⁷⁸ بينت:

"إن النزعة الماهوية Essentialism التي رفضها "كواين" لدخولها تحت طائلة المعاني الذهنية لقولها بوجود حقائق ضرورية تخص الأشياء في ذاتها نحو نزعة أرسطو الماهوية التي علق عليها "كواين" بقوله: "إنه المذهب الذي

277 . سوف نتوسع في هذه النقطة في الجزء الثاني الذي أفردناه للدلالات وفلسفة المنطق.

278 - Kripke, s. (1972) **Naming and necessity**, First published in Harman and Davidson (ed).

يقضي بأن هناك صفات الشيء (وإن كانت مستقلة شيئا ما عن اللغة التي يحال فيها على هذا الشيء، إن حصل ذلك) قد تكون صفات جوهرية لذلك الشيء²⁷⁹.

لقد اعترض كواين على "الضرورة" أولا كمفهوم ينتمي إلى نظرية المعنى، وثانيا لاقترانه بالتحليلية التي أبطلها؛ ولذلك سعى "كريبكه" إلى اجتناب مفهوم "التحليلية" في تناوله لمفهوم "الضرورة".

"هب أننا نسلم بأن العبارة التحليلية عبارة تصدق بفضل معناها، وتكون بالتالي صادقة في كل العوالم الممكنة بفضل معناها أيضا. وإذن فإن شيئا ما يكون صادقا صدقا تحليليا سيكون ضروريا وقبليا في آن واحد"²⁸⁰.

سيقود هذا التحديد إلى نزعة جوهرية في مقابل النزعة التشكيكية التي حمل لواءها "كواين" مبرزا أن الأسس التي قامت عليها الوضعية المنطقية تحتاج إلى مراجعة لأبرز ركائزها خصوصا "الضرورة" و"الإمكان" و"التحليل" و"التركيب" و"القبلي" و"التجريبي"، وبالتالي "الضرورة" التي ظلت تفيد أن الحقيقة التي نعبر عنها تظل صادقة في كل العوالم الممكنة،

- Quine, « The Grades of modal involvement », proceedings of the XIth 279 International Congress of philosophy Brussels 1953, reprinted in : **The ways of paradox and other essays**, 1966, New York, Random House.

- Kripke, S., **Naming and necessity**, op. cit., p. 39.280

بل إنها تصدق دونما حاجة إلى وقائع مادية أو وصف لأحوال العالم. وقد كشفت أمثلة مناقضة عن عدم كفاية تحديد "الضرورة" نحو:

(أ) كل من له عينان زرقاوان له عينان.

(ب) الأرض الدائرية دائرية.

حيث تلتبس مفاهيم "الضرورة" و"التحليلية" و"القبلي" و"التجريبي" (أو البعدي) نظرا لكون (أ) و(ب) تقولان شيئا عن العالم وتحملان، مع ذلك، صورة منطقية تدل على صدقهما المنطقي. غير أننا في (أ) لا يمكن أن نقول إنها صادقة منطقيا، ونكتفي بذلك، بل يجب أن نمحص الإحالة الواقعة حتى أن الصدق المنطقي يتداخل مع التجربة أو الواقعة التي يشير إليها كل من (أ) و(ب).

لقد وجدت المواضع التي غدت ملاذا للوضعيين المناطق كثيرا من الاعتراضات شككت في أسسها إلى جانب النزعة الماهوية المتأخرة التي حاولت أن تقدم تحديدات لمفهوم "التحليلية" و"الضرورة" يحترز من الوقوع في مؤاخذات "كواين" الشكية.

ولهذا انبرى "صول كريبيكه" في مقالته "الهوية والضرورة" (1971) ²⁸¹ وكذا في كتابه المذكور التسمية والضرورة ليعيد لمفهوم "الضرورة" دلالاته التي

- Kripke, (1971) 1977, *Identity and necessity*, in Munitz (ed) *Identity and* 281 *individuation*, 1971.

شكك فيها "كواين". فهناك، في نظر "كريبكه" معان كثيرة "للضرورة" حصرها في الآتي:

1- يمكن الحديث عن نزعة ماهوية حتى بالنسبة للحقائق المنطقية الضرورية، وإن لم يتعلق الأمر فيها بقضية تحليلية لا تدين لها العبارة الضرورية في صدقها الضروري:

"إذا كانت النزعة الماهوية تستعمل بهذه الطريقة، فإن مضمونها المحدد يتوقف على الكيفية التي نستعمل بها مفهوم "تحليلية" نفسها. فعلى سبيل المثال، نجد أن التعريف الأصلي الكانطي للحكم التحليلي كحكم يكون فيه المحمول متضمناً في الموضوع (...) حيث $12 = 5 + 7$ " لا يمكن اعتبارها "تحليلية"، فهي أي $12 = 5 + 7$ ليست من صنف العبارات ذوات الصورة الحملية موضوع محمول، وعلى الأقل، يوجد معنى واحد لـ "متضمن في" لا يكون فيه "12" متضمنة في $5 + 7$ (قد يعرف شخص ما ما معنى "7" و "+" و "5" دون أن يعرف معنى "12"²⁸²).

2. النزعة الماهوية القاضية بأن "الضرورة" و "التحليلية" لا يتوقف صدقهما على معنييهما، بل يتوقف على ما تحيل عليه خارجها أي على العالم. وقد عد كل من "مل Mill" و "لوك Locke" أنه من الخطأ الشنيع القول بوجود صدق خارج العالم يكون موقوفاً على المعنى باستقلال عن التجربة

- Sybil Wolfran, *Philosophical logic*, op. cit., p. 112.282

بدعوى أن "جواهر الفئات ليست سوى معاني لأسمائها". ولهذا يرى "مل" أن النزعة الماهوية "خطأ أساسي" و"ادعاء لا معنى له" فالمعاني المستقرة في الأذهان إن هي إلا صور لما هو في الأعيان.

3. أما المعنى الثالث فإنه يتحدد في الإيمان بوجود حقائق ضرورية بخصوص الموضوعات أو الأشياء. وهي ضرورة مستقلة عن الكيفية التي تتعين بها الأشياء أو الموضوعات. وهذا النوع من النزعة الماهوية التي تقر بوجود ضرورة قائمة في الأشياء ذاتها هو ما هاجمه "كواين" معتبرا أن الجهات التي تقع تحتها العبارات التي تكون من قبيل:

ضاك (س) (من الضروري أن س = الذهب، ك = معدن) فالجهة "ضا" لا تقال، في نظر "كواين" على الموضوع أو الشيء، بل على كيفية تكلمنا عنه. ومن هنا فإن الأسوار تختلف عن الجهات بكونها ترتبط بموضوعاتها بينما الجهات تتعلق بقناعاتنا واعتقاداتنا وتصوراتنا التي نكونها من خلال كيفية تكلمنا عن الموضوعات أو الأشياء.

ويعود القول بالنزعة الماهوية (المعنى القائم بالضرورة في الشيء أو الموضوع) إلى "أرسطو". ويمكن أن نميز داخل هذا الصنف، على الأقل، معنيين مختلفين:

هناك حقائق ضرورية بخصوص الأشياء:

أ. هناك أشياء أو موضوعات أو نمط من القضايا تكون صادقة بالضرورة.

ب . هناك أشخاص أو قضايا متعلقة بما نثبتته لأشخاص
مخصوصين بحيث نقول عنها أنها صادقة بالضرورة.

لقد ناقش "كواين" هذه الجهة لتصور معنى الضرورة مراجعا المفهومين
القروستين جهة الحقيقة وجهة الاعتبار modalité de re et modalité de dicto
وسنفرغ لهذه المسألة في الجزء الثاني الذي خصصناه للدلائليات وفلسفة
المنطق الثالث من هذا البحث الذي خصصناه لقضايا فلسفة المنطق .

لقد اجتهد "صول كريبكه" فأبرز صنفًا ضعيفًا للضرورة، فضلًا عن
إدخاله لمفهوم المُعَيَّنات الجامدة rigid designators المُعَيَّن الصلب عبارة لا
يمكن أن تُعَيَّن أو تستعمل للإجابة على أي شيء سوى ما تُعَيَّنُه حاليًا،
وتظل كذلك طالما أنها تحتفظ بنفس المعنى".

وينقسم المعنى الصلب إلى:

- (أ) معيّن جامد قوي وهي معينات تجمد على مسمياتها فلا
تحيل سوى عليها لا غير نحو: "9" و"5"؛
(ب) معين جامد ضعيف قد يحيل على شيء آخر عدا
مسماه.

وقد انتقد "كريبكه" رفض "كواين" للمعنى والضرورة نذكر منه
النتيجة التالية:

"ما هو المثال المشهور الذي ضربه "كواين"؟ لم أخذنا العدد 9، هل نجد أنه يتوفر بالضرورة على خاصية الفردية؟ وهل هو عدد مفرد في كل العوالم الممكنة؟ من المؤكد أنه صادق في كل العوالم الممكنة بحيث لم يحصل أن غاير نفسه فكان بخلاف ما عليه 9. ومن الطبيعي أن 9 قد تكون، أيضا، متساوية لعدد الكواكب، فهي لا تكون هنا ضرورية، ولا صادقة في كلِّ العوالم الممكنة؛ لأنه ليس من الضروري أن يكون عدد الكواكب عددا فرديا"²⁸³.

لقد توصل "كريبكه" إلى القول بوجود حقائق ضرورية بعدية فالعبارة : "فاز "ريتشارد نيكسن Richard Nixon" في الانتخابات" قد تبدو عبارة حادثة وبالتالي ممكنة. غير أن العبارة "الرجل الذي فاز في الانتخابات الأمريكية لسنة 1968 التي تعين نيكسن ستكون صادقة بالضرورة لأنها تؤول إلى عبارة صادقة صدقا منطقيا. فلو عيّنا "نيكسن" معتبرين إياه "الرجل الذي فاز في الانتخابات الأمريكية لسنة 1968" فإنها ستنتهي إلى حقيقة منطقية بالطبع لأن الرجل الذي فاز في انتخابات 1968 بأمريكا هو الذي فاز في انتخابات 1968 بأمريكا²⁸⁴ فهي عبارة تحليلية، وبالتالي ضرورية.

وسنبين ردود كواين على هذه الاعتراضات وما كان من قبيلها في الجزء الثاني من هذا العمل والقول الجامع في هذا الفصل أن "كواين" قد هاجم

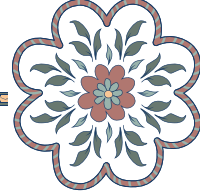
- Kripke, *Naming and necessity*, op. cit., p. 40. 283

- Ibidem.284

نظرية المعنى من منطلق امتناع التحدد وأبطل التفريق بين التحليل والتركيب ليفند وثوقية النزعة التجريبية القاضية بوجود وقائع مادية وصور منطقية تعبر عنها داخل بنية أو لغة. وسينعكس إبطال التفرقة بين التحليل والتركيب على معتقد نزعة الرد.

وقد لاحظنا أن كواين قد انهال على الصرح الدلالي الذي أقام عليه الوضعانيون التجريبيون صرحهم النظري، كما انتصر لرؤيته التي تلفظ المعنى وكل ما يقوم عليه من اعتبار لذوات قائمة في الأذهان يسوغ بها الترادف والتحليلية والتعريف والضرورة وما إليها من متعلقات المعنى فهل واجه كواين نظرية الإحالة بنفس الضراوة التي واجه بها نظرية المعنى؟

الفصل السادس :



دعوى امتناع تمحيص الإحالة

توطئة

تعتبر نظرية الإحالة عند كواين أقل عرضة للنقد من نظرية المعنى؛ وذلك لأن الإحالة تقتزن بمفاهيم منطقية من قبيل الصدق والمصدق، وقيم المتغيرات، وما إليهما من المفاهيم التي محصها كواين في ضوء التحليل المنطقي الذي كشف له عن دعوى ساقها بخصوص الإحالة؛ ويتعلق الأمر بدعوى امتناع تمحيص الإحالة الذي يحضر بقوة في أطروحته الشهيرة حول امتناع تحدّد الترجمة التي سنتعرض لها في الجزء الأخير من هذا العمل.

وقد أرجأنا النظر في مفهوم الإحالة عند كواين، وكان حريّا بنا أن نعالجه إلى جانب مبحث المعنى؛ وذلك لأننا ارتأينا أن نجعله تمهيدا لدعوى كواين الفلسفية بخصوص مسألة الالتزام الأنطولوجي ودعوى النسبية الأنطولوجية، وامتناع تحدّد الترجمة، ودعوى طبيعانية المعرفة وشمولية الحقيقة التي عالجناها في الجز الثالث؛ وسيلاحظ القارئ أن لنظرية كواين في الإحالة مكانة رئيسة في مختلف طروحاته المنطقية – الفلسفية.

1. مكانة نظرية الإحالة في فلسفة كواين:

تدخل تحت دعوى امتناع تمحيص الإحالة دعوى التمييز بين الإحالة الظاهرة والإحالة الخفية²⁸⁵ وهي دعوى تتعلق بغموض السياقات "الموجّهة" كما سنبينه؛ فقد أعاد "كواين" النظر في إشكالية ورثها عن "فريغه"؛ ويتعلق الأمر باشتغال الخطاب تارة بكيفية إحالية (= ماصدقية) وتارة بكيفية غير إحالية؛ ومن هنا انتبه "كواين" إلى وجود سياقات متباينة انتهى في دراستها إلى التمييز بين الإحالة الظاهرة والإحالة الخفية.

وقد كان معياره هو الإبدال الحافظ للصدق أو قابلية الإبدال مع حفظ الصدق *Substituability salva veritate*. ويفيد هذا المعيار:

12- أنه كلما أبدلنا حدًا أو عبارة بعبارة أخرى ولم تتغير القيمة الصدقية، نقول حينها إنه قد تمّ الإبدال الحافظ، وبالتالي فالإحالة ظاهرة.

13- وأما إذا كان السياق الإحالي الماصدقي لا يسمح بإجراء الإبدال بحيث لا تتغير القيمة الصدقية فنقول بأن الإحالة معتمدة أو خفية نحو:

- D. Vermant (19) Introduction à la philosophie de la logique et du langage, p. 285

1. "فينوس" تنوب مناب 'نجمة السماء'.

في حين أن الإبدال يكون مستحيلا في:

2 "فينوس" مكونة من خمسة أحرف.

لأن "نجمة السماء" مكونة من عشرة أحرف؛ ففي هذه الحالة تكون الإحالة خفية لأن "نجمة السماء" لا تسد مسد 'فينوس' ولا تنوب منابها في هذا السياق الذي تكون فيه الإحالة المنعكسة على ذاتها
..autoreference

لم يعتبر "كواين" أن نظرية الإحالة توجد في وضع سليم بخلاف نظرية المعنى. فمع أنه يعادي، لالتزامه بالنزعة التجريبية، المعاني الذهنية، أي الذوات المجردة، فقد اعتبر أن مفاهيم نظرية الإحالة كمفهوم الصدق، وقيم المتغيرات، والتسمية، والمصدق والإحالة، مفاهيم تحتاج إلى تمحيص خصوصا وقد انتبه قبله "فريغه" و"راسل" إلى مشكلات ظهرت من جراء تحليل علاقة المعنى بالإحالة.

وقد تبين لنا أن "كواين" هاجم النزعة التجريبية في شخص عَلمِها المُتميز: "كارناب"، وأبطل التفريق بين التحليل والتركيب لامتناع وجود معيار قويم أو وقائع كافية لإثبات الفرق بين العبارة التحليلية والعبارة التركيبية، كما أنه أبطل نزعة الرد، وهكذا انتهى إلى نسبية لسانية.

تفيد دعوى امتناع تمحيص الإحالة أو المُسمّى أن الإحالة تكون مرتبطة أيّما ارتباط بالأنطولوجيا، والحال أن الأنطولوجيا نفسها غير محددة بواسطة اللغة لامتناع الانتقال من اللغة إلى العالم المعمور بالأشياء التي نتكلم عنها؛ ومع ذلك، فإن اللغة لا تسلم سوى باللغة، واللغة لا تقتضي سوى اللغة.

يضرب "كواين" مثلا اشتهر به، ويتعلق بالترجمة التي يقدم عليها أحد الأنثروبولوجيين لينقل لغة قوم يجهل تماما لسانهم، فلو نطق، أو تلفظ، شخص ما من هؤلاء القوم الذين يتكلمون لغة يجهلها المترجم، فسنجد أن هذا المترجم لا يملك من الأمر شيئا سوى أن يربط هذا التلفظ بظروف الإثارة.

فمع أن المترجم يدرك أن الشخص يشير، مثلا، إلى "أرنب"، فإنه لا يعلم كيف يقطع اللفظة: هل هي لفظة واحدة بمثابة اسم علم، أم أنها تشير إلى عبارة تفيد "أرنب يجري"، أو أنها تعني شيئا آخر...؟ فلو فرضنا أن أكثر من مترجم حاولوا نقل الواقعة، فإننا سنكون إزاء تقديرات تغيب عنا إمكانية تمحيصها.

وتقترن دعوى امتناع تمحيص الإحالة بدعوى نسبية الأنطولوجيا وهي دعوى تقوم على مبدأين سنفحصهما في الجزء الثالث من هذا العمل، وهما "لا ذاتية بدون هوية" و"أن يوجد الموجود يعني أن يكون قيمة

لمتغير ما"؛ وقد اختص كواين بإضفاء الطابع الجذري على التحليل
الراسلي (نسبة لراسل).

ونجد إلى جانب دعوى نسبية الأنطولوجيا دعوى الالتزام أنطولوجي التي
تسند الدعوى السابقة، وتتعلق بالنظرية العلمية من حيث أن العالم في
بنائه العلمي يلتزم بإحالات على موضوعاته. ولتقريب المسألة نذكر أن
كواين سيعمق النقد الذي وجهه راسل للعلامات اللغوية ذات الإحالة
الشبيهة Pseudo-référentiels بوضع حد لافتراض أنطولوجيا لذوات غير
موجودة.

وهكذا، تسند نظرية الإحالة دعاوى كواين الأساسية كدعوى النسبية
أنطولوجية، ودعوى امتناع تحدد الترجمة، ودعوى امتناع تحدد النظرية
العلمية التي تعد خلاصة فلسفته في العلم والمعرفة لاقترانها بدعوى
الشمولية Holism والنسبية ونقد النزعة التحقيقية Verificationism. كما أنها
تضع حدا للبرنامج التجريبي القائم على النزعة التجريبية التي تدعى: إن
مبدأ قابلية التحقق (= م ق ت) يقضي بأن قضية مركبة يلتبس معناها
بطريقة التحقق منها؛ وبالتالي، فإن القضية التجريبية التي لا تكون قابلة
للتحقق، تكون غير ذات معنى.

وقد أشرنا، في الفصل السابق، إلى تفويض "كواين" من الأركان التي قامت
عليها النزعة التجريبية المنطقية نذكر منها ما اعتبرهما - أي كواين -
معتقدين للنزعة التجريبية المنطقية ألا وهما: (1) النزعة الردية، (2)

التفريق بين التحليلية والتركيبية؛ وما دعاوى كواين، على العموم، سوى رد نقدي على هاته النزعة، وإبطال لأركانها.

نجد مثلاً أن ما أمنت به التجريبية المنطقية من أفكار قد باء بالإخفاق، إذ لم تتمكن التجريبية من إعادة بناء العلوم بترجمتها منطقياً (أو تنسيقها) في لغة منطقية محكمة لا تتسرب إليها الميتافيزيقا إيماناً منها بأن وحدة العلوم تتلخص في تنسيق الفيزياء. وما دعاوى امتناع تحدّد النظرية العلمية التي صاغها كواين إلا برهان بالخلف عن بطلان زعم الوضعانيين المناطقية؛ هذا فضلاً عن مراجعة "كواين" للمفاهيم الإحالية التي ستضع حدّاً لهذا الطموح.

لقد ادعت التجريبية المنطقية وجود قضايا ذات معنى منقسمة إلى: قضايا تحليلية (صادقة بفضل معناها، وفي استقلال عن التجربة؛ وبالتالي عن التحقق، وقضايا تركيبية متوقفة على التحقق التجريبي. وقد أبطل "كواين"، كما بيناه في موضعه، هذه الثنائية. لقد انهار الاعتقاد في وجود ملفوظات أو أقوال تجريبية خالصة هي القضايا القاعدية التي يمكن أن نقابلها ونواجهها مباشرة بالتجربة (امتناع تحدّد النظرية العلمية)، كما انهار معيار التحقق الذي ظهر أنه لا يصمد أمام النقد الكوايني.

وقد بين "كواين" أن هذه الدعاوى مهزوزة بدعوى أن القضايا العلمية التجريبية لا تقابل الواحد بالواحد، الوقائع الفيزيقية. وهي دعاوى تعرف

بدعوى شمولية التحقق Verificationis، وتقضي دعوى الشمولية أن القضايا والأقوال النظرية المجردة أو الأعم لا تبني، دائما، انطلاقا من أقوال قاعدية، وترتد إليها لأن كل قضية أو عبارة تحمل شحنة نظرية وشحنة تجريبية مما يمتنع معه فصل الوقائع المادية عن الوقائع اللغوية. ولهذا فإن نظرية الإحالة تحظى عند "كواين" بقيمة نقدية ذلك أن فحص مفاهيمها كان وراء الفصل في دعاوى رئيسة قامت عليها النزعة التجريبية المنطقية.

2. الإحالة والاستعمال:

لقد نشطت البحوث والدراسات في حقل علم الدلالة خصوصا نظرية الإحالة، وهكذا كشف فلاسفة اللغة الطبيعية عن علاقة الإحالة بالاستعمال. فمع ظهور مقالة "ستراوسن"²⁸⁶ ظهرت مرحلة جديدة في توجه ومسار الفلسفة الأنغلسكسونية تحت تأثير "فتغنشتاين" في المرحلة الثانية من عطائه الفكري حيث انبلجت الفلسفة التحليلية المنصبة على اللغة الطبيعية التي دعنا إلى هجرة المسلمات العلمية والمنطقية للنزعة التجريبية المنطقية.

ويمكن أن نلخص هذا التوجه الفكري في ظهور النزعة الذريعية؛ وأما ما أسهم به "ستراوسن" فيتجلى في تقديم دراسة نقدية تحليلية للتحليل

- P.F. Strawson, « on refering », *Mind*, (1950).286

المنطقي الذي اعتمده "راسل" فقام بخلخلة مسلماته. وهكذا ميز "ستراوسن" بين المعطيات الأساسية التالية:

باهي الجملة أو العبارة؛

جاهي استعمال با؛

حاهي التلفظ ببا.

وبناء على هذه المعطيات الأساسية، أضحي موضوع الإحالة لصيقا بالاستعمال، بل إن الإحالة غدت مسألة تقترن أيما اقتران بالاستعمال، ويوشك "كواين"، لتشبعه بأفكار وفلسفة "بيرس" أب النزعة الذريعية، أن يأخذ بالاستعمال وبالبعد الذريعي للغة لولا اعتناقه المذهب السلوكي.

لقد جاء في مقالته "الاستعمال ومكانته في المعنى"²⁸⁷ أن "الكلمات والعبارات تحيل على الأشياء بطريقتين على حد سواء: يعين الاسم أو الرسم الشخصي موضوعه، إذا كان هناك وجود لذلك الموضوع"²⁸⁸؛ ويحيل المحمول على كل موضوع من الموضوعات التي يصدق عليها. وذاينك

- W.V. Quine, « Use its place in meaning » in theories and things.²⁸⁷

وقد شارك بهذه المقالة في مجلة The monist، المجلد 2 : 62، أبريل 1979 تحت عنوان "المعنى المعرفي" « cognitive meaning » كما ساهم به في تكريم بارهيلال Barhillel بأورشليم 1976.

²⁸⁸ .يدخل في هذا الاعتبار أسماء لا مسميات متعينة لها نحو: "الفينقي" أو "العنقاء" أو "الدائرة المربعة"، ونحو ذلك.

هما الصنفان الاثنان للإحالة: التعيين والمعنى الأصلي designation and
.denotation

وقد قلنا غير ما مرة، وعن حق، أنه لا صنف من الصنفين ينبغي أن نخلطه، أو يلتبس علينا بالمعنى: يعين الرسمان: "مؤلف كتاب الحروف" و"مؤلف آراء أهل المدينة الفاضلة" نفس الرجل، أي أبو نصر الفارابي، غير أنهما يختلفان في المعنى، ويمكن للمحمول أن يحيل على كلّ واحد من الأشياء في الوقت الذي يكون له معنى واحدا ف مسح.

فلا حدود لما يمكن أن يُشار إليه أو يحال عليه، إذ كل أصناف الأشياء تكون معينة أو مُشار إليها²⁸⁹ وأما المظهر الثاني فيتجلى فيما يتحاشاه "كواين"، وهو التسليم بوجود "المعنى". فالمعنى عنده "اسم مشترك"، واسم مشترك حقيقي يوجد في كل لغة يتكلمها الناس. فنحن، نلاحظ "كواين"، نتساءل عن معنى كلمة ما ثم نعطيها معنى، كما أننا نعتقد أننا نعرف معنى لفظة أو عبارة مثلما نتكلم عن قدرتنا على التعرف عما إذا كانت لفظة أو عبارة ما تتوفر أو لا تتوفر على معنى، بل إننا نتحدث عن كون عبارتين أو كلمتين مترادفتين بناء على اتحادهما في المعنى...

غير أن هناك سياقاً واحداً "لا نستطيع أن نسلم فيه بأن "معنى" هي السياق الذي يكون على نحو "المعنى هو"؛ أو "المعنى هو كذا وكذا". إن

- Quine, « Use and its place in meaning » in *Theories and things*, op. cit., p. 43.289

السؤال "ما المعنى؟" يصنف، إذن، في إطار السؤال الفلسفي الخالص²⁹⁰. وهكذا يمضي "كواين" في تحليل مفاهيم "العبارة" ليفحص الاستعمال.

يعتبر كواين أنه من الضروري تحديد العبارات لأن المعاني تلتصق بها إذ المعاني هي معاني العبارات، وهو يستعمل "العبارة" بمعنى متوالية من الأصوات أو الأحرف، إن تعلق الأمر بالمكتوب، وعندما يتكلم عن الجملة أو الكلمة فإنه يحيل، أيضا، على ما تتعين فيه، من حيث هي كذلك، في أصوات منطوقة أو أحرف مخطوطة.

وعلى هذا الأساس، فإن المعنى "هو شيء ما تتوفر عليه العبارة، أو متوالية من الأصوات، كشيء خارج عنها بالكيفية التي يتوفر فيها شخص ما على حساب بنكي أو على عمّ أو خال، فهي أي العبارة، تتوفر على معنى بفضل الكيفية التي تستعمل بها من قبل الجمهور"²⁹¹. إن العبارات أو الألفاظ تعني، أي أنها تحمل معنى. وهذا المعنى هو ما تقدمه تلك العبارات أو الألفاظ. غير أن "كواين" يتساءل عما تفعله العبارات حينما تدل أو تعني شيئا ما؟ وهل المعنى يقيم في ما يقع خارج العبارة؟ أهو صنعة الاستعمال ونتيجته أم هو مقيم في الإحالة؟

- Ibid., p. 44.290

- Ibidem.291

يعتبر "كواين" أن المعنى فعل لازم Intransitive: "إن العبارة تعني، والمعنى هو ما تقوم به أو ما تقوم به أية عبارة. فلكي نقول إن عبارتين متماثلتين في المعنى هو أن نقول، بالتالي، أنهما تعنيان نفس الشيء. ومن البين أننا عندما نتساءل عن معنى الأولى. إننا لا نطلب شيئا آخر غير ما تعنيه العبارتان"²⁹².

فلا حاجة بنا، إذا سلمنا بكون المعنى غير متعد أي أنه فعل لازم، وسعينا إلى البحث عما "تفعله العبارة عندما تعني". ولما كان تحديد المعنى مستعصيا فإن كل تحديد يتضمنه يظل، بدوره، ملتبسا وغامضا. وعلى هذا الأساس فحتى دعاة "الاستعمال" الذين اعتبروا أن معنى اللفظة أو الجملة قائم في استعمالها لم يخرجوا عن دائرة الاعتراض التي طوق بها "كواين" نظرية المعنى.

إن الميل إلى الاقتصاد الأنطولوجي ontological economy بإقصاء التدايعات التي نقع فيها عندما نقبل على إعطاء أساس للمعنى، الذي ماله من قرار، يفيد كثيرا النزعة الماصدية الكواينية:

"والآن بمجرد أن نفهم ماذا يعني، بالنسبة للعبارات، أن تعني نفس الشيء، يسهل علينا ويناسبنا أن نذكر بعض الموضوعات الخاصة بكيفية اعتباطية، ولنتركها تصبح مفعولة للمعنى

، و بهذا نبني فعل المعنى كفعل متعد.

لنختار مجالا للموضوعات، لهذا الغرض، ولنسند لها التعبير عن المعاني، وكل هذه الوقائع تكمن في أن نفس الموضوع يخصص دائما فقط للتعبير عن العبارات التي تعني نفس الشيء. وإن نحن استطعنا القيام بذلك، يمكن لنا حينئذ أن ندعي أن العبارات التي تعني نفس الشيء. تتوفر على نفس المعنى. وسيكون بإمكاننا أن نحمل في أذهاننا أن "تعني نفس الشيء"، تأتي في المقام الأول، وأما ما نطلق عليه المعاني فإنها تكون ملققة concocted .²⁹³

إن ما يؤكد عليه "كواين" هو امتناع وجود تصور مسبق لما قد تكون عليه المعاني من حيث هي كذلك. فنحن نقع في الدور والتسلسل حين نعتبر أن معنى عبارة ما هو مجموعة من العبارات التي تعني نفس ما تعنيه عبارتنا هذه! ويرى "كواين" أن هذا التحديد يسند نفس المعنى للعبارتين إذا وقفد إذا كانتا تعنيان نفس الشيء. بيد أن "تعني نفس الشيء" تفيد الاتحاد في "المعنى"، أو "المعنى" أو "الترادف"، وهو موقوف بدوره على تحديد المعنى. فتدبرا!

وينتقل كواين في مقالاته "الاستعمال ومكانته في المعنى" إلى التعريف الذي أجمل فيه "فتغشتاين" تصوره للمعنى باعتباره شيئاً لا يطلب إلا في الاستعمال²⁹⁴.

وهذا، يعلق "كواين"، لا يحصل إلا إذا كان عالمُ الدلالة التجريبي Empirical semanticist ينظر في السلوك الكلامي. وقد ادعى هذه الدعوى جون ديوي سنة (1925). فكتب أن "المعنى"، (ص: 179) "... هو، أولاً وقبل كل شيء، خاصية للسلوك"، ولكن ماذا يمكن أن يكون عليه المعنى باعتباره خاصية للسلوك؟²⁹⁵.

هذا السؤال الأخير، يعود بنا إلى ما سبق من دعوى امتناع تحديد المعنى. فالكيفية التي نتبعها، يقول "كواين"، في درس استعمال الألفاظ تجعلنا لا نقع على معطى ثابت نستند إليه في تحديد وحصر المعنى. فلو أخذنا كلمة 'طاولة' فما هي الظروف التي نستعملها فيها؟ إنها كل العبارات التي ترد فيها الكلمة بحيث سبق أن استعملت أو استعملت أو ستستعمل فيها، وكل **المواقف الإثارية** Stimulatory situations التي أنطق فيها أو سأنطق بهذه العبارات²⁹⁶.

294. وقد سبق لنا أن أشرنا إلى مساهمته، أي "فتغشتاين في النظرية الاستعمالية للمعنى، ظ ما سبق.

- Ibid., p. 46.295

- Ibid., p. 46.296

تكمّن الفائدة الوحيدة التي حملتها لنا النظرية الاستعمالية- في نظر "كواين" - في تطوير الجانب النظري للمعنى بحيث حاولت تفسير الترادف كعلاقة تدل على تكافؤ المعنى بناء على الاستعمال: إن العلاقة الترادفية، أو تماثل المعنى *Sameness of meaning* ، تحدد في تماثل أو تكافؤ الاستعمال *Sameness of use*.

كيف نضبط، إذن، الاستعمال الذي نحدد به المعنى؟ يجيب كواين بأن المعجمي *Lexicographer* يعتمد إلى تمييز معاني الكلمة فيشرع بتقديم كل المرادفات الممكنة ثم يورد سياقاتها. ويكون عليه حين يقوم بذلك أن يميّز، كما يلاحظ كواين، أصناف السياقات بتزويدنا بتخصيص عام لكل سياق على حدة، مع الإحالة باستمرار على الموضوع *Subject matter* ²⁹⁷.

وما سبق من القول بامتناع تمحيص الإحالة يقوم دليلاً على نقيض المطلوب المعجمي؛ ولهذا سعى كواين إلى توسيع مفهوم الاستعمال ليضم المعطيات السلوكية حيث اعتبر أنه بدل القول بأن ترادف كلمتين أو عبارتين يعني تكافؤهما أو اتحادهما في الاستعمال معه: تكون عبارتان أو كلمتان مترادفتين، من وجهة نظر سلوكية، إذا وفقط إذا، اقترن التلفظ بهما بالاستجابة لنفس المواقف الإثارية.

هل يكون كواين قد ألغى بهذا الدلالة المفهومية أو الدلالة المعرفية؟ ليس الأمر كذلك، فما قام به مجرد ردّ التكافؤ المعرفي للعبارات إلى تكافؤ ماصديقي موقوف على الشروط الصدمية. وتتجسد هذه الشروط في الشروط الإثارية في كل ما يكون وراء تلفظنا بكلمة أو عبارة ما. وقد يعترض معترض بأن يبطل وجود أي ترادف أو تكافؤ في المعنى الذي يفيد أن "عبارتين تكونان متكافئتين دلاليا إذا كانتا تستجيبان لنفس الشروط الإثارية" مدعيا أن تلفظنا، في ظروف إثارية ما، بعبارة ما دون ما يرادفهما قد يكون مدعاة لرفع الترادف بينهما بناء على افتراض أن اختيارنا أو تلفظنا بإحدهما، دون الأخرى، يقوم دليلا على أن ما تلفظنا به أنسب للظروف الإثارية مما لم نتلفظ به حتى ولو سلمنا بالتكافؤ المفترض بينهما ! هناك معيار آخر مفاده أن عبارتين تكونان، حسب "كواين"، مترادفتين إذا كان المتكلم يعتقد فيهما معا أو لا يعتقد فيهما معا أو لا يقر بهما معا بحيث تعني العبارة عا نفس ما تعنيه جـا بالنسبة لـ س إذا وفقط إذا كان يقر بهما معا أو ينكرهما معا تبعا لمواقف إثارية محددة.

ومن هنا ينقلنا كواين من التكافؤ المعرفي إلى التكافؤ المادي²⁹⁸. ومع ذلك فإن المشكلة تظل قائمة وإن ربطنا المعنى بالمواقف الإثارية وأخضعناه لشروطها الصدمية. والحل الذي يقترحه كواين، يقضي بتبني "ما أسماه جون ستيوارت مل" التغير المصاحب concomitant variation. وعلى هذا

- Material equivalence not cognitive equivalence, op. cit., p. 48. 298

الأساس يدعونا كواين إلى حصر اهتمامنا وتركيز انتباهنا في هذه الطريقة: ينبغي التركيز على ما أطلق عليه العبارات الظرفية occasion sentences، وهي "العبارات التي تتغير قيمها الصدقية من ظرف لآخر، بخلاف العبارات الثابتة standings sentences أو الأبدية eternal sentences. وتختص العبارات الظرفية بكونها تتضمن ألفاظا إشارية/إحالية، وتتوقف، بالأساس، على أزمنة الأفعال.

ومن الأمثلة التي يقدمها كواين للعبارات الظرفية: "هذا أحمر" و"مرّ من هناك أرنب"... إلخ. فهذه العبارات لا تحصل على قيمة ثابتة، بل تتغير وفق الظرف فلو قلنا مثلا أن "هذا أحمر" قيلت في حق غراب فإنها ستكذب، لأن الغراب أسود، وإن اتفق أن أشرنا بها إلى الدّم، فإنها تصدق أو إلى قميص صادف أن كان لونه كذلك فإنها تصدق.

وبالجملة فإن العبارة الظرفية تتبع زمن الفعل والضمير وما يتعلق به أو الاسم، أي أنها تتبع كل ما يشير إلى الموقف الإثاري الذي تم فيه التلفظ بالعبارات الظرفية. وهي عبارات ينبغي أن نعتبرها عبارات الملاحظة أو عبارات عيانية observation sentences، في حين نجد أن عبارات من قبيل "إنه عازب" ليست عيانية بل هي عبارات ظرفية فحسب، فالعبارة المذكورة تتغير قيمتها الصدقية تبعا للقيمة الصدقية للضمير "هو".

لم يتوقف كواين عند هذا الحد بتوسيع دائرة الاستعمال، بل اعتبر أن تكافؤ العبارات إنما يعود إلى متكلي لسان ما: "تكون العبارات متكافئة

بالنسبة للغة إذا كانت متكافئة بالنسبة لكل ناطق بها²⁹⁹. وهذا التصور يعتبر اللغة نشاطا اجتماعيا مبدؤه الفرد، أي دماغ الفرد كمحصل لوقائع يعرفها بما يدل عليها من ألفاظ في ظروف إثارية مختلفة ينتج عنها الفهم الذي قد يقيم تكافؤا معرفيا بينها أو يعزلها عن بعضها: ويكمن التكافؤ المعرفي بين عبارتين ظرفيتين بالنسبة لناطق بلسان معين في استعدادة للإقرار أو الإنكار بخصوص مطابقة ما يتلفظ به مخاطبه في ظروف إثارية مخصصة³⁰⁰.

يمكن أن نخلص، من الآن، إلى أن منظور كواين لمسألة الإحالة لا يزرع فيه إلى تجريبية منطقية ظاهرة، بل إنه ينتقد تحجّر هذه النزعة وضيق أفقها النظري متخذا لنفسه مسافة تسمح لنا باعتباره داعية النزعة التجريبية المعتدلة أو النسبية أو ما بعد التجريبية المنطقية Post logical empiricism. وذلك انطلاقا من دحضه لمعتقدات الوضعية المنطقية الجديدة التي تأتي على رأسها (أ) نزعة الرد و (ب) التفريق بين التحليل والتركيب، و (ج) فصل العلم عن الفلسفة....

لقد لعبت مواقف كواين النظرية من مسألة الإحالة، كما سنرى، دورا كبيرا في دعم أبرز دعاويه حيث نجدها تسند، مثلا، دعوى امتناع تحديد الترجمة بموقف من الإحالة، خصوصا امتناع تمحيص الإحالة، فقد

- Ibid., p. 50.299

- Ibidem.300

رفض كل زعم بوجود دوال مرتبطة بصور ذهنية وتمثيلات نفسية أو أفكار مجردة تكون بمثابة ذوات قائمة في الأذهان. فماذا يفيد موقف "كواين" من مسألة الإحالة الذي يقضي بامتناع تمحيص الإحالة

reference ؟

إن دعوى امتناع معيار التحقق التجريبي وامتناع تحدد النظريات العلمية Underdeterminacy of the scientific theories إلى جانب دعوى النسبية الأنطولوجية تستند إلى نتائج البحث الكوايني في مجالي المعنى والإحالة. فلنقدم أولاً، بعض التحديدات والمواقف الدلالية لكواين لتتعقب، بعد ذلك، أثرها في الدعاوى المذكورة.

3. امتناع تحديد المعنى وامتناع تمحيص الإحالة

Inscrutability of

reference :

لقد آمن التجريبيون المناطقية بأن لغة العلم تنقسم إلى معطيات تجريبية هي مضمون العبارات وصور منطقية هي مبناها. وهكذا يمكن أن نحلل لغة العلم بعون المنطق والتجربة بحيث ينسق المنطقي اللغة باعتماد عدة منطقية تنضبط بلغة صورية محكمة ذات قواعد صارمة. وبهذا الإحكام للغة بواسطة حدود نظرية قابلة للتعريف، هي الأخرى، بآليات منطقية أو مجموعية (نسبة إلى نظرية المجموعات) أو العيانية طالما أن قواعد التوافق طالت التي تربط المسلمات النظرية نا بالتأويل الفيزيقي أو الظاهري

Phenomenale تتصور بمثابة تكافؤات تعريفية Equivalences définitionnelles. وفي هذه الحالة ظل مبدأ التحقق هو ما يعول عليه: تحصل كل عبارة في نظرية علمية ما على معناها التجريبي إما بطريقة مباشرة أو عن طريق التعريف. وعندما واجهت هذا الموقف الفلسفي معضلات ناقضته مع كثير من مبادئه الجوهرية هرع فقهاء العلم والمناطقة إلى إنقاذ الوضع بالقبول بإدخال اعتبارات ذريعية Pragmatical considerations. لقد اكتشف كارناب أن صياغة حقيقة علمية نحو "السكر يتحلل في الماء" تخرجنا كثيرا إن سعينا إلى تنسيقها في عبارة لزومية نحو:

1- $s \text{ يقبل التحلل في الماء} \equiv (z) (s \text{ وضع في الماء في } z \leftarrow s \text{ يذوب في } z + 1)$. لأن الشرط في المعرفات (على اليسار) يكون، بكيفية آلية، صادقا ولو كان المقدم كاذبا (بما أن الشرط يكذب في حالة صدق المقدم وكذب التالي). وبهذا ستكون أية مادة قابلة للذوبان أو التحلل حتى وإن لم توضع في الماء البتة! ولهذا يضع كارناب 2:

2- $s \text{ وضع في الماء في } z \leftarrow (s \text{ يقبل الذوبان في الماء} \equiv s \text{ يذوب في } z + 1)$ والآن، إذا كانت ع جسما أو مادة لم يسبق أن وضعت في الماء على الإطلاق، فإن العبارة الشرطية:

3- $s \text{ وضعت في الماء في } z \leftarrow (s \text{ تقبل التحلل / الذوبان في الماء} \equiv s \text{ تذوب في } z + 1)$ تكون صادقة، دون أن يلزمنا ذلك بإجراء التجربة

لأننا صادرنا على المطلوب، وهب أن المقدم كاذب، فلا يحق لنا حتى أن
نفصل عنه تالي العبارة لأنه لا يمكن أن ينتج بذاته.

يمكن أن نميز عدة سياقات إحالية ناقشها كواين وطورها بعد أن ورثها له
كل من فريغه وراسل وأعمال كل من تارسكي وكارناب مستلهما أفكار
أساتذته أمثال بيرس وديوي ونذكر هذه السياقات الإحالية على التوالي:

السياقات ذات الإحالة الانعكاسية (ou contextes autoréférentiels

؛ mention)

السياقات المفهومية contextes intentionnels ؛

السياقات الموجهة contextes modaux ؛

سياقات التسوير contextes de quantification .

وما دامت هذه السياقات تدخل التفريق الذي أقامه "كواين" بين
السياقات الإحالية الظاهرة transparents والإحالة الخفية و السياقات
الإحالية المهمة opaques فلنفحصها في هذا الإطار.

3 - 1 - الإحالة الظاهرة والإحالة الخفية:

اختص كواين بنثره كثيرا من الشكوك حول النظرية الماصدية للإحالة
حتى أن كثيرا من طروحاته نحو تفريقه بين الإحالة الظاهرة والإحالة
الخفية، تدخل في صلب كثير من مواقفه الفلسفية كما سيظهر. فقد قام
بصوغ إشكالية موروثه عن فريغه: يتعلق الأمر بالتساؤل عن الخطاب

الذي يشغل تارة بكيفية إحالية خالصة (ماصدقية)، وتارة بكيفية معتمدة وغير إحالية. فقد اجتهد كواين بدوره ليكشف عن السياقات المختلفة بحدود دقيقة أجرى عليها مراجعة في ضوء مفاهيم كثيرة مستمدة من التراث، على رأسها الإبدال الحافظ للصدق substitution salva veritate.

والمقصود بالإبدال الحافظ للصدق، أننا حين نجري إبدالاً داخل عبارة معينة بحيث ينوب متغير ما مناب متغير آخر، نقول إنه إبدال حافظ للصدق كلما كان الإبدال لا يؤثر أو يغير القيمة الصدقية للعبارة. وأما معيار العبارة ذات السياق الإحالي الظاهر، فهي تلك العبارة ذات الإحالة الظاهرة التي يتبين أنها تخضع لمبدأ الإبدال الحافظ للصدق ومثال ذلك: هل يمكن أن نعتبر أن للعبارتين: "بطلة الرواية الشهيرة لراسين 1677" و"ابنة مينوس وباسقاي" نفس الإحالة (أي هل تسميان نفس المُسمى)؟ نعم إنهما تسميان نفس الشخص بيد أنهما لا تحملان نفس المعنى (على النحو الذي نبه إليه فريغه بخصوص "نجمة الصباح" و"نجمة المساء" تسميان نفس المسمى، وتختلفان في المعنى).

إن ما يظل مطروحاً هو مشكل الإحالة. فيما أن المعنى مجرد منوال لتصوير المسمى، إذ أننا نلاحظ كثرة المعاني الدالة على مشار إليه واحد كالسيف، مثلاً، الذي نجد من أسمائه "الحسام" و"المهند" و"القاطع"... إلخ. ولا نلاحظ كثرة في المشار إليه ووحدته في اللفظ الدال عليه. وبناء عليه

قد نجد تلوينات في الألفاظ الدالة على مسمى واحد قد تستعار له نحو "الحسام" تطلق على "السيف" لكون يحسم، أو القاطع الذي يجرُّ ... إلخ؛. وعلى العموم، فالعبرة أو اللفظ يدل على معناه الذي يجعلنا نتعرف على المسمى المحال عليه: وهنا تطرح مسألة الإحالة ومظاهر المعنى Aspects of meaning؛ وهي تتعلق بما أشرنا إليه بخصوص مشكلة الحد الكلي:

إن ما يعيننا من هذه التساؤلات هو علاقة المعنى بالجنس الطبيعي، وكذا بتحديد الأنواع وتصنيفها. وإذا كان كواين قد انتقد النزعة الماهوية، وسخر منها فما هو موقفه من "النوع الطبيعي"، وهو الذي اعتبر أن الإحالة ممتنعة عن التمهيص، وبالتالي فإن كل تصنيف للأنواع أو الأجناس سيظل خاضعا لخلفية نظرية ومقيما، بالتالي، في اللغة؟

لقد كتب "مل" ما يلي:

"إن العاقلية مستغرقة في معنى الإنسان: ... وجوهر الإنسان يعني، ببساطة أن مجموع الصفات المعنية باللفظ وكل صفة من هذه الصفات مأخوذة بمعزل عن الأخرى، هي خاصية جوهرية للإنسان"³⁰¹، ووجد صداه في نقد كواين للنزعة الماهوية الأرسطية مبينا أن العاقلية في الإنسان تعد صفة جوهرية مثلها مثل "ذو رجلين"، فليس يعقل أن يقال في "زيد

- J.S. Mill, A system of logic, ratiocinative and inductive, universi of toronto 301

Press, 1973, tome I, pp : 111-112.

العداء" أنه يتوفر على صفة جوهرية هي كونه عاقلا وعلى صفة عرضية كونه "ذو رجلين"، فبما أنه "عداء" فلا بد "جوهريا"، أن يتوفر على صفة "ذو رجلين". وههنا نلاحظ أن النزعة الماهوية الأرسطية تهتز يقول كواين:

"ظل مفهوم الجوهر يمثل عند أرسطو- بما لا يدع للشك مجالا- الأساس الأولي للمفهوم المعاصر للمعنى أو المفهوم. فقد اعتبر أن الإنسان يكون عاقلا جوهريا ومشاء عرضيا. غير أن هناك اختلافا هاما بين هذا الموقف والاعتقاد في وجود المعنى. وانطلاقا من وجهة النظر هاته، سيكون هناك معنى، مع ذلك، (إذا تعلق الأمر فقط بتقديم الحجة) لكون العاقلية متضمنة في معنى كلمة "إنسان" في حين لا نجدها متضمنة في "مشاء" غير أن مشاء يمكن أن نعتبرها متضمنة في معنى "ذو رجلين" Biped في حين لا نجدها متضمنة في العاقلية.

وهكذا، فمن وجهة نظر تأخذ بوجود المعنى وتعتقد فيه، سيكون من اللغو أن نقول بأن الشخص المائل أمامنا، مثلا، والذي يكون "إنسانا" و"مشاء" في آن واحد. يعتبر جوهريا عاقلا، وعرضيا مشاء أو العكس، إن الأشياء جواهر غير أن للتعايير والصيغ اللغوية وحدها معانيها. إن المعنى هو ما يصبح عليه الجوهر بعد أن يتم فصله عن موضوع الإحالة ليلحق باللفظ"³⁰².

- W.V. Q. Quine, « Two dogmas of empiricism » in **From a logical point of view**, op. cit., p. 22.

وههنا، تطرح مشكلة التحليلية من جديد، فالقضايا التي تكون تحليلية، من وجهة نظر فلسفية خالصة صعبة المنال، وقد اعتبر كواين أنه حتى علاقة التحليلية لا تفلت من الاعتراض. فبالرغم من أن كثيرا من المناطق يعتبرون أنه من الممكن ردّ القضايا التحليلية إلى قضايا صادقة صدقا منطقيا بواسطة التعريف كأن نعرف "العازب" بـ "الرجل غير المتزوج" لنحصل على "ليس الرجل غير المتزوج برجل متزوج"، فإن الأسئلة التي تحضر مباشرة تقف في وجهنا وتتصدى لما نزعمه: "كيف نعتبر أن تعبير "العازب" هو "الرجل غير المتزوج"؟ من عرفه على هذا النحو، ومتى؟ هل يكون علينا أن نلجأ إلى معجم فنقبل ما يقترحه كصيغة واضح المعجم فتتخذها كقانون (...) إن واضح المعجم عالم تجريبي empirical scientist ينحصر عمله في تسجيل الوقائع السابقة فإذا وضع "عازب" باعتبارها تدل على "رجل غير متزوج"، فلأنه يعتقد أن هناك علاقة ترادف بين هاتين الصيغتين (...) إن التعريف الذي يمثل ما نقله المعجمي عن ترادف ملحوظ لا يمكن أن نأخذ به كأساس للترادف"³⁰³.

ينتهي كواين إلى رفض التعريف كوسيلة لنقل القضايا التحليلية من قضايا تحليلية بالمعنى الواسع إلى قضايا أو حقائق منطقية (= صادقة صدقا منطقيا)؛ وذلك راجع إلى تشكيكه في مفاهيم نظرية المعنى، بل وإنه يشكك حتى في عمل المعجمي الذي يقوم على الملاحظة والتدوين، لأن ما

- Ibid., p. 24.303

يحيل عليه يمتنع، كما رأينا، تمحيصه؛ ومن هنا نجد أنه يستثمر هذا الموقف الدلالي في دعواه القاضية بامتناع تحديد الترجمة الذي سنعالجه في الجزء الثالث من ها العمل.

2.3. الإحالة ومظاهر المعنى:

حظيت مسألة أصناف الألفاظ أو الأسماء *classes of words or names*، باهتمام بالغ من قبل المناطق واللسانيين وفلاسفة اللغة على حد سواء، وانتهت إلى التركيز على بؤرتين أساسيتين هما أسماء العلم نحو "الرباط" و"زيد" التي هي ألفاظ شخصية، وأشياء متعينة كلية أو أسماء لأجناس مشخصة للأشياء، أي الأنواع المفردة المتعلقة بالأشياء *individual kinds of things* وكذا العناصر المكونة لها نحو: "الذهب" فهو نوع من المعادن، وله وصف أو رسم يحدده الفيزيائي انطلاقا من المواد بالمسمى وبالمعنى والضرورة نحو: هل من الضروري أن نقول عن الغراب إنه بالضرورة أسود حتى وإن صادفنا صنفا من الغربان البيض؟!

لقد ميز المناطق بين الحدود الكلية وأسماء العلم حتى أضحي الفرق بين أسماء العلم والحدود من الجنس الطبيعي ظاهرا، غير أن المناقشات أفرزت تساؤلات فلسفية بصدد معاني الألفاظ عموما نُحملها في الضروب التالية:

الضرب الأول: يتوفر "الشيء" بوصفه جنسا طبيعيا على خصائص مميزة ظاهرة للعموم، مع أن كل عنصر من عناصر هذا الجنس

لا يتوفر، دائما على نفس الخصائص ف"الماء" أو "الذهب" كجنسين طبيعيين قد يختلطان بأجسام أخرى تدخل في تكوينهما دون أن تسقط عنهما تسميتهما للجنس الطبيعي لاحتفاظهما بالخصائص المميزة؛

الضرب الثاني: تتوفر الأشياء بوصفها جنسا طبيعيا على نفس التكوين الداخلي الذي نفهم بواسطته التسمية في علاقة به؛

الضرب الثالث: وهي الحالة التي تكون فيها الأشياء التي تشكل الجنس الطبيعي معروفة لدينا بمجرد أن نطبق اسم جنس الشيء المخصوص باعتماد المقصود من الأنموذج Paradigm أي ما لا يختلف بشأنه اثنان من صفات قارة أو نموذجية يتحدّد بها صنف الشيء؛

الضرب الرابع: الأجناس الطبيعية عبارة عن أشياء 'طبيعية' أي أنها أشياء من صنع الطبيعة وليست من صنع الإنسان؛

الضرب الخامس: يقوم تصنيف الأشياء في أجناس طبيعية بالأساس على "الطبيعة"³⁰⁴.

من البين أن هذه المظاهر للمعنى تتصل بإحالة الأجناس الطبيعية وأسماء العلم على موضوعاتها، ومعلوم أن كواين يعتبر أن الخط الفاصل بين

- Wolfram (Sybil) V, **Philosophical logic**, op. cit., p. 231.304

See again Quine, 1969, « Natural kind » in **Ontological relativity and other essays**, New York and London Columbia U. Press.

اللغة والعالم المعمور بالأشياء التي نحيل عليها ليس خطأ حاسماً لكلّ جدلٍ. فحتى ما يعرف بـ"الأجناس الطبيعية"، نجد أنها ما تزال تحظى بمحاولات جادة (خصوصاً مع "كريبكه" و"بلانتينغا") لإعطائها معنى رغم النقد الذي وجهه "مل" للحدود الكلية المتمثل في ما يلي:

(1) كل تصنيف للأشياء في أجناس إنما هو من صنع الإنسان، وليس من صنع الطبيعة؛

(2) كل تصنيف، بما في ذلك التصنيف الذي يرتب الأشياء في أنواع، إنما يقوم بالأساس، على مماثلات يقيمها الإنسان بين الأشياء والخصائص المشتركة بينها ليخلص إلى أن تعريف أسماء أجناس الأشياء إنما يتم بالخصائص المميزة.

ونحن إذا عدنا إلى الحدود الكلية في علاقتها بالأصناف الطبيعية، وجدنا أن التصنيف أخص من الحدود الكلية، إذ موقوف عليها؛ ومع ذلك، فإننا نلاحظ وجود تنوع في المبادئ التي ينطلق منها واضع التصنيف. فهناك عدة ألفاظ كلية وأسماء أجناس الأشياء تنطبق على الموضوعات بناء على تحديد خصائصها أو مميزاتها *properties of characteristics*، فمنها أسماء للخصائص نحو الألفاظ الدالة على الألوان، أو الأشكال أو نحوهما.

وبخلاف ما ذهب إليه لوك J. Locke وجون ستيوارت مل J. S. Mill حيث اعتبر كلّ منهما أن التصنيف يقوم على المماثلة، هناك مبادئ أخرى عدا

"التشابه" Ressemblance يقوم عليها التصنيف؛ وهي من قبيل الأمثلة التالية التي ضربها لنا سبيل ولفرم Sybil Wolfram:

- التصنيف القائم على الوظيفة كذاك الذي يتعلق بأعضاء الجسم التي تصنف بحسب وظائفها، وهذا النوع من التصنيف أقرب إلى الضرب الخامس من الأجناس الطبيعية؛

14- التصنيف الذي يعطي التعريف بناء على الأدوار أو الإضافة كأن نقول "كاتب" أو "تاجر" أو نحو ذلك، وهي ليست أجناسا طبيعية، إذ لا يتصف "زيد" مثلا بكونه ابن "عمرو" بالطبع أو أنه يحمل صفة أو ميزة لصيقة به تجعلنا نتعرف عليه بوصفه كذلك. إن الحدود من قبيل "مكري البيت"، و"بائع الفواكه" و"ناشر الصحف"... إلخ؛ تعد حدودا قائمة على تصنيف يأخذ بمقولة الإضافة ولا يأخذ بالجنس الطبيعي³⁰⁵.

- التصنيف بناء على الدور فهو ما نلقيه في حدود من قبيل "ذكر" و"أنثى" و"المهندس" و"العامل"، وإن كانت تظهر كما لو كانت جوهرية،

- P. Thom, 1996, *The logic of essentialism*, Kluwer Academie Publishers, 305

Dordrecht, Boston, London, pp. 316-318.

فإنها تقوم على الأدوار التي يضطلع بها الذكر والأنثى، المهندس والعامل...
وليسست تقوم على خصائص³⁰⁶.

- هناك تصنيف آخر يقوم على المجموعات المحصورة حيث
يغدو الجنس محتويا على مجموعة من الموضوعات المخصصة نحو
"سكان الرباط" فهي تضم أشخاصا كثيرين، وقد تصير مجموعة منعدمة
أو فارغة نحو "سكان أطلنتس"³⁰⁷.

يجد السؤال التالي ما يسوغه: ماذا عن الأنواع البيولوجية؟ هل يعد ما
يقوم به علم الأحياء من تجنيس وتصنيف للأنواع من صنع العلماء أم أنه
من صنع الطبيعية؟ وهل حين نصنّف بعض الحيوانات تحت فصيلة
"الكلاب"، نكون قد جمعنا كلّ التنوعات ومحونا كل التباينات؟ إن ما
يتبعه البيولوجي (= عالم الأحياء) هو الضرب الثالث.

إن كل القردة تدخل تحت نوع واحد وكذلك كل الكلاب والقطط ونحو
ذلك، غير أننا نلاحظ أن عملية التصنيف لا تراعي الحالات الشاذة كحالة
الحيوان الهجين Hybrid فتجري عليه نفس الطريقة لتضمه في نوع خاص.

- Op. cit., p. 23.306

307. "أطلنتس" هي الجزيرة التي تحدث عنها أفلاطون وقد غرقت بأكملها، فلا وجود لها وبالتالي
فلا وجود لسكان أطلنتيس..

وباختصار شديد، فإن حالة الأنواع البيولوجية لا تكرر دائما ما تقوم به الطبيعة حين تصنف على نحو ما، بل غالبا ما يتبع علماء الأحياء في تصنيف الأنواع سبلا متباينة قد يتوقف فيها التصنيف على بعض الوقائع، وقد يقوم على شرط كفاية توفر بعض الخصائص المميزة المشتركة بين أفراد النوع.

الواقع أننا لو تمعنا في استشكال موضوع الجنس الطبيعي natural kind مستحضرين الخلفية الدلالية الكوإينية، فسئلني أن هذا الجدال لا يغني أمام دعويي امتناع تحدد المعنى، وامتناع تمحيص الإحالة، فواقعية الجنس الطبيعي تتوقف على تصورنا للمعنى باعتباره منتزعا من الموجود بالخارج أو المشار إليه، بيد أن كلمة كلب لا تنبج!! فتدبر.

ما هو إذن، منطق أسماء الأنواع؟ هل تقول على توفير معايير نتعرف عليها من خلال النموذج المتوفر لدينا أم يجب أن تتوافر مجموعة من الخصائص المشتركة؟ أم أن الأمر يحتاج إلى التعرف على البنيات التكوينية في تطورها مع مراعاة المراحل؟

ينبغي أن نفرق، إذن، بين النوع الطبيعي والنوع الإسمي العادي Genre naturel nominal. فإذا كان ج. س. مل قد فضح الخاصية اللفظية للتمييز الأرسطي بين الجوهر والعرض آخذا بدعوى "لوك" القاضية بأن "ما يسمى بجواهر الفئات لم تكن سوى معان لأسمائها"، فإن "كوإين" ذهب إلى حد أبعد في التشكيك في النزعة الجوهرية الأرسطية، وفي نظرية الأجناس

الطبيعية. لقد أخذ "كواين" بالتمييز بين "الأجناس الطبيعية" و"الأجناس الإسمية" ومع ذلك فقد رفض النزعة الجوهرية. "فالمجموعات" و"الأجناس الاصطناعية" genre artificiels أجناس إسمية، وبالتالي فهي تمحو ما تسعفنا به الأجناس الطبيعية من كونها تساعدنا على رسم الفروق بين الأشياء.

ومع ذلك فقد وجد مفهوم "الجنس الطبيعي" مكانة رفيعة في فكر "كواين" الذي لم يأخذ بمفهوم "الخاصية" و"الجوهر" لارتباطهما بضرورة التسليم بوجود ذوات مجردة هي المعاني الكلية. ونظرا لإيمانه بمبدئه "لا ذات بدون هوية" No entity without, identity، فإنه اعتبر أن الأجناس الطبيعية هي بمثابة مجموعات الموجودات التي نتوفر على معيار موحد للتعرف عليها. فالأجناس الطبيعية تساعدنا إذن على الاستجابة لمبدأ الماصدية Principle of extensionality، فهي تلعب دور الشرط الضروري، في نظر "كواين"، لكي نثبت وجود الذوات: ف"لا ذات بدون هوية"³⁰⁸.

4. الإحالة والصدق وقيم المتغيرات :

لقد أشرنا، فيما سبق، إلى أن كواين يُدخل تحت نظرية الإحالة مفاهيم نحو "الماصدق" و"الصدق" و"التسمية" و"قيم المتغيرات"، وقد اخترنا أن

- Ibid., p. 183.308

نفحص بعضها، خصوصا ما يلعب دورا كبيرا في تأسيس طروحاته الأساسية وفي خدمتها.

لقد بينا أن مفهوم الإحالة ذاته يعاني من مشكلات تتعلق بتحديد الماصدق، وتبين لنا أنه ليس أقل عرضة للنقد من مفهوم المعنى ذاته. غير أن ما لاحظناه هو أن كواين لا يتعامل على مفاهيم نظرية الإحالة بالقدر الذي يهاجم به مفاهيم نظرية المعنى. فكيف عالج "كواين" مفاهيم نظرية الإحالة؟

لقد اخترنا، كما قلنا، من بين مفاهيم الإحالة ما هو أكثر ارتباطا بالماصدق، كالصدق وقيم المتغيرات.

4-1 - الصدق:

هناك عدة نظريات للصدق نذكر من بينها:

أ. النظرية التطابقية أو نظرية المطابقة *correspondance theory*: وهي النظرية التي تعتبر أن الصدق يكمن في أن الحكم على قضية بكونها صادقة يتحدد بمدى مطابقتها أو اتفاقها مع الواقع.

ب. النظرية الاتساقية *coherence theory*: ومفادها أننا لكي ننعت قضية ما بكونها صادقة، يكفي أن تكون متسقة مع قضايا أخرى بدورها صادقة.

ج . النظرية الدلالية semantic theory: وتقضي بأن الصدق يتحدد بمجموعة من الشروط الصدقية Truth conditions المجملة في مجموعة من القواعد الدلالية، فعندما نسند الصدق إلى قضية ما، فإن "صادقة" لا تحمل على القضايا كما تحمل عليها المعاني، بل إن "صادقة" حكم مشروط بتحقق الشروط الصدقية المرصودة في القواعد الدلالية.

ويرجع الفضل إلى ألفرد تارسكي Alfred Tarski في صوغ النظرية الدلالية للصدق في مقاله المذكور سابقا: "مفهوم الصدق في اللغات الصورية" (1931) الذي أصدره في كتابه: المنطق والدلائيات والرياضيات الفوقية³⁰⁹. فقد صاغ نظريته في فصلين: فصل نظر فيه في قيود المطابقة أو شروط المطابقة، أي الشروط التي ينبغي أن يتبعها كل تعريف مقبول للصدق، وفصل خصّ به تعريف الصدق بالنسبة للغة صورية مخصصة. ومن المسائل التي طرحت بصدد تحديد قيود المطابقة مشكلة إيجاد تعريف للصدق يجمع بين شروط المطابقة Adequacy conditions، والسلامة الصورية Formal correctness.

لقد اعتبر أرسطو أن القول عن موجود إنه غير موجود أو عن غير موجود بأنه موجود قول كاذب، في حين أن القول بأن ما هو موجود موجود أو ما

- A. Tarski, « The concept of truth in formalized languages » in **logic, Semantics** 309 and **mathematics** 1956, Traux, Woodger (Oxford University press).

هو غير موجود غير موجود قول صادق³¹⁰. لا يعدو هذا الحلّ أن يكون مجرد تحصيل حاصل أو قول نافل يخلو من الفائدة حتى وإن جاء في صيغة "تارسكي" التي عرف بها الصدق في الصورة (صا)، (صا) عا صادقة إذا ب (الصورة صا تعبر عن صدق العبارة عا إذا وفقط إذا ب) حيث نقول: تصدق العبارة "الثلج أبيض" إذا كان الثلج أبيض.

وعلى هذا النحو نقول:

با إذا وفقط إذا با.

وأما السلامة الصورية فقد أشار إليها في مقالته "المفهوم الدلالي للصدق" (1944) معتبرا أنها تكمن في "القواعد العادية للتعريف الملحوظة في اللغة الواصفة meta-language (أي في اللغة الفوقية).

- أ- لا ينبغي أن يرد متغير مطلق في المعرّف لا يكون قد ورد في المعرّف؛
- ب- لا ينبغي أن يكون لنفس المتغير موقعان يردان في المعرف

311

- Aristote, Metaphysics, IX, 1011, p. 26.310

Tarski, « The semantic conception of truth », in Philosophy and 311 phenomenological reserach 4, p. 61 and in Feigl and Sellars 1949.

لا يقتضي منا المقام أن نبسط الكلام في نظرية "تارسكي"، يكفي أن نشير إلى أن المشكلات التي تعترض نظرية الإحالة ومفاهيمها، ما تزال تقف أمام كل محاولة جادة لتقديم تحديد سديد للصدق، وذلك فضلا عن تسرب مفاهيم نظرية المعنى إليها؛ ولهذا نجد أن كواين قد اعترض، كما مرّ بنا، على مفهوم "القضية" ذاته؛ لأنه يظل، مع ذلك، ملتبسا رغم أنه يشكل أساس وموضوع ما نسند إليه الصدق:

"لقد أعطى الفلاسفة امتيازاً كبيراً للقضايا باعتبارها ضرورية؛ لأن الصدق يكون ملموساً فقط عندما يتعلق بالقضايا وليس بالعبارات" ³¹².

ومع ذلك، فإن القضايا تعاني من غموض كبير، لأنها تتوقف على مفهوم المعنى، وحتى القول بتكافؤ دلالي بين القضايا يفترض وجود "الترادف"، وهي مفاهيم تنتمي إلى نظرية المعنى التي بينا اعتراضات "كواين" الشديدة عليها.

د. النظرية النفلية The redundancy theory of truth:

Quine, **philosophy of logic**, Harvard university Press, Cambridge, 312
Massachussetts and London, England, 1986, p. 10.

وهي نظرية تعتبر أن كل تحديد للصدق يظل نافلا ومبتذلا لأنه لا يضيف شيئا إلى "الصدق". ويمكن أن يأتي التحديد على الصور المبتذلة التالية³¹³.

1. إن "با وبا صادقة" متكافئتان.

2. عوض أن نقول "با صادقة" يكفي أن نقول با.

3. إن القول بأن با صادقة لا يضيف أي شيء إلى با.

ولعل التركيز على هذه النظرية قد يؤدي - حسب سيبل وولفرم - إلى تأخير تقدم البحث في نظريات الصدق.

هـ. النظرية الذرية Pragmatic theory of truth:

إذا كان رامسي (1927)، قد انتهى إلى أن الصدق مفهوم نافل، فإن كلا من ش. س. بيرس وجيمس وديوي قد جمعا بين التصور القائل بالاتساق والتصور القائل بالمطابقة في تحديد الصدق كما تدل على ذلك تسمية النظرية المأخوذة من "براغما" التي تفيد العمل والمنفعة.

ينتمي الصدق إلى نظرية الإحالة، غير أن بعض التحديدات المتعلقة به نحو "القضايا" و"التحقق" وما إليهما تقحمننا في مجال نظرية المعنى. ولذلك نجد أن التصور الماصدي للمعنى والنزعة السلوكية تحضر

- Sybil Wolfram, op. cit., p. 157.313

كخلفية نظرية لمختلف مواقف "كواين" النقدية من الصدق التي تتلخص في المنطق التالي:

"إذا كان المنطق يرسم الشروط الصدقية من خلال البنيات النحوية، وكانت الدوال الصدقية من بين هذه البنيات، فإن منطق الدوال الصدقية سيكون مضمونا. وبخلاف ذلك، إذا كان المنطق يُعنى، بالأساس، برسم الشروط الصدقية من خلال البنيات النحوية، فإن نحو اصطناعيا يصوغه المناطقة سيكون ملزما بإسناد مكانة أساسية من بين بيناته للدوال الصدقية"³¹⁴.

هل يتعلق الأمر هنا بنزعة صورية إسمية غير ذات أنطولوجية تجريبية؟ ليس الأمر كذلك، فبرنامج كواين يسعى إلى مراجعة الأسس التي يقام عليها الصدق من قبيل "التحقق والصدق" و"التحقق بواسطة المتواليات" و"تعريف تارسكي"... إلخ؛.

وبما أن مفهوم الصدق موضوع من الموضوعات الرئيسية في فلسفة المنطق، فإننا سنعالجه بالتفصيل في الجزء الثاني الذي عقدناه للدلائيات وفلسفة المنطق حيث سنتعرض لتحديد موقف كواين من نظريات الصدق السابقة الذكر.

- Quine, *Philosophy of logic*, op. cit., p. 35.314

2.4. قيم المتغيرات Values of variables:

تقترن قيم المتغيرات بالصدق وبشروط تحقق القضايا، وقد تجرّنا إلى الجدل الفلسفي الذي أثير في القرون الوسطى بين الإسمين والواقعيين أو الأفلاطونيين، كما أنها تقترن، أيضا، بمشكلات الإحالة. فكيف تعامل كواين مع هذا الموضوع، خصوصا وأننا نسلّم بأن قيم المتغيرات قد تكون موضوعات خارجية، وقد تكون مجرد أعداد أو مجموعات أو أشخاص، بل قد تكون مجرد مجالات لتحقيق القضايا أو تكون عبارة عن متواليات؟ يعتبر كواين أن تعقب شروط الصدق من طرف المنطقة يضعنا أمام معضلات كثيرة؛ ولذلك نجده يوجه نقدا شديدا للقضايا معتبرا أن اتخاذها كمعان للعبارات يكون عبارة عن "مظهر من مظاهر الأسطورة المشهورة للمعنى"، أو ما يعرف بأسطورة المتحف أو معرض الأفكار Gallery of Ideas حيث تقترن كل فكرة بعبارة تعنيها، وكل قضية بعبارة تخصها.

لقد كان كواين، على حد قوله، مرتاحا لرفض مسألة تشخيص القضايا Individuation of propositions. وبذلك يكون قد انحاز إلى نظرية تجريبية للمعنى باعتبار المعنى هو التشخيص الواضح والحقيقي الحاصل في مجال المعطى الحسي.

ترتبط مسألة تشخيص القضايا، بالأساس، بكيفية تحديد تكافؤ العبارات، وفي حالة عدم وجود تكافؤ تجريبي فإن التكافؤ المعرفي cognitive equivalence هو الذي يدبر، بكيفية أو بأخرى، شروط الصدق. وقد صار

معلوما لدينا الآن، أن كواين قد تحامل على كل افتراض لوجود المعنى كذات مجردة، كما برهن عن امتناع تحدده فضلا عن امتناع تحديد الترادف، وامتناع الفصل بين التحليل والتركيب، أي الفصل بين المضمون المادي أو التجريبي والصورة المنطقية للعبارة لامتناع وضع خط فاصل بين اللغة والعالم. وهذه الاعتراضات تشكل مفاهيمها أسس كل من يدعي أن القضايا مجرد معانٍ للعبارات.

ولذلك، فإن مبدأ كواين الذي يحدد أنطولوجية أي موجود ويحصرها في أنها تتمثل في القيمة الصدقية لمتغير ما تفيد الشعار المشار إليه: "أن يوجد موجود هي أن يكون قيمة صدقية لمتغير ما"، ونفس الشعار يتكرر بصيغة أخرى تفيد أنه "لا ذاتية بدون هوية".

علينا أن نحترز، ينهنا "كواين"، من المجالات من قبيل "كل" و"أيا كان" فهناك ما أطلق عليه "كواين" ثغرات القيمة الصدقية Truth-value gaps. فنحن حين نعلم إلى إدخال قواعد تأخذ زمن الفعل لنقل العبارة التالية: "لم يتزوج زيد أية امرأة" إلى العبارة: "زيد عازب"، نعاني من صعوبات كثيرة لنحصل على الصورة القانونية بالكتابة المنطقية، حتى ننهي إلى أن عبارتين متكافئتين؛ وبالتالي حين نضع إحداها مكان الأخرى لا تتغير القيمة الصدقية. إنها عملية الإبدال الحافظ للصدق salva veritate . ولكن كيف نحدد القيمة الصدقية؟

"هناك طريقة واضحة يتجلى فيها أن تناول الأسماء باعتبارها حدودا كلية، تخالف الاستعمال العادي الذي يتميز عن التصنيفات المقولية للاستعمال، ويتحدد في إغلاق ثغرات القيم الصدقية. وسأكون مجانباً للصواب إن قلت إن التشارح Paraphrase ينطوي على دعوى الترادف"³¹⁵.

وعلى هذا الأساس، لا يتم الترادف بواسطة التشارح، فالحدود من قبيل 'سقراط' عادة ما تحمل وحدة الإحالة، وبالتالي وحدة المسعى؛ ولهذا لا تؤخذ بالمعنى الضيق، بل بمعنى واحد بالتحديد. فهي تؤخذ بهذا المعنى مع ما تحمله ثغرات القيمة الصدقية من ثقل.

ولعل "ثغرات القيمة الصدقية" تذكرنا بامتناع تمحيص المسعى أو الإحالة عند كواين. فعلام يحيل "سقراط"؟ إننا لو فضلنا إقصاء سقراط "كحد شخصي بطريقة نعيد فيها بناء الاسم كحد كلي يصدق على موضوعات كثيرة، أي على الأجزاء الزمانية لسقراط Socrate's spasmotemporal parts لأمكن لنا، بفضل القوة القديمة التي يمدنا بها "س = سقراط"، أن نجري التشارح التالي:

(ع) (ع هو سقراط إذا، فقط إذا، كانت ع جزءاً من س).

فلو حصل أن عملية التشارح أنتجت المعنى بكيفية عرضية بحيث نجد أن العبارة الأصلية تعاني من وجود ثغرة في القيمة الصدقية نحو العبارة:

- Quine, 1960 *Word and object*, op. cit., p. 182.315

"سقراط حكيم" التي لا تعد صادقة ولا كاذبة إلا إذا خصصنا مجالها: "يوجد س، وفقط س، بحيث أن س يتسقراط وأنه حكيم"، فما يهمنا في إجراء الإبدال هو تبيان فرادة س؛ وبالتالي تحديد قيمته الصدقية مع إمكان ترك ما ينضاف من جراء ثغرات القيمة الصدقية بفعل ما يفعله طالما أن العبارة المترتبة عن الثغرة لا تكون مطلوبة لأي غرض.

إن ما يلزم عن منطق علاقة الكلّ بالجزء، باستقلال عن أية سمة خاصة من سمات "سقراط" بحيث تكون من بين الحالات التي يصدق فيها، أي "سقراط"، على موضوع واحدٍ أو على عدة موضوعات هو صنف ما يمكن أن يكون أجزاء من "سقراط".

ولهذا ينتقل كواين إلى الرسوم الشخصية ليشير إلى أن لغة الرسوم الشخصية تكون مستعملة في الخطاب العادي بناء على ما يفهم أو يُعتقد بخصوص استعمال الشخص، أو ما يُضاف إليه من تحديد نحو أداة التعريف "أل"، وما يأتي بعد ذلك من فوائد إضافية تؤخذ من سياق الكلام.

وبمجرد أن نعتمد إلى العُدّة المنطقية فنحاول صوغ العبارة في كتابة مقننة، يمكن أن نتصور أن فائدة ما قد تختفي أو قد تظهر كجزء من عبارة مركبة نصوغها على النحو التالي:

"... س ... " أو " Λ س، (... س ...)".

إن ما يمكن أن نخلص إليه هو عدم قدرتنا على ادعاء أننا قد أقمنا
تشارحا أو ترادفا، فحتى صياغتنا المقننة تخضع لاعتبارات ذريعية كأن
نحاول رفع الالتباس وإقصاء زمن الأفعال والكلمات الإشارية.

فلنقارن مع كواين بحالة التساوي:

$$\Lambda = \text{ف} \text{ (س... س...)}.$$

بالعبارة المسورة:

$$\Lambda \text{ (س... س... إذا فقط إذا س = ف).}$$

التي يمكن أن نقرأها باختصار، "ف... فقط وحدها ف" فلو قدرنا أنه
إما أن تكون "ف = Λ س... س..." أو "ف... ف وحدها" تصدق على
موضوع ما، فإنهما معا تصدقان عليه. والحال، فإن الصورتين يمكن أن
تختلفان من حيث شروط صدقهما بحسب ثغرات القيمة الصدمية،
ولكون هذه الثغرات قد تجعل "ف = (س...) (س...)" غير ذات قيمة
صدقية يمكن إسنادها لكل موضوع ف إذا لم تكن تصدق على أحدهما
حيث "ف... ف وحدها" تكون عبارة كاذبة بالنسبة لكل موضوع ف إذا
لم تصدق على أحدهما.

فما هو موقع القيم التي تسند للمتغيرات في البنية المنطقية؟

يقول كواين:

"يظهر أن الأنساق المقننة المتعلقة بالكتابة المنطقية شيء محمود حين نتخذ هذه الأنساق المقننة بمثابة كتابات جزئية بالنسبة للخطاب المتعلق بكل الموضوعات، لا بوصفها كتابات تامة وكاملة للخطاب المتعلق بموضوعات مخصوصة"³¹⁶.

وهنا يتضح لنا أن قيم المتغيرات ليست ذات إحالة ما صدقية ظاهرة؛ ذلك أن الكتابة المقننة لا تلغي وجود ثغرات القيمة الصدقية. ولهذا ينبغي تقنين اللسان الطبيعي Regimentation of language. فهل يستطيع القاعدة التالية أن يرفع امتناع تمحيص القيم الصدقية؟

"لا تستخرج أكثر من البنية المنطقية التي يظهر أنها قابلة للاستعمال"
يجيب كواين:

"هناك كتابات مقننة توضع للصيغ، ولبعض الحدود المكوّنة، غير أنها لا تسمح بحدود مختلفة، بل لا تسمح حتى بالتمييز بين الحدود بحيث يكون بعضها بسيطاً وبعضها مشتملاً على بنية ينبغي إظهارها في الصيغ المقننة (...). وقد تصادف حدوداً من اللغة الطبيعية باللغة التعقيد اللغوي"³¹⁷.

وإذا كانت اعتبارات كواين تأخذ بمعضلات الإحالة، وباعتراضها على نظرية المعنى، وبالخصوص على المعنى بوصفه ذاتاً مجردة، وبإبطالها للتحليلية

- Quine, *Word and object*, op. cit., p. 160.316

- W. Quine, op. cit., p. 160.317

من الصنف الثاني، فإنها ستطال لا محالة، موقفه من قيم المتغيرات؛ فالتساؤل عن وجود قيم صدقية لمتغيرات نحو "العنقاء" أو "المجموعات" أو "الأعداد" أو نحو ذلك، لا تظل منحصرة في مستوى اللغة، بل إنها تتعدى ذلك إلى التزاماتنا الأنطولوجية، بل وإلى كيفية تكلمنا عن الموجود. ومعلوم أن كواين قد حصر الوجود في أن يكون قيمة لمتغير ما بمعنى أن الموجود لا يحصل على ذاتية إلا بهوية، والشعاران:

15- "لا ذاتية بدون هوية"؛

16- "أن يوجد الموجود هي أن يكون قيمة لمتغير"،

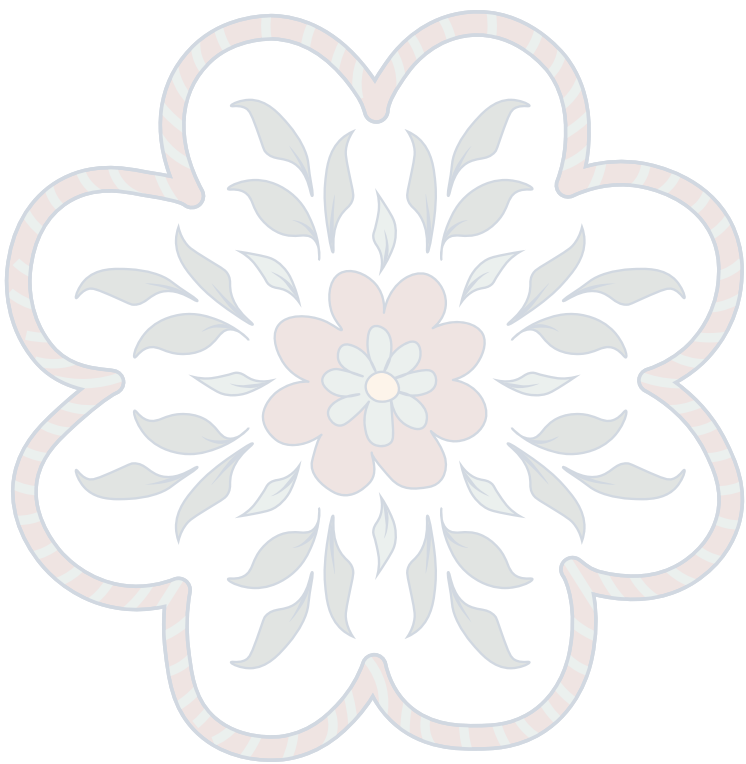
شعاران يرتبطان بدعوى النسبية أنطولوجية، ودعوى امتناع تحدد الترجمة، إلى جانب أطروحة كواين- ديوهيم Quine-Duhem thesis المرتبطة بدعوى امتناع تحدد النظرية العلمية، وطبيعانية المعرفة، وبالشمولية الإيبستيمولوجية، وقد أفردنا لهذه الطروحات الكواينية الجزء الثالث والأخير من هذا العمل.

فالنسبية الأنطولوجية، تعد ثمرة لتعاطي كواين مع الدلالات، حيث كانت خلاصاته القاضية بامتناع تحدد المعنى، وامتناع تمحيص الإحالة، واعتراضاته القوية على مفاهيم نظرية المعنى ونظرية الإحالة، وراء نسبته الأنطولوجية، ووراء اقتناعه بكوننا نصدر حين نتكلم عن الوجود، عن التزام أنطولوجي بالذوات التي نتكلم عنها.

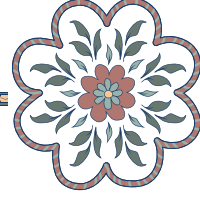
ودعوى نسبية الترجمة، تقضي بامتناع وجود تطابق تام بين ترجمتين (كراستين للترجمة) واتفاق كل واحد منهما مع اللغة التي تنقلها وعدم اتفاقها فيما بينها يوسع دائرة السؤال حول طبيعة ما يحيل عليه كلامنا. وأما دعوى امتناع تحدد النظرية العلمية، وطبيعانية المعرفة، والشمولية الإبيستمولوجية، وما يتصل بها من قضايا، فقد نتجت هي الأخرى عن مواقف كواين من ثنائية التحليل والتركيب، ومن نقضه لمعتقدي النزعة التجريبية، واستشرافه لما بعد الفلسفة التحليلية انطلاقاً من مراجعة نقدية صارمة للأسس الدلالية التي قامت عليها، والبناء المنطقي للعالم الذي راهنت عليه³¹⁸.



³¹⁸ وقد عالجتنا هذه المسألة في الجزء الثالث من هذا العمل، راجع الفصل الأول الذي عقدناه للنسبية الأنطولوجية في كتابنا: كواين وما بعد النزعة التجريبية (3): الدلائل وفلسفة العلم.



الخاتمة :



لقد ركزنا، في هذا الكتاب على مبحث الدلائليات وفلسفة اللغة بوصفهما مبحثاً رئيساً اتسمت به الفلسفة التحليلية طوال القرن الماضي حيث انتقلت اللغة من كونها مجرد أداة إلى أن صارت موضوعاً أثراً للبحث والنظر لدراسة اللغة والتحليل المنطقي للمفاهيم، ورهانا راهنت عليه الفلسفة التحليلية منذ مستهل القرن الماضي، وانطبعت بها الفلسفة الوضعية المنطقية والفلسفة الأنغلو-أمريكية بالخصوص. غير أن ما يعنينا هو أن كواين شكل منعطفاً جديداً في الفلسفة التحليلية، وفي الفلسفة الأمريكية بالذات، حيث كان له بالغ الأثر في مُجايليه أمثال دونالد ديفيدسن D. Davidson، وريتشارد رورتي R. Rorty، وهيلاري بوتنام H. Putnam، وغيرهم كثير.

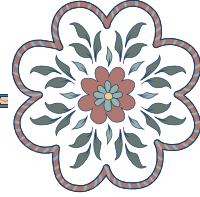
بعد أن أتينا على بيان النقد الذي تولاه كواين لما قامت عليه الفلسفة التحليلية، وبالخصوص الوضعية التجريبية، من أسس دلالية، وبعد أن بينّا فلسفة اللغة من خلال اشتغال كواين على مفاهيم المعنى والإحالة، اعتبرنا هذا الكتاب بمثابة مقدمة كبرى لفلسفة المنطق عند كواين؛ لذلك أرجأنا تناول قضايا وإشكالات المنطق الداخلة في فلسفته لنُفرد لها كتاباً

خاصا نتوسع فيه في مظانّ فلسفة المنطق عند كواين، وهو الجزء الثاني
من هذا العمل.

وما التوفيق إلا بالله عليه نتوكل وإليه ننيب.



قائمة المراجع :



- Aristote, **Metaphysics**, IX.
- Bloomfield, L., (1967), **Language**, Allen and Unwin.
- Bloomfield, L., **Linguistic aspects of science**, Chicago University Press, 12 cit. in D. Cooper.
- Carnap « Meaning and synonymy in natural languages » see **Meaning and necessity**.
- Carnap « Meaning and synonymy in natural language » in **Meaning and necessity**.
- Carnap R. (1928) **Der Logische Aufbau der Welt**, Berlin.
- Carnap, (1928), **Der logische Aufbau der Welt**, Berlin, **The logical structure of the world**. Berkeley & Los Angeles, University of California Press.
- Carnap, (1942), **Introduction to semantics**, Harvard University Press.

- Carnap, (1947), **Meaning and necessity**, Chicago Univer. Reprin (1956).
- Carnap, (1947), **Meaning and necessity**, Chicago University 2^d, ed. With supplements, (1956). Chomsky, N., (1964), **Current issues in linguistic theory**, The Hague, Monton & col.
- Carnap, « Meaning Postulates » in **Meaning and necessity**.
- Carnap, 1934, **Logical syntax of language**, orig., Vienna, English translation, London et New York 1937.
- Carnap, **Meaning and necessity**, cf Supp, A. « Empericism », Semantics and ontology.
- Carnap, R., (1931), **Unberwindung der Metaphysik durch logische analyse der sprache** », erkenntnis 2.
- Carnap, R., (1937) : **The logical syntax of language**, London,
- Chomsky, (1968), **Language and Mind**, Harcourt Brace, Jovanovich, Extented Edition, New York.

- Chomsky, (1969 b), « **Quine's empirical assumptions** » in Davidson & Hantikka, eds (1969).
- Chomsky, (1975), **Reflexions on language**.
- Chomsky, (1979), **Reflexions on language**, Pantheon Books New York.
- Chomsky, N. (1965), **Aspects of the theory of syntax**, Mass Institute of technology Cambridge.
- Chomsky, N., (1968 a), « Recent contributions to the theory of innate ideas ». Synthese
- Chomsky, N., (1975), **Reflexions on language**, Pantheon, New York.
- Clavelin, M., « Quine, contre Carnap : La polémique sur l'analyticité et sa portée » Revue internationale de philosophie 37^e année, 1983, P.U.F.
- Cooper, D., (1973), **Philosophy of the nature of language**.
- Cooper, D.E., (1973), **Philosophy of the nature of language**, Group – LTD. Longmen.

- David, E. Cooper (1973), **Philosophy of the nature of language**, op. Longmen group. LTD.
- Davidson, D. and Hintikka. J.(1969) .ed ; **Words and Objections** :Essays on the Work of W.V.Quine (Reidel).
- Dewey, J., (1925), **Experience and nature**, Open court, Illinois, (1958).
- Dilman, Ilham, (1984) : **Quine, ontology, necessity and experience** a philosophical critique, State University of New York Press.
- Duhem (Pierre), (1906), **La théorie physique : son objet et sa structure**, Paris.
- Duhem, Pierre, « **La théorie physique : son objet et sa structure** », Paris 1906.
- Frege (Gotlieb) (1884) , **Grundlagen der Arithmetik** ;Breslau .Reprinted with English translation as **The Foundations of Arithmetic**, New York : Philosophical Library , and Oxford : Blackwell, (1950).

- Frege, (1892), « Uber Sinn und Bedeutung », Trans. Feigl in Feigl and Sellars, (1949) and reprinted in Copi and Gould, 67 and in Trad. Franç. Claude Imbert : **Ecrits logiques et philosophiques**, Seuil, Paris, (1971).
- Fuchs (Catherine) 1982, **La Paraphrase** P.U.F, Paris.
- Gibson, (1982), **The philosophy of W, V, O Quine**, Tampa University, Press of Florida.
- Gochet, (1978), **Quine en perspective**.
- Gochet, P.(1978),**Quine en perspective**. Flammarion ; Paris.
- Goodman, « On Likeness of meaning », In Linsky, **Semantics and the philosophy of language**.
- Goodman, N. (1978), **Ways of worldmaking**, Indianapolis : Harckett.
- Grice et P.F. Strawson « In defense of dogma » Philosophical Review 65 (1956).
- Grice, P., and Strawson, (1956), 'In defense of a dogma', **Philosophical review**.

- Haak (1978), **Philosophy of logics**, Cambridge University Press.
- Haak, Susan (1978), **Philosophy of logics**, Cambridge University Press.
- Hookway, CH.,(1988), **Quine , Language, Experience and Reality** .Polity. Press Cambridge . State University of New York Press (1984)
- Hume, (1739 – 1740), L.A. SelbyBigge, **A treatise of Human nature**, ed Oxford, (1888).
- Kant, **Critique de la raison pure** P.U.F.
- Katz, (1966), **The philosophy of language**, New York, Trad. Franc. Jamck Gazio (1971), **Philosophie du langage**, Payot – Paris.
- Katz, (John), **The philosophy of language**, 1966, Oxford.
- Katz, J., (1966), **The philosophy of language**, New York, Trad. Fran. Jamck Gazio (1971) PayotParis.

- Kripke, (1971) 1977, **Identity and necessity**, in Munitz (ed) **Identity and individuation**, 1971.
- Kripke, **Naming and necessity**.
- Kripke, s. (1972), **Naming and necessity**, First published in Harman and Davidson (ed).
- Kripke, S., **Naming and necessity**.
- Lakatos, Imre, (1963), **Proofs and refutations**, Edited by Worrall and Zahar, Cambridge U.P (1976).
- Largeault (J.) (1980) : **Quine, Questions de mots, questions de faits**, Toulouse, Privat.
- Largeault, **Enigmes et controverses**.
- Largeault, J., **Enigmes et controverses**.
- Lewis (C. I) : « **The modes of meaning** » in Linsky, L. (ed.) 1952, **Semantics and the philosophy of language** (Illinois U.P.).
- Lewis, C.I, « The modes of meaning » Lyons, (1976), **Semantics**.
- Lyons, (1977), **Elements de sémantique**.

- Lyons, (1978), **Eléments de sémantique**, Trad. Française de J. Durand, Larousse, Paris.
- Lyons, J., (1976), **Elements de sémantique**, Librerie Larousse.
- Lyons, J., (1978), **Semantics**, I et II, Trad. Française J. Durand : **Elements de sémantique**, Larousse Université Paris (1978).
- Lyons, John, (1977), **Semantics**, T. I & II, Cambridge University Press, Trad. Française, J. Durand... **Elements de sémantique**, Larousse Universitaire.
- Mates (Benson) 19, in Linsky (ed) **Semantics in natural languages**.
- Mill, J.S., **A system of logic**, ratiocinative and inductive, universi of toronto Press, 1973.
- Morris, Ch., (1946), **Signes, language and Bihaviour**, Prentice Hall.
- Neurath, O. (1931 – 32), « **Die Physicalische Sprache als Universalsprache der Wissenschaft** » Erkenntnis

- Ogden, C.K., and Richards, I.A., (1923), **The Meaning of Meaning**, Londres : Routledge and Kegan Paul.
- **Ontological relativity and other essays**, Columbia U.P. (1969).
- Piaget et coll., (1967), **Logique et connaissance scientifique**, Gallimard, Paris.
- Piaget et collaborateurs, (1976), **Logique et connaissance scientifique**.
- Piaget, J., (Ed.), (1967), **Logique et connaissances scientifiques**, Gallimard, Paris.
- Preseley , C.F. ,(1969) ; « QUINE » .in **Encyclopedia of Philosophy** , P.Edwards Mc Millan. London.
- Quine (1950), **Methodes de logique**, J. Vr trad. Fran. M. Clavelin.
- Quine (1960), **Word and object**, the M.I.T. Press, Cambridge.
- Quine 1960, **Word and object**, the MIT, Press, Cambridge.

- Quine : « Notes on existences & necessity », in Linsky, (1952),
- Quine ;(1953) , **From a Logical Point of View.**
Cambridge, Mass. : Harvard.
- Quine, (1953) : « Two Dogmas of Empiricism » in **From a logical point of view.**
- Quine, (1953), « On What there is », in **From a logical point of view.**
- Quine, (1953), **From a logical point of view.**
- Quine, (1953), From a logical point of view.
- Quine, (1960), **Word and object**, M.I.T, Press.
- Quine, (1966), **The ways of paradox and other essays**,
Reprin, (1979), Harvard University, Press, Cambridge.
- Quine, (1968), **Ontological Relativity**, Journal of philosophy.
- Quine, (1969), « Reply to Chomsky » **in words and objections**, Davidson & Hintikka, eds.

- Quine, (1969), « Reply to Chomsky », in D. Davidson and Hintikka, (ed.), **Word and objections, Essays on the work of W.V.O Quine** Reidel.
- Quine, (1981), « Five milstone of empiricism » in **Theories and things**, Cambridge, Mass. Harvard University, Press.
- Quine, « On what there is » in **From a logical point of view**, Cambridge, Mass 1953.
- Quine, « Reply to Chomsky » in Davidson, D. and Hintikka, J. (1969) (eds.) **Words and objections**.
- Quine, « The Grades of modal involvement », proceedings of the XIth International Congress of philosophy Brussels 1953, reprinted in : **The ways of paradox and other essays**, 1966, New York, Random Housse.
- Quine, « Truth by convention » In lees O. H (1936) **Philosophical essays on A.N. Whithead**, New York, Longmans.

- Quine, « Two Dogmas of empiricism ».
- Quine, « Use and its place in meaning » in **Theories and things**
- Quine, 1943 « Note on existence and necessity » In **Journal of philosophy** XL.
- Quine, 1969, « Natural kind » in **Ontological relativity and other essays**, New York and London Columbia U. Press.
- Quine, **philosophy of logic**, Harvard university Press, Cambridge, Massachussetts and London, England, 1986.
- Quine, **Theories and things**.
- Quine, W. V. O, (1960), **Word and Object**, copy right, Massachusetts institute of Technology .
- Quine, W. V. O., **Set theory and its Logic**, Revised, 2nd edition. Harvard University Press.
- Quine, W.V.O (1960) : **Word and object**, M.I.T. Press.

- Quinton, Anthony, 1983, « A priori and the analytic » in **Philosophical logic**, Edited by P.F Strawson, Oxford University Press.
- Richards, M., « On « Analytic » in philosophical Studies », 3, 1952.
- Romanos, (1983) , **Quine and analytical philosophy**, Cambridge, Mass.
- Rorty, R., (1991), **Objectivity, Realism and Truth**, Cambridge University Press.
- Russel, B.,(1940), **An inquiry into meaning and truth**, Pinguin Books (1969).
- Russell, (1905), « On Denoting », **Mind**.
- Ryle, G., (1963), « Ordinary language » in **philosophy and ordinary language**, ed. C. Caton, Illinois, University Press.
- Rynin, 1956, « The dogma of logical pragmatism », **Mind**.

- Schaff, A., (1960), **Introduction to semantics**, Pergamon, (1964), Trad. Française Lisowski, Anthropos, Paris.
- Searle, J. R., **Les actes du langage**, Hermann, Paris (1972).
- Searle, **Les actes du langage**.
- See again (1968 a), **Language and mind**, New York Harcourt Brace Jovanovich.
- Skinner, B., (1957), **Verbal Behaviour**, New York : Appleton – century – Grofts.
- Smart, (1969 : « Quine's philosophy of science » in D. Davidson and J. Hintikka (eds.) (1969) , J.J. **Words and objections**, Dordrecht MD. Reidel.
- Strawson, « on refering », **Mind**, (1950).
- Strawson, P.F. (1977), **Etudes de logique et de linguistique**, Seuil.
- Strawson, P.F., **Etudes de logique et de linguistique**, éds. Seuil Paris VI,

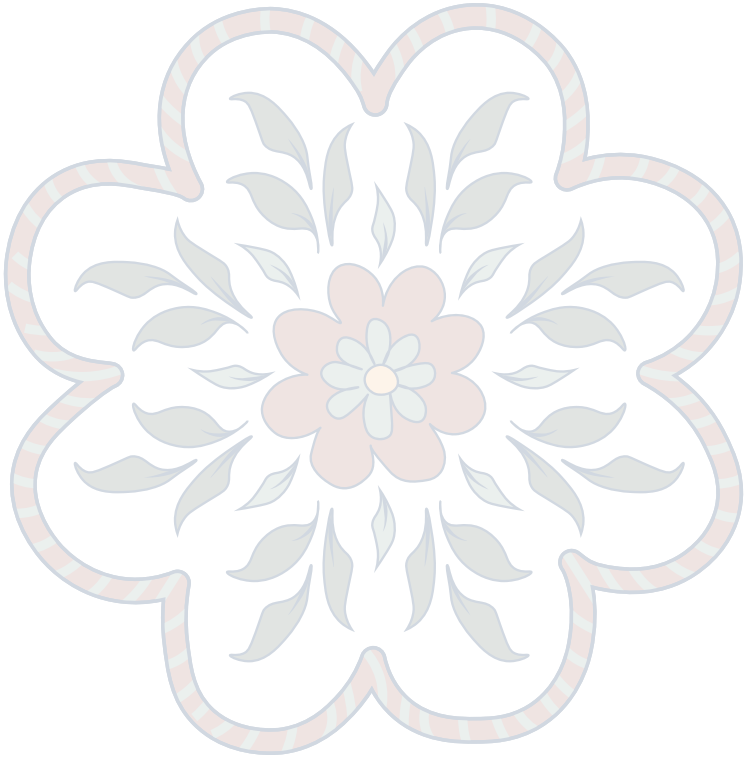
- Tarski, "Der Wahrheits begriff in den formaliesierten Sprache" in studia philosophica.
- Tarski, (1956), **Logic, semantics and metamathematics**, Oxford, Clarindo.
- Tarski, « The concept of truth in formalized languages » in **logic, Semantics and mathematics** 1956, Traux, Woodger (Oxford University press).
- Tarski, « The semantic conception of truth », in **Philosophy and phenomenological reserach** 4,61 and in Feigl and Sellars 1949.
- Tarski, A. (1956), Logic, semantics and metamathematics, Trans. Woodger (Oxford U.P.).
- Thom, P., 1996, **The logic of essentialism**, Kluwer Academie Publishers, Dordrecht, Boston, London.
- Vermant D. (19) **Introduction à la philosophie de la logique et du language.**
- White (1950), « **The analytic and the synthetic : an untenable duality** » Hook John Dewey.

- White, M., «Analytic – synthetic : an untenable duality » in Linsky,
- White, Morton, « The analytic and the synthetic : An untenable duality » in Sidney Hook (ed.), John Dewey, Reprinted In : L. Linsky, **Semantics and the philosophy of language**, Urbana.
- Wittgenstein, (1958), **Blue and Brown Books**, Oxford : Blackwell.
- Wittgenstein, (1969), **Philosophical investigation**, 3rd edn Mac Millan section.
- Wolfram (Sybil) V, **Philosophical logic**.
- Wolfran, Sybil, **Philosophical logic**.



فهرس الموضوعات

3.....	المقدمة
13.....	الفصل الأول: أسس فلسفة كواين: الثوابت والمتغيرات
	الفصل الثاني : الفلسفة التحليلية ومعالم فلسفة نزعة
85.....	كواين التجريبية
105.....	الفصل الثالث: الأساس الدلالي لفلسفة كواين
189.....	الفصل الرابع: دعوى امتناع تحدد المعنى
229.....	الفصل الخامس: بطلان التفرقة بين التحليل والتركيب
267.....	الفصل السادس: دعوى امتناع تمحيص الإحالة
313.....	الخاتمة
315.....	قائمة المراجع





ملخص الكتاب

يتناول هذا الكتاب مكانة الدلائيات وفلسفة اللغة في فكر ويلارد فان أورمن كواين (1908-2000) Willard Van Orman Quine؛ وهو فيلسوف ومنطقي ورياضي، وعلم من أعلام الفلسفة الأمريكية المعاصرة، تمتاز فلسفته بروح نقدية طبعت جُلّ مواقفه من القضايا الفلسفية التي تداولها الفلاسفة المعاصرون، فقد تعقّب مناهج الفلسفة التحليلية، وقوّض دعاوى المناطقة النزعة التجريبية المنطقية لرسم في أفق فلسفته معالم لما اعتبرناه بمثابة ما بعد النزعة التحليلية. لقد غطت طروحات كواين الدلالية - المنطقية مختلف الجوانب الفلسفية سواء ما تعلق منها بفلسفة اللغة، أو بفلسفة المنطق، أو بفلسفة العلم؛ ولذلك ارتأينا أن نقسم هذا العمل، وفق هذه المضامير، فجعلنا الجزء الأول الذي بين أيدينا ينظر في ما أثاره كواين من استشكال للقضايا الدلالية التي انبجست منها فلسفة اللغة التي سيسند بها كواين دعاويه المنطقية والفلسفية والعلمية، وجعلنا الجزئين المواليين يتعلقان تباعاً بفلسفة المنطق وبفلسفة العلم.

ISBN 9789948772774



9 789948 772774